

نار العنقاء

رواية
علي اليوسفي

الطبعة الأولى

2020 م - 1442 هـ

ديوان العرب
للنشر والتوزيع



عنوان الكتاب: ثأر العنقاء – عفراء أنت أرض لم يطأها بشر

اسم المؤلف: علي حسن اليوسف – وشهرته " علي اليوسفي "

التصنيف الأدبي: رواية

رقم الإيداع: 2020 / 22287

التقييم الدولي: 6 - 30 - 6749 - 977 - 978

التدقيق اللغوي: د. هبة ماردين

تصميم الغلاف: د. محمد وجيه

رقم الطبعة: الطبعة الأولى

التنسيق الداخلي: د. محمد وجيه

المدير التنفيذي: د هبة ماردين

المدير العام: د. فادية محمد هندومة



دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

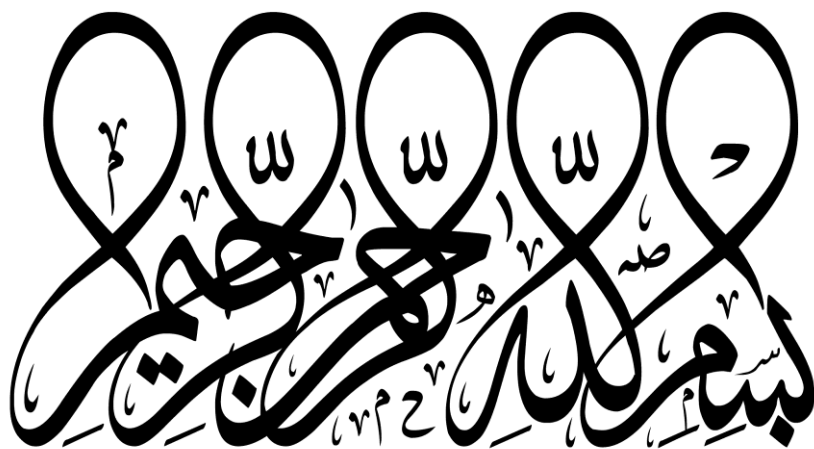


ثأر العنقاء

رواية

علي اليوسفي





إِهْدَاء

إلى حواء...

ضمدي جراحك بنفسك، اجبري كسر كبيدك، تجاوزي محنتك بصبرك ثم
ارفعي رأسك عالياً وقولي بتحدٍّ: لم يزل فيَّ عرقُ نابض.

علي اليوسفي

الجزء الأول من سلسلة عشتار

ثأر العنقاء

{عفراء، أنتِ الأرض التي لم يطأها بشر}

مقدمة

((هي العنقاء، هي من اجتاح الخريف ربيعها فتكورت على نفسها، ثم
احترقت فاستحالت رماداً، ثم بُعثت من جديد.
هي الطائر الأسطوري ولن تطاله يدك أبداً))

المؤلف

— ١ —

يا مَنْ تقرأُ سطوري، لا تستعجل لتعرف من أنا وما قصتي، سأخبرك حكايتي
رويداً رويداً، وإلى أن نصل إلى النهاية أرجوك، حرّر مشاعرك واقرأ حروفي
بتمعّنٍ وهناك ستجدني، أقبع بين السطور.

....

صوت احتكاك قطرات المطر بأوراق الأشجار خارجاً أيقظها من نومها
الهاني، نظرت إلى نافذتها فوجدتها مفتوحةً، وهواء الشتاء يُحرّك الستارة
البيضاء كأنه يُراقصها.

نهضت نادية، الصبيّة النديّة ذات الواحد والعشرين ربيعاً من فراشها،
توجهت نحو النافذة فأغلقتها، وقفت تطالع الطقس خارجاً من خلف
الزجاج المعتم، ابتسمت بسعادة فكم كانت عاشقةً لمنظر المطر المُتساقط
المُختلط برائحة الأرض، كأنها رائحة كعك العيد في صباحه.

تنفست بارتياح عميق، ثم خرجت من غرفتها حافيةً متوجهةً صوب غرفة
والدتها، فتحت الباب بحذر شديد فوجدتها غارقةً في النوم، تقدمت نحو
السريّر بخطىٍ رشيقة، ثم انسلّت تحت الغطاء السميك لتمتدّد بقرب
والدتها، وتدفن نفسها في أحضانها كأنها طفلٌ صغيرٌ فطِمَ حديثاً.

استيقظت هالة على حركة وحيدتها، ابتسمت بتلقائية وهي تحيطها بيديها لتشدها إلى صدرها، ثم تمت لها بصوتٍ ناعس: ما الأمر نادية؟ لم تركت غرفتك عزيزتي؟؟

أسبلت نادية عينيها الذهبية ببراءة لتخبر والدتها كاذبةً: لقد أخافني صوت الرعد أُمي.

طالعتها هالة بعدم تصديق، ثم نكزتها من كتفها بخفة لتقول بغضبٍ مصطنع: كفاكِ كذباً نادية!! لقد بلغتِ الواحد والعشرين من عمرك ومازلتِ تحتلقين الأعذار كالصغار لتنامي في حضني!!

قهقهت ابنتها بمرحٍ، ثم قبلتها من وجنتها قائلةً بدلالٍ يليق بها: أنا صغيرة أصلاً أُمي، حتى لو بلغتُ الأربعين فسأبقى صغيرتك المدللة، أليس كذلك؟؟

زرعت قبلة امتلأت بحنانٍ صادق مُرددةً: ستبقين صغيرتي دائماً نادية، فأنتِ ابنتي الوحيدة.

هممت الأخيرة بتفهم، ثم ما لبثت أن التمت عيناها بلوِّم هامسةً: لا أستطيع النوم أُمي، احكي لي حكاية.

ابتسمت على شقاء ابنتها، وهي تعلم أنها تعشق سماع الحكايات وتخلق الأعذار لتجبرها على أن ترويها لها، هزت رأسها يئأس هذه الفتاة ستبقى طفلة مهما كبرت.

اعتدلت في رقدتها فنامت على ظهرها، ووضعت نادية رأسها على صدر والدتها، ثم تحدثت هالة: في زمانٍ بعيد، كانت هناك مملكة عظيمة، ومملكتها هي طائر الفينيق أو "العنقاء"، كان جميع رعيتها من طيورٍ جوارح وغربانٍ وغيرها يجلبونها ويكونون لها الاحترام دائماً، لكن كان هناك من يضررها العدا والشر، وهو وزيرها النسر.

قاطعت والدتها بفضولٍ طبيعي: لكن أُمي، العنقاء هي أسطورة أو خرافة، ولا وجود لها في الحقيقة، صحيح؟؟

تنهدت بخفة لتجيبها بينما أصابعها تعبت بشعرها الحريري الطويل: حتى الخرافة قد تصبح يوماً حقيقة، والأسطورة دائماً ما تكون مُلهمة.

سكتت نادية عندما لم تجد مآترد به على والدتها، وآثرت الاستماع إلى الحكاية، فيما أردفت هالة: طمع النسر في العرش وأراد خالصاً لنفسه، فبدأ بتحريض الرعية ضد الملكة، حتى قامت المظاهرات والاحتفافات ضدها، استغربت الملكة الأمر وسألت النسر عن السبب، لكن الأخير أنكر معرفته مدّعيّاً أن الرعية لا يليق بها سوى السوط والحزم.

تنهدت هالة بتعبٍ طفيف ثم عادت لتكمل: ظنت الملكة أن المظاهرات لن تلبث إلا قليلاً وستخبو، لكن ما لم تضعه في حساباتها هو غدر النسر، لقد دبر لها انقلاباً مع معاونيه، ولم تشعر العنقاء بنفسها إلا وأصبحت حبيسة أحد الأبراج في قصرها.

اتسعت عينا نادية في اندماج وفضول، واشتدت قسماتها وترقبت سماع البقية: لقد أصبح النسر هو الملك، والعنقاء محبوسة في البرج، لم تتحمل الظلم الذي وقع عليها فمرضت، وجاء النسر لزيارتها، رآها في الزاوية تنكمش على نفسها وتحتضر، ابتسم ساخراً لمنظرها، لكنها رفعت رأسها في إباءٍ لتخبره، سأموت اليوم، لكنني سأعود في الغد.

رفعت نادية رأسها إلى والدتها لتسألها باهتمام: ماذا حدث أمي؟؟
ابتسمت هالة بخفة لتنظر إليها وتخبرها بصوت رقيق: فتحت جناحيها وحركتهما في الهواء، ومالبثت أن احترقت العنقاء.
شهقة متفاجئة خرجت من جوفها دون أن تدري، لكن هالة تابعت:
استغرب النسر احتراقها لكنه اعتقد أنها ماتت، ولم يرَ تلك اليرقانة الصغيرة التي خرجت من الرماد وزحفت ببطء إلى أشعة الشمس، حيث عادت وتكونت عنقاء جديدة.

أسندت رأسها إلى كفها تتابع بلهفة نهاية الحكاية، سمعت والدتها تضيف:
مرت فترة حتى كبرت العنقاء الجديدة، وبضربة واحدة من جناحيها القويين كسرت حديد الزنزانة وخرجت، ولم يشعر النسر إلا برؤيتها واقفة أمامه بحلةٍ جديدة، وبضربة أطاحت به من فوق كرسيها لتسترجع عرشها، ويعود النسر ذليلاً تحت قدميها.

تساءلت نادية مجبين مقطب: وماذا حدث للنسر بعد ذلك؟؟؟

ابتسمت هالة لتنظر أمامها مجيبةً: لقد نفته إلى أبعد أصقاع الأرض عقاباً له على خيانتته وغدره، وعادت العنقاء ملكة عادلة تنشر العدل والمحبة وإن كثر الغدر والخيانة.

ظلت للحظات تناظر والدتها باستغراب، أخفضت عينها لتعدل وضعية رأسها على صدر أمها مرددةً: قصتك مخيفة أُمي، لكنها مؤثرة طبعاً. أجابتها هالة: أرايتي يابنتي ما الحكمة من قصتي تلك؟؟ فالعنقاء رغم جمالها لكنها أيضاً لم تتخل عن حقها.

تساءبت بنعاس انعكس على نبرتها وهي تهمس: لا أُمَل من سماع حكاياتك أُمي ولا أكتفي منها.

ساد الصمت بعدها للحظات، علمت هالة بعدها أن ابنتها قد ذهبت في سباتٍ عميق، تنهدت بخفة وهي تمسد على شعر تلك الشقية الأسود الطويل، هي ابنتها الوحيدة وكلُّ من تبقى لها في الحياة، حقيقةً لا تعلم لما قصّت عليها هذه الحكاية، لكنها هذه الأيام تشعر بقلقٍ غير مبررٍ عليها، تنفست بعمق وهي تأمل أن يكون هذا فقط تهيؤات لا أصل لها.

شابهت نادية والدتها كثيراً، فقد تشاركتا العيون الذهبية والتي تتحول إلى اللون الأخضر تحت أشعة الشمس، والشعر الحريري الطويل ذو الخصلات الليلية الحالكة والقوام المشوق والطول الفارع والبشرة القمحية، الأنف المُستدق كأنها نسخةٌ مُصغرة عنها، باستثناء وحمّة وردية اللون على شكل قطرة ماء على كتف نادية الأيمن من الأمام، لتعطيها مظهراً متميزاً لو

أرادت إظهارها، إلا أن ملابسها جميعها كانت مُحْتَشَمَةً فلا تظهرها خارج المنزل أبداً.

كانت هالة وحيدةً والديها أيضاً، أحبت ابن خالتها عمار منذ أن كانوا أطفالاً وتكلَّل حبهما بالزواج، انتقلا إلى هذا المنزل بعد زواجهما، لتتعرف إلى صديقتها الوحيدة (ميساء)، أرملَةً مع ولدٍ واحد يدعى جهاد.

شاء القدر أن يتوفى عمار بسبب حادث مروري عندما كان عمر ابنته ثلاثة أشهر، جَفَّ حليبها حزناً على زوجها، فتولَّت عليها مهمة إرضاع الصغيرة مع ولدها الذي كان يبلغ عمره حينها سنة واحدة.

أغمضت عينيها بقوة وهي تحاول أن تغفو قليلاً، لكن خوفها الذي بدأ يتزايد على ابنتها منعها، خاصة أن لا أقرباء لها سوى شقيقها في الرضاعة جهاد، رغم معرفتها بحبه لها وتعلقه الشديد بها، لكن هذا لم يمنع قلقها.

فتحت ميساء، الجارة في الطابق الأعلى، باب شرفتها الضيقة، لتخرج إليها مُلتحفَةً بوشاح صوفي ثقيل، خطت فوق المياه التي تجمعت على أرضية الشرفة من أثر عاصفة أمس، راقبت ذُرور الشمس التي أطلّت على استحياء بعد ليلة عاصفة.

استندت على سور الشرفة الخشبي بذراعيها وأحنت رأسها بثقل، شعوراً قوياً بالقلق والخوف لازمها منذ أن أخبرها ابنها جهاد بدخوله في دورة قامت وزارة الداخلية بتنظيمها في كليته، لاختيار عددٍ من الناجحين في نهايتها لتأهيلهم كضباط سريين، أو جواسيس بمعنى أدق.

شردت في الأفق البعيد في ذكريات بعيدة، كانت ميساء الابنة المدللة لأحد أكبر وجهاء قريتها وكانت عائلتها ثرية جداً، أحبت شاباً فقيراً من قريتها يدعى جميل زاهي، تقدم لخطبتها لكن والدها رفضه بسبب فقره، بعد مدةٍ قصيرة حصلت مشكلة كبيرة بين عائلتها وإحدى العائلات الكبيرة الأخرى في منطقتها، راح ضحيتها والدها الذي قُتل أثناء العراك إضافة إلى عدد من الشبان من العائلتين، قام أغلب رجال عائلتها ببيع ممتلكاتهم وهاجروا من القرية بسبب كثرة المشاكل فيها تاركين تلك اليتيمة لقمة سائغة لجميل الذي خدعها، فتزوج منها بعقدٍ لدى شيخ القرية دون أن يثبتته في المحكمة، بعد فترة أقنعها بأن تبيع أملاكها التي ورثتها عن والديها ليهاجرا من القرية أيضاً، وبعد أن أخذ المال العائد من البيع أخبرها بأنه سيسافر إلى العاصمة ليشتري لهما منزلاً على أن يعود إليها بعد أسبوع،

توالت الأسابيع بعد رحيله دون أن يعود، وما زاد من شقائها علمها بأنها حاملٌ لكنها من دون معيلٍ الآن.

سمع بقصتها أحد أقارب والدتها، قدّم الرجل الستيني وأخذها إلى منزله الذي يقطنه بصحبة زوجته وحيدتين بعد وفاة ابنهما، حاول الرجل تثبيت عقد زواجهما من جميل لدى المحكمة، لكنه لم ينجح بسبب غياب الزوج وانعدام وكيلٍ عنه، فاقترح سليمان عليها أن يُسجل الصبي باسمه هو وزوجته، فوافقت إذ لم يكن أمامها حلٌّ آخر.

توفي سليمان بعد أربعة أعوام وتبعته زوجته أمنية بعد عامين، لتكتشف ميساء بأنها قد أورتاها منزلها بالإضافة إلى محلّ صغير للثياب لتعتاش منه مع طفلها، عندما كبر ولدها أخبرته بقصتها، لكنها استثنت اسم والده الحقيقي وحقيقة هربه بعد أن سرقها.

ضربت أشعة الشمس عينيها العسليتين لتعيدها من شرودها، تنفست بعمق وهي تشعر حقاً بالامتنان لسليمان وأمنية، فلا تستطيع تخيل كيف ستكون حياتها وكيف سيكون وحيدها لولاها.

جهاد الآن يدرس سنته الأخيرة في كلية الحقوق، وهو يتدرب تحت إشراف أحد أساتذته في الجامعة حالياً، لكنه لم يجد نفسه في المحاماة رغم أنه من اختار هذا الاختصاص بنفسه، فقد كان يريد شيئاً أكثر إثارة، لذا لم يتردد

عندما أخبره أستاذه بأمر الدورة الخاصة التي نظمتها وزارة الداخلية في كلية الحقوق.

في قصر امتاز بالحدادة والعصرية الباذخة، قصر رفعت الصايل، الصحفي المشهور صاحب أكبر وأهم المجلات الأسبوعية الشاملة في البلد. استيقظ ماجد، ابنه الوحيد على فتاتين، من نومه العميق مجبراً عندما اقتحمت أشعة الشمس أجفانه لترغمه على فتحهما على مضض، تطلع بنصف عين إلى والدته (نازك جابر) السيدة الأرستقراطية.

نازك جابر، ابنة أحد أعرق العائلات الأرستقراطية في البلاد وأغناها، هي الأخت الوحيدة لشقيقين، أحدهما أكبر منها وهو اللواء (عبد الرحمن جابر) رئيس قسم مكافحة الاتجار بالبشر، والثاني أصغر منها ويدعى (فاروق جابر) مالك شركة كبيرة للمحاماة، وهو بذاته محامٍ مرموق لم يتجاوز الأربعين من عمره.

تزوجت نازك من رفعت بعد وفاة زوجته الأولى، تاركةً له ابنتها وأسمائها نورا، وبعد عامٍ واحد وُلِدَ ماجد أكبر ابنائها، وبعد أقل من عامين أنجبت بيسان.

أغمض ماجد عينيه مجدداً نافخاً بضيق: صباح الخير أُمي. لم تجبه والدته، بل وضعت كلتا يديها على خصرها النحيل، طرقت بجذائها باهظ الثمن ذو الكعب العالي على الأرضية اللامعة وهي ترمقه بغضب، علم ماجد ما خلف هذا الجمود من والدته، فاعتدل في جلسته فوق السرير، تشاءب بنعاس ومرّر يده بين خصلاته البنية، رفع عينيه الخضراوين التي ورثها عنها لتقابل عينيها الغاضبة، ثم غمغم باعتذار: أعذر أُمي لقد مرّ الوقت علينا دون أن نشعر به.

تكرمت أخيراً لتردّ عليه فهتفت به بحدة: مرّ الوقت دون أن تشعر ماجد؟؟ تتركني أنتظر عودتك هنا وعلى أحرّ من الجمر حتى بزغ الفجر دون حتى أن تتكرم جنابك وتقدم لي عذراً مقبولاً؟؟ إلى متى ستبقى في هذا الاستهتار وعدم المبالاة؟؟

لم يجبها، فهو يعلم كيف يمتصّ غضبها كأنه لم يكن، نهض تاركاً فراشه حتى وقف أمام والدته الغاضبة، رفع كفها ليلثمه هامساً برقة: أعذر إليك نازك هانم، وأعدك أنها لن تتكرر.

لانت ملامحها قليلاً لكنها صاحت به بسخط: ستتكرر ماجد، أنا متأكدة من هذا.

لثم يدها مرة أخرى ليغمزها مردفاً بنحيب: ما هذه التسريحة الجميلة نازك هانم؟؟ لقد قصّرت شعرك وصبغته باللون الأشقر؟؟ يا إلهي أُمي! أنا أرى البشر يتقدمون في العمر، لكنك دائماً ما تتقدمين في الجمال.

أسبلت خضراوتيهما في خجلٍ مصطنع من تغزله بها، لانت نبرتها وهي تتمتم بدلال: أنت الوحيد الذي تنصفني في هذا المنزل.
تحولت نبرتها إلى السخط مضيئةً: على الأقل لست كوالدك وابنتيه ومثاليتهما المقرفة.

ابتسم بارتياح لأنه نفذ من غضب والدته كعاداته في كل مرة، وبقي يستمع إلى شكواها الدائمة من والده وشقيقتيه، بيسان ونورا.
انتهت نازك من وصلة السخط المعتادة الموجهة ضد رفعت والفتاتين، ثم التفتت نحو ولدها لترفع سبابتها في وجهه بتحذير: وأنت، يجب أن تذهب إلى الجامعة اليوم، أفهمت؟؟

اتسعت عيناه بدهشة ثم هتف بعجالة محاولاً إثنائها عن قرارها: ما بالك أُمي؟؟ ألم نكن جيدين منذ لحظة؟؟

وبخته بحدة: ماجد، يكفي استهتاراً، يجب أن تنجح السنة وتخرج من الكلية لتستلم مكان والدك في إدارة الصحيفة، فهو مريضٌ ولن يقدر على متابعة العمل.

حاول الحديث مجدداً لكنها رفعت يدها أمام وجهه مضيئةً بجسم: لقد سمعتني جيداً، وصدقني لو تجرأت ولم تذهب فسأوقف كافة بطاقتك الائتمانية.

كادت تخرج قبل أن تعود إليه لتقول برفعة: ولا تتأخر عن موعد الإفطار.

خرجت أخيراً لتتركه يسب نفسه بصوتٍ منخفضٍ، لكم يكره تسلطها الدائم عليه وعلى شقيقاته، وكم يكره ضعف شخصية والده، فبالرغم من أنه صحفي مشهور إلا أن شخصيته معدومة أمام زوجته ولا رأي له في حضورها، نفخ بملل ثم توجه إلى حمامه ليغتسل استعداداً للذهاب إلى كلية الإعلام والصحافة، فهو لم يذهب إليها منذ بداية هذا العام.

نزل جهاد متجهاً إلى كلية الحقوق، فاليوم آخر أيام الدورة، وفي الغد سيتم إعلان النتائج.

طرق على باب منزل هالة، جارته في نفس المبنى، فتحت نادية الباب مُرتديةً ملابسها استعداداً للذهاب إلى جامعته، كتفت يديها أمام صدرها واستندت على الباب، ابتسمت بخفة لترحب بشقيقها في الرضاعة: أهلاً وسهلاً بالسيد جهاد، أهذا وجهك أم نور القمر؟؟؟

بادلها جهاد ابتسامة صغيرة يردّ عليها بمشاغبة: كيف حالك يا صاحبة اللسان الطويل؟؟؟

وقبل أن تردّ عليه صاحته والدتها من داخل المطبخ: من الباب يا نادية؟؟؟
التفتت إلى الخلف نصف التفاتة لتجيبها بنبرة شابهة بعض السخرية: إنه المحامي العتيد السيد جهاد.

نكزها على رأسها بغیظ، فتأهوت بألم وقبل أن تنهره حضرت والدتها حاملاً
في يدها خرقةً ما تجفف يديها بها، وعلى ثغرها ابتسامة صافية: أهلاً بك
يابني، تعال ادخل.

قابلها الأخير بجسده يبادلها تحيتها: مرحباً بجميلة الجميلات وسيدة البنات.
قهقهت هالة من قلبها بينما امتازت نادية غيظاً فصاحت به وهي ترمقه
بنصف عين وحاجبٍ مرفوع: هل تتغزل بأبي سيد جهاد؟؟
اقترب من هالة ليحتضنها بحنانٍ ساخراً من الأخرى: وما شأنك بيني وبين
ماما هالة أنت؟؟

ظلاً يتمازحان كلاهما بمشاغبة حتى صاحت هالة بكليهما: يكفي
أنتما!!!

تجمدت نظراتهما عليها، ثم تحدثت بصرامة موجهةً كلامها إلى ابنتها: ادخلي
أنتِ لتجلي كتبك ويوصلك جهاد إلى جامعك هيا.
ضغطت على شفتيها بتفهم وهي تحارب ابتسامتها، فيما نقلت هالة نظراتها
إلى جهاد وقبل أن توجهه اقترب ليقبلها على رأسها بغتةً قائلاً على عجل:
أطال الله في عمركِ ماما، سأنتظرها في الأسفل.

رفرفت بأهدابها وهي تطالع خياله الهارب، استفاقت من ذهولها على قبلة
ابنتها على وجنتها، لتهرب هي الأخرى إلى الأسفل بعد أن جلبت كتبها،
استوعبت هالة للتو هروب ذينك الشقيان فصاحت: أيها ال...

صاح كلاهما بتحذير ليقاطعاها قبل أن ترميها بكلمة نائية: ماما!!!

ضغطت على شفتيها بقوة بغضب، مالبت أن تحولت ملاحظها إلى السعادة وهي تسمع ضحكاتها من أسفل البناء، حركت رأسها للجانبين بيأس من تصرفاتهما الطفولية، ثم دلفت إلى منزلها لتتأهب للذهاب إلى عملها هي الأخرى، حيث كانت تعمل مع جارتها ميساء في محل الثياب البسيط.

شبانٌ وفتيات من مختلف المناطق والطبقات الاجتماعية، شكلوا أشبه بمجموعات، كل مجموعة منهم لها ميزاتها، فهذه المجموعة مختلطة من الشباب والفتيات، وتلك مجموعة للبنات فقط، وأخرى للأذكاء في الدراسة وثانية للفاشلين، وتلك المجموعة للأثرياء وأخرى للمُعْدِمِينَ.

تلك السيارة الحديثة التي وصلت إلى الكلية خطفت الأنظار، فهي من أحدث طراز من سيارات (الفياري) باللون الأحمر الصارخ، تطلع الجميع إلى صاحبها بفضول وقد عرفه معظمهم، كيف لا وهو ماجد رفعت الصايل ابن مالك أهم المجالات في البلاد، وعائلته ذات المكانة المرموقة.

تطلعت سمية بفم مفتوح، حالها حال الجميع عندما رأوه، فيما صديقتها نادية تجلس بجانبها منكبةً على كراسيها تراجع ما أخذته في الأمس من محاضرات، وفي الطرف الآخر تجلس نهلة تعبت في هاتفها بملل.

صاحت بهما سمية بهيام واضح في نبرتها: هل تعرفان من حضر اليوم إلى الجامعة؟؟

رفعت نادية أنظارها إليها لترآها شاردة أمامها، تطلعت إلى حيث تنظر فشهدت شاباً ذو طول فارح وجسد رياضي، أكتافه العريضة أعطته مهابةً زائدة وخصلاته البنية اللامعة زادت تقاسيم وجهه وسامةً، كانت جاذبيته تأسر أعنى النساء، لربما أعجبها شكله لكنها كانت تولي الاهتمام للجمال الداخلي دوماً.

أعادت نظرها إلى سمية تسألها: ومن يكون هذا؟؟
التفتت سمية نحوها لتقول بنبرة مُتِيمة: إنه ماجد الصايل، ابن رفعت الصايل.

هتفت نادية بدهشة: صاحب مجلة (الصايل) الأسبوعية؟؟
أومأت لها بنشوة فانتبهت نهلة إلى حديثهن فنطقت تسأل سمية بشك:
وكيف عرفته أنت؟؟

ناظرتها بترفع لتجيبها واثقةً: أُمي تعمل مديرةً لمكتب والده، وقد رأيته هناك ذات مرة عندما ذهبتُ لأُوصل لأُمي بعض الورق الضروري.
استغربت نادية الأمر فهتفت: وهل تحسنت علاقتك بوالدتك إلى هذه الدرجة سمية؟؟

أشارت الأخيرة بيدها هاتفةً بسخط: لا لم ولن تتحسن مالم تُحسن من وضعنا المُزري، لكنني مُضطرة لتحسين علاقتي بها حالياً فقط حتى تحدث السيد رفعت بشأن تدريبي عنده.

اقتربت نهلة منها وهي تضيق عينيها لتسألها بريبة: ولم تريدن أن تتعيني هناك حصراً؟؟

وضعت يدها تحت وجهها لتعيد أنظارها إلى حيث جلس ماجد مع ثلاثة شبان آخرين، متحدثاً بهيام: لأجل أن أرى ماجد فقط. تنهدت بحرارة قبل أن تضيف: إنه وسيمٌ وثريّ.

هتفت نهلة باستفزاز: بالطبع، فأهم ما في الأمر أنه ثريّ. نظرت إليها بغیظٍ، وكادت أن ترد قبل أن تنهي نادية الجدال المعتاد بينهما والذي غالباً ما ينتهي بخصاصٍ، استقامت من مكانها قائلة: هيّا أنتما، فلنذهب إلى القاعة، ستبدأ المحاضرة الأولى قريباً.

على الجانب الآخر، هناك زمرديتان تراقبان نادية دون أن تأبه به، كان صهيب يناظرها بهيام عندما نكزه ياسر بكتفه متحدثاً وهو يغمره بوقاحة: إذاً صهيب، ألم تستطع اصطیاد تلك الغزالة بعد؟؟

التفت نحوه بحدة مُجيباً بنبرة تحذيرية: ياسر، لا شأن لك بنادية، أفهمت؟؟ ابتسم الآخر ببرود فيما لاحظ ماجد التوتر بينهما فأردف بتساؤل: عمّن تتحدثان؟؟

كاد ياسر أن يتحدث قبل أن يقاطعه صهيب بعصبية مشيراً بيد بلا مبالاة: لا أحد.

زادت إجابته من فضول ماجد، فاعتدل في جلسته ليقابلهما هاتفاً بعينين ضيقتين: أخبراني من تقصدان بحديثكما؟؟

تدخل غدي، الصديق الرابع في المجموعة قائلاً: إنهما يتحدثان عن نادية. رmqه صهيب بغيظ فيما تساءل ماجد: نادية؟؟ من تكون؟؟

تحدث غدي مُتجاهلاً نظرات صهيب الحارقة: باستطاعتك أن تسميها الفتاة المثالية، أو أمنية كل أب وأم.

أضاف ياسر قاصداً التغزل بها: فتاة كاملة متكاملة، جمالاً وأدب وأخلاق، إنها محط اهتمام كل شبان الجامعة.

جذبت أوصافها ماجد فآثارتة، كاد أن يتحدث فقاطعه صهيب موجهاً حديثه إلى غدي وياسر قاصداً إهانتهم: بالطبع ستكون محط اهتمام الجميع، كونها لم تنجذب لثريين فارغين مثلكما.

طالعه ياسر باستهزاء مُعقباً: وكأنها انجذبت إليك وأنت العاشق الوهان؟؟

احتقنت أوداجه وكاد أن يرد عليه عندما قاطعه ماجد مُتسائلاً بفضول: هل تعجبك حقاً؟؟

أشاح صهيب بوجهه للجانب الآخر دون إجابة زافراً بغيظ، فيما صاح ياسر: لا تعجبه فقط، بل لم يترك سبيلاً منذ بداية هذا العام إلا وجربه لكن لم يفلح معها شيء. ثم أخفض صوته مُضيفاً: لقد عشقها يا رجل!!!

ضيّق عينيه وعقد حاجبيه بتفكير قبل أن يتحدث بنبرة خطيرة: أروني إياها.

التفت صهيب نحوه كالطلقة، ناظره بشك هامساً: نبرتك هذه لا تبشر بالخير مطلقاً، ما هي نواياك ماجد؟؟؟

ابتسم بحبثٍ ولم يحبه بينما أشار له ياسر: انظر هناك، إنها تلك الفتاة التي نهضت لتوها.

نظر حيث أشار رفيقه فشاهد ثلاثة فتيات يحملن كتبهن متجهات إلى مبنى المحاضرات، عقّب غدي متحدثاً: إنها ذات الشعر الأسود الطويل.

تفحص ماجد الفتاة المقصودة، رآها ملاكاً يمشي على الأرض، قوامها الرشيق الذي تخفيه ملابسها المحتشمة، شعرها الطويل الذي عقصته للخلف برابطة شعرٍ تقليدية لتتركه منسدلاً على ظهرها على شكل جديدة حرة، جذبه شكلها وأغراه أكثر.

هتف صهيب بريية عندما رأى ابتسامته الماكرة: علام تنوي ماجد؟ التفت صوبه مجيباً بنبرة حاسمة: ليس هناك من لا يخضع لسلطة المال، عليك فقط أن تعرف كيف تغويها.

شعر صهيب بالقلق على نادية أكثر فنبرة ماجد كانت مخيفة وقد فهم مغزاها، فقال محاولاً إثنائاً: نادية مختلفة ماجد، ليست كباقي الفتيات اللواتي عرفتهن.

لم تتزحزح ابتسامته الماكرة وهو يقول: أمام سطوة المال لا أحد مختلف، وبإمكاني إثبات ذلك لك.

نطق ياسر قاصداً أن يُلهبَ الأجواء: هل أنت متأكد من أنك تستطيع أن تجذبها إليك؟؟ فأنا أشك في أنها قد تتجاوب معك؟؟

ناظره باستهزاء محجياً: أنتم الأغبياء ولا تعرفون كيف تخدعون الفتيات.

خاطبه غدي باستفسار: إذاً ماذا ستفعل معها؟؟

تحدث بمكر: كل شيء جميل في وقته صديقي.

أسرع ياسر يقاطعه بعجالة: وإن فشلت؟؟

التفت نحوه بحدة قائلاً وهو يصّر على أسنانه: لم يسبق وأن فشلتُ في حياتي كلها، خاصة عندما يتعلق الأمر بالفتيات.

ابتسم بمكر ليجيب بذبرة مستهزئة: هناك دائماً مرة أولى ماجد.

ردّد الأخير بعزم: هل تريدها رهاناً؟؟

نطق ياسر بحاجب مرفوع وهو يريد رفع سقف المنافسة: هل بإمكانك أن تجذبها إلى فراشك؟؟

بدت الدهشة واضحة على وجه صهيب وغدي، فيما طالعه ماجد بنظرات غامضة، مما جعله يردف: هذا شرطي لك ماجد.

قال الأخير بثقةٍ منقطعة النظير: أجل.

سارع صهيب يهتف محاولاً أن يُحجم الأمر قبل أن يخرج عن السيطرة: إذاً حدّدا مهلةً لانتهاء الرهان، وأنا من رأيي شهر واحد يكفي، إن لم تنجح بجعلها تقع في غرامك ستبتعد عنها.

مدّ ماجد يده متمتماً بابتسامته الحبيثة: وأنا موافق.

امتدت يد صهيب لتعانق يده، ازدرد ريقه بقلقٍ حقيقي عليها، يعلم أنها ليست كمثيالاتها لكن ماجد أساليبه مخيفة وملتوية.
تحدث أخيراً وهو يستندُ بظهره إلى الخلف: أخبروني بكل ما تعرفونه عنها.

خرجت كُلُّ من نهلة ونادية بعد يومٍ حافل من المحاضرات، بينما أبطأت سمية عنهن في أمرٍ شغلها.

كانت تمشي على حافة الطريق وتحادث رفيقتها بخفوت، عندما مرّت سيارة ماجد الذي قصد إيهامها بأنه سيدهسها، صرخت بهلع عندما وقعت أرضاً من هول المفاجأة، فأوقف سيارته وعلى ثغره ابتسامة مأكرة اختفت عندما ترحل منها، رآها تنفض ثيابها بعد أن عاونتها نهلة في الوقوف، نفضت التراب عن بنطالها فلاحظت أنه تمزق قليلاً من ناحية الركبة.

تأففت بضيق عندما أطلَّ عليها ظلٌ طويل يسألها ببرود: هل تأذيتي؟؟
رفعت عينيها التي أدمعت بسبب السقطة فيما تابع هو بلا مبالاة: أنتِ المذنبة بالمناسبة، ألا تنتبهين لموقع خطواتك يا آنسة??

رمقته بغیظٍ لكنها لم تجبه، بل تركته واقفاً مكانه ومضت في طريقها تصحبها صديقتها، رفع حاجبيه بدهشة فلم يتوقع أن تفعل هذا معه، توقع ما إن ترى وسامته القاتلة وسيارته التي تدلّ على الثراء الفاحش حتى تلين فوراً، لكن فعلتها أثارت حنقه، لقد احتقرته ببساطة.
تصرفها هذا استفزه وزاده تمسكاً بأن يجذبها إليه.

استدار ليطالع خيالها، وصل ياسر إلى جانبه ليهمس له بفحيح كالشياطين، وهو ينظر إلى طيفها المغادر أيضاً: لقد أخبرتك إنها ليست سهلة. ضيق عينيه وهو يجيبه بنبرة تكاد تميز غيظاً منها: أخبرني، في أي سنة هي؟؟

ابتسم الآخر بخبث قائلاً: إنها في السنة الثالثة.

التف نحو رفيقه يسأله: ما الذي تنويه؟؟

تنفس بعمق، ليشق ثغره ابتسامة باردة: أريد أن أعرف جدول محاضراتها.

فتحت نادية باب منزلها بحذر شديد وهي تدعو ألا تقابل والدتها في طريقها حتى تدلف إلى غرفتها وقد نجحت بصعوبة، فقد كانت والدتها في المطبخ.

بدلت بنطالها الممزق بسرعة فلا تريد أن تسبب لها قلقاً لا داعي له، خرجت إلى المطبخ صائحة بمرح: الله، ما هذه الروائح الزكية هالة هانم؟؟

انتفضت والدتها بذعر عندما سمعت صوتها، وضعت يدها على صدرها ثم زفرت براحة لتتحدث بلوم: نادية!! حبيبتي لقد أفزعني.

احتضنتها من ظهرها مغممةً باعتذار: آسفة أُمي، لم أقصد ذلك.

ازدردت هالة ريقها، ثم رسمت ابتسامة فاترة لتخبرها بنبرة هادئة: لا مشكلة عزيزتي، يبدو أنني لم أنتبه لدخولك، لقد نضج الطعام، اذهبي واغتسلي بسرعة.

أشارت لها بالإيجاب، ثم تحركت إلى الحمام الملحق تاركةً والدتها تستند على طاولة المطبخ الرخامية، أغمضت عينيها للحظات وهي تشعر بقلقها يزداد، فتحت عينيها لتنظر إلى السماء داعيةً بأن يحمي وحيدتها.

في اليوم التالي:

دلف جهاد إلى كليته متوجهاً من فوره إلى مكتب العميد، اليوم سيتم صدور النتائج وإعلان الناجحين في الدورة التدريبية، وجد عدداً لا بأس به من الطلاب المشاركين فيها، طالع التجمهر الموجود بقلق طفيف، وكان من بين المتواجدين فتاةً هي الوحيدة المشاركة فيها، كانت مياس تستند على الحائط خلفها وتثني قدمها للخلف لتسندها أيضاً على الحائط، ابتسم جهاد عندما لمح صديقه فتقدم صوبها صائحاً: مي.

التفت نحوه واعتدلت في وقفها عندما وصل إليها مبتسمةً باقتضاب فخطبها قائلاً: كيف حالك؟؟

_ أنا بخير جهاد، شكراً لك.

ردت عليه بجملتها المقتضبة، ليتضح صوتها الأجلج الذي كان قوياً متيناً، لا يشبه أصوات الفتيات عادةً، الحقيقة أن ثيابها أيضاً لا تشبه ما ترتديه الفتيات، خاصةً بقميصها الأسود وقد ثنت أكمامه للأعلى، وبنطال جينز أسود كذلك، ملامحها كانت توحى بالثقة والقوة مقرونة بالكبرياء، وقد عقصت شعرها الأسود الغزير على هيئة جديدة طويلة على ظهرها، فزادتها مهابة، كان جهاد قد تعرف إلى مياس أثناء التسجيل في الدورة، حينما تقدم منها مستغرباً وجودها في دورة يُفترض أنها للرجال، حينها تلقى منها توبيخاً لاذعاً جعلته يندم ندم حياته، فيما بعد أصبحا من أعز الأصدقاء.

استند جهاد إلى الحائط بجانبها ليسألها: إذاً مي، هل تتوقعين أن تكوني من ضمن المختارين؟؟

ابتسمت لتجيبه بثقة مفرطة: بل أنا متأكدة من ذلك.
طالعها بدهشة حقيقية قائلاً: حقاً أنتِ تدهشينني، أتّى لك كل هذه الثقة بالنفس يا فتاة؟؟

ضربته على كتفه بخفة رغم ذلك ألمته فقالت بلؤم: هل تود معرفة سبب ثقتي بنفسي حقاً؟؟
تأوه من ضربتها فمسّد كتفه بيده الأخرى وهو يتمتم بامتعاض:
لا شكراً، فقد علمت سببها.

خرج الحاجب من غرفة العميد ليطلب إلى المتواجدين الدخول على شكل ثنائيات، دخل الطلاب خلفه بهدوء، ليجدوا لجنة مؤلفة من العميد وضابط كان من بين المكلفين بتدريبهم، وأيضاً مندوب عن وزير الداخلية. وقف العميد بدايةً ليوّجه كلمة شكر وتشجيع للطلاب، ثم تم الإعلان عن أسماء الناجحين الخمسة وقد كان جهاد ومياس من بينهم، ولكن بعد مغادرة الطلاب الباقين أخبرهم العميد بأنه سيتم فرز كل ضابط في مكان مختلف: لقد تم فرز مياس إلى قسم مكافحة تهريب الآثار، فيما تم اختيار جهاد لفرزه إلى قسم مكافحة الاتجار بالبشر.

على قدر سعادتهما بنجاحهما على قدر ما أحزنهما أنهما سيتفرقان، اتجهت مياس إلى عائلتها لتبشرها بنجاحها، فيما عاد جهاد إلى منزله ليخبر والدته بالأمر.

تغيبت سمية اليوم عن الجامعة، فيما كانت نادية ونهلة متجهتين إلى القاعة عندما لمحتا ماجد واقفاً أمام الباب العريض، طالعا بنظرة خبيثة إلا أنها تجاهلته تماماً وتابعت دخولها، لكنها وجدت في مكانها ورقة صغيرة، قد كتب فيها رقم هاتف مرفقاً بعبارة: حادثيني.

تجاهلت وجود الورقة وغيرت مكان جلوسها، مما أثار استغراب نهلة التي هتفت بتساؤل: ما بك نادية؟؟ لم غيرتي مكانك؟؟

أشارت لها صوب الورقة هامسة: لقد وضع أحدهم ورقة في مكاني. أرادت نهلة أن تنهض من مكانها لكن يد نادية امتدت ل تمنعها وهي تنهرها: إياكي، وإلا سيظن صاحبها أنني من أخذ الرقم.

استغربت مقالها فهتفت باستغراب: وما أدراك أنها مُرسلة إليك أنت؟؟ أجابتها باستنكار ساخر: ربما لأنها في مكاني الذي اعتدت أن أجلس فيه منذ بداية العام يا ذكية؟؟

رفعت الأخرى كتفيها بلا مبالاة، وانتبهت كلتاها مع دخول أستاذ المادة. ظلّ ماجد يراقبها طول المحاضرة حتى انتهت ودون أن تأخذ الورقة، ازداد غيظه وحنقه منها بل وازداد إصراره على تملكها مهما كلفه الأمر.

كان صديق السوء ياسر يراقب ما يحدث عن بعد، كم كان سعيداً لأن ماجد أخذ الأمر على محمل الجد.

تقدم ناحيته عندما بدأ الطلاب بالخروج، وقف بجانبه مراقباً نادية، لاحظ أنها قد غيّرت مكان جلوسها، ثم لاحظ الورقة المرمية بإهمال، ابتسم بلؤم وقد علم أن ماجد من تركها وقد تجاهلتها، ربت على كتفه عقب خروجها تاركة الورقة محلها دون حتى أن تلتفت إليه، لاحظ عصبية التي طفت على وجهه فتوجه إلى مكان نادية ليأخذ الورقة فرأى فيها رقم هاتف ماجد، قهقه بصوتٍ مسموع وهو يشير بالورقة إلى رفيقه هاتفاً بشماتة ساخرة: أيها المسكين!! لم تأبه برقم هاتفك كما لم تأبه بك!!

احتقنت أوداجه وهو يسمع سخريته لكنه لم يجبه بل توجه حقه ناحيتها هي، تقدم ياسر نحوه وهو يتحدث بتمهل وقليل من السخرية، ويشدد على كل حرف: أهنأك من لا تُعجب بشخص ماجد الصايل وكل ثروته ونفوذه؟؟ وصل إليه ليتابع حديثه الخبيث هامساً بفحيح أمام وجهه: أعترف أنني تفاجأت.

تمالك أنفاسه الغاضبة ليردّ عليه بثبات ناقض الحرب المشتعلة داخله: مازلنا في بداية الرهان ياسر، لا تنس.

ابتسامة جانبية ارتسمت على شفثيه ليردف: إنها المحاولة الثانية صديقي، ولا زالت لا تأبه بوجودك أساساً.

رفع كتفيه وهو يقلب فمه بلا مبالاة: كأنك غير موجود.

غادر بعد أن ألقى تعويذته السحرية التي جعلت الدماء تغلي في عروق ماجد غيظاً، من هي لتجاهل ماجد الصايل بمكانته المرموقة؟؟ وسواها يلهث خلفه دون أن يعبأ بهن؟؟ حسناً، من الواضح أنها مغرورة وتحتاج لمن يكسر كبريائها، التمعت عيناه بخبث وهو يتخيل ماقد يفعله معها وعلى كل فالرهان في بدايته.

راهن ياسر على كبرياء ماجد الذي لن يسمح لفتاة كنادية بأن تكسره، وإباء نادية الذي لم يسمح لأحد من قبل الاقتراب منها حتى ياسر نفسه، من الواضح أنه سيستمع بمشاهدة أحدهما يكسر عُتُو الآخر.

.....

انتهج ماجد على مدار الأيام التالية أسلوباً جديداً مع نادية، بعد يأسه من أن ترضخ له بطريقته المعتادة، فقرر في البداية أن ينتظم في دوامه، ثم طفق يتبعها في كل مكان، لاحظ أنها تُرافق فتاةً واحدة مُلازمة لها وقد علم من أصدقائه بأنها نهلة صديقتها المقربة وتكاد تكون الوحيدة عدا سمية، لا تُحادث سواها ولا تختلط بآخرين نهائياً.

بقي يراقبها في كل مكان تذهب إليه، حفظ حركاتها، ضحكاتها الناعمة لباسها المحتشم والأنيق في الوقت ذاته، كم كانت جميلة رقيقة!! استمر في ملاحقتها بنظراته لكنها استمرت أيضاً في تجاهله، وكلما زاد عنادها كان يزيد تكبره وإصراره على امتلاكها، أو كسرهما بمعنى أدق.

ظلّ يقف يومياً على باب القاعة التي تأخذ فيها محاضراتها، ثم يتبعها إلى مقهى الجامعة، تعمد جعلها تلاحظ مراقبته لها، حتى عندما تلتقي نظراتهما يتقصّد أن يطيل هذا اللقاء بينهما قدر المُستطاع، أجبرها على أن تفكر فيه بسبب كثرة ملاحظته لها ورؤيتها له في كلّ مكان تواجدت به.

وفي ذات مرة خرجت من القاعة متجهة نحو الحديقة لتجلس على مقعدها المعتاد، لتنتظر قدوم نهلة التي اتجهت لتجلب زجاجة مياه لنفسها، وجدت مكانها زهرةً حمراء نضرة، استغربت وجودها لكنها تجاهلتها، فاختارت كرسيّاً آخر لتجلس عليه، وقف قبالتها في مكان قريب، فتحت كتابها لتدرس فيه، لكنها شعرت بأحدهم يراقبها، رفعت أنظارها لتقابل عينيه الغاضبة، ظلت للحظات تطالعه باستغراب عظيم، لمّ هو غاضبٌ الآن؟؟ وجدت نفسها تلقائياً تفكر فيما فعلته جعله غاضباً هكذا.

فيما كان هو دائم الملاحقة لها، كان صُهيّب يراقبه بمزيج من الترقب والقلق، يخشى عليها من ماجد وأساليبه المُلتوية، وكلّما زادت مراقبة الأخير لها كان يزداد حنقاً وغيظاً من ياسر الذي لفت انتباهه إليها.

استمرّ على حاله تلك مدة عشرة أيام كاملة كانت قد أدمنت وجوده حولها وفي محيطها حتى حدث وأن غاب فجأةً.

جلست برفقة نهلة في حديقة الكلية، طالعت الأوجه حولها بشكلٍ أثار استغراب رفيقتها التي سألتها بغتةً: ما بكِ نادية؟؟

أجفلت مُنتبهةً إلى صديقتها فازدردت ريقها بتلبك فيما أردفت الأخرى:
 لَمْ أَرَكَ قلقَةً بهذا الشكل وكأن شيئاً هاماً قد ضاع منك؟؟
 تصنعت الابتسام مُجيبةً: لا شيء مهم نهلة، فلا تشغلي بالك.
 لم تصدقها الأخيرة خاصةً بعد أن لاحظت ارتباكها وتوترها الغير مفهوم،
 طالعتها بشيءٍ من الشك فعمدت نادية إلى توجيه اهتمامها إلى أمرٍ آخر،
 فهتفت مُتصنعةً الجديّة: أخبريني إذاً أين سمية؟؟
 قلبت نهلة شفيتها بسخط عندما سمعت سؤالها، بينما أضافت نادية: لقد
 طالت مدة غيابها، عسى المانع خيراً؟؟
 نفخت صديقتها بملل وهي تشير بيديها، مُتحدثةً بنبرة مُنزعة شابها
 بعض السخرية: لا تقلقي عليها، فالآنسة المُبجلة سمية كعادتها قد
 تشاجرت مع والدتها، فتركت الجامعة لأجل أن تغيظها وتجبرها على تنفيذ
 طلباتها.

رفعت حاجبيها للأعلى هاتفةً بدهشة: ولم تشاجرتا هذه المرة؟؟
 هزت رأسها بيأس مُجيبةً: لا شيء جديد، سمية تريد ثياباً جديدة ووالدتها
 لا تمتلك ثمنها، فافتعلت مشاجرةً معها.
 تنهدت نادية بحزن على السيدة رجاء، والدّة سمية، تلك السيدة العصامية
 طلقها زوجها وهاجر ليتركها مع ثلاثة أطفال لتعيلهم وحدها، رغم
 مكافحتها ومحاربتها دائماً في توفير مصدر رزق لها ولأولادها، واعتمادها

على نفسها في تأمين مستقبلهم، لكن هذا أبداً لم يكفِ سمية، فكانت دائماً ما تطالبها بالمزيد مهما بذلت وقدمت.

تحدثت نهلة بشيء من الضيق: سمية كالحقبة آكله ناكرة، لم تقدر تعب والدتها يوماً، يا لها من إنسانة جاحدة.

لم تسمع نادية معظم حديثها حين شردت فيمن احتل تفكيرها رغماً عنها، وجدت نفسها دون وعي تعود وتبحث معها عنه بين الطلاب الحاضرين في الكلية، ترى لم لم يحضر اليوم؟؟؟

ظلت تتساءل مع نفسها متجاهلة نهلة، لاحظت الأخيرة شرودها فقالت وهي تتفرس في وجهها: ما الأمر نادية؟؟؟ لم أنت شاردة هكذا؟؟ تنهدت بملل مجيبة بلا مبالاة: لا شيء نهلة لست شاردة.

ضيقت الأخيرة عينيها وهي تتفحص قسماتها بحرص قائلة بذرة ذات مغزى: لو لم أكن أعرفك جيداً نادية، لقلت بأن الأمر متعلق بشاب ما؟؟ زفرت بيأس من إيجاده أو رؤيته فانتفضت واقفة من مكانها هاتفة بضيق: أنا عائدة إلى المنزل.

رفرت بأهدابها وهي تقف مقابلتها، استغربت من تقلبها المفاجئ فعقبت على كلماتها فيما كانت نادية تلملم أغراضها: لكن الدوام لم ينته بعد، مازال هناك بعض المحاضرات و.....

قاطعتها نادية قائلة بتعب وهي ترفع كفها أمام وجهها: لا أستطيع نهلة فأنا متعبة، إلى اللقاء.

تحركت من فورها ولم تترك لنهلة فرصة الاعتراض أو اقناعها بالبقاء، شعرت بالريبة تجاه تصرفاتها، جلست مكانها تُعاین طيفها المُغادر وشعورٌ بعدم الارتياح سيطر عليها.

جلس رجلٌ وقورٌ لم يتجاوز بعد أعتاب الخامسة والأربعين من عمره، إلى طاولة كبيرة تتسع لاثني عشر شخصاً، نظر إلى ساعته و هو ينفخ بسُوءٍ لقد ملّ الانتظار وحيداً، حتى سمع صوت خطوات تنزل على الدرج بسرعة، رفع أنظاره ليطالع وجه ابنته الوحيدة ذات الملامح الأوربية الخالصة، بشعرها الأشقر ومقلتيها الخضراوين، وابتسامتها المميزة التي أهدتها لوالدها وهي تراه ينتظرها، قبلت وجنته وهي تتمتم باعتذار: أعتذر إليك والدي، لقد تأخرتُ في سهرتي أمس.

هتف جميل بحاجبين معقودين: لكن هذا لا يجوز بيلاً، أنا أنتظرك منذ نصف ساعة كاملة.

قبلته مرةً أخرى مُرددةً بدلع: آسفة مرةً أخرى، لن تتكرر أعدك. ابتسم لها مُجاملاً وهي تسحب كرسيها لتجلس بجواره، حضرت إحدى الخادِمات لتملاً كأسها بعصير البرتقال، ثم عادت للخلف لتقف باحترام تنتظر أوامر ربّ عملها.

تحدثت بيلاً فيما بدأ والدها بتناول طعامه: لقد سمعت أن إعلان طلب الموظفين قد نزل في الجرائد منذ يوم أمس؟؟

أجابها جميل فيما يدهن قطعة خبزٍ محمص ببعض القشدة والعسل: نعم
بيلاً هذا صحيح، وتنتهي مدة التقديم خلال ثلاثة أيام، ثم سنقوم بعدها
بعمل مقابلات القبول.

توقفت عن مضغ اللقمة في فمها وهي تناظره باستغراب هاتفةً: لكن هكذا
لن أتمكن من حضور المقابلات على هذه الحال.
طالعتها باستفهام فيما أردفت بتبرير: تعلم أنني مسافرةٌ في الغد لاستخراج
بقية أوراق من الجامعة الإيطالية.

قطب جبينه بجديّة هاتفاً: لقد نسيت الأمر كلياً صدقيني.
مسدت جبينها بسبابتها ثم انفرج ثغرها عن ابتسامة لطيفة ثم ردّدت: لا
بأس أبي، باستطاعتك تكليف السيد مراد بانتقاء الموظفين الجدد نيابةً
عني.

تنهد بقوة وهو يحرك رأسه بعدم رضا: ولكن المفروض أنك من يجب أن
ينتقيهم، فأنتِ رئيسة قسم الشؤون القانونية في الشركة بيلاً.
زمت فمها ورفعت كتفها بقلّة حيلة لتعقب: للأسف لن أتمكن من ذلك
هذه المرة فالجامعة لن تسلم الأوراق إلا بيد الطالب نفسه أبي، لذا أنا
مضطرة للسفر.

رفعت يدها لتضعه على كتف جميل مُضيفَةً بابتسامتها اللطيفة: والآن سيد
جميل، تناول طعامك بسرعة ولنذهب إلى العمل.

إيزابيلا ، ابنة زوجة جميل ووريثة الشركة الوحيدة، تعرّف جميل إلى والدتها ريهانا عندما كانت حاملاً بها في إيطاليا حيث كان يعمل نادلاً في أحد المقاهي هناك، كان والد إيزابيلا الحقيقي قد هجرها عندما علم بأمر حملها، رحل تاركاً ريهانا تتخبط وحيدة في الحياة، كانت تبكي بحرقة عندما تقدّم ليزع طلبها على طاولتها، دفعه فضوله ليسألها عن سبب بكائها يبضع كلمات إيطالية كان قد تعلمها، روت له مأساتها بعد إلحاح عظيم منه، علم أنها وحيدة والدها الثري وقد هجرها حبيبها، لمعت عيناه بطمع ورأى فيها فرصة تعويض أمواله التي سرقها من ميساء، وقد خسرها في لعبة القمار في أحد ملاهي إيطاليا وعلق فيها.

ظلت ريهانا تتردد على المقهى بشكل يومي، بينما كان هو يمثل عليها الاهتمام والحب، حتى عرض عليها ذات مرة أن يتزوجها كيلاً تأتي ابنتها إلى هذه الحياة بلا والد، صدقته ريهانا وتزوجته، وفي آخر أيام حملها أخبرها الطبيب بأن هناك خطراً فعلياً على حياتها وقد لا تنجو من العملية، اعتقد جميل بأنه سيرث أموالها كلها ليكتشف بعد ولادتها ووفاتها بأنها قد سجّلت أموالها كلها باسم إيزابيلا، على أن يكون جميل المسؤول المباشر عنها.

لم يمانع الأمر كثيراً، فربى إيزابيلا كأنها ابنته حقيقة وراعى الشركة جيداً وكانت بوابته للتغطية على شركة الظل التي أنشأها بمشاركة مافيات

إيطالية، ليعمل في إطار كلِّ أمرٍ خارج نطاق القانون، خاصةً في مجال تهريب البشر وتجارة الأعضاء.

على مدار الأيام الماضية انتقل جهاد إلى قسم مكافحة الاتجار بالبشر ليتّم تأهيله هناك، على ألا يتعارض مع دراسته الجامعية.

تعرف إلى رئيسه المباشر في القسم، اللواء عبدالرحمن جابر، رجلٌ خمسيني ذو أخلاق رفيعة، كانت هيئته شبابية لا توحى بعمره الحقيقي، وأيضاً تعرف إلى شريكه مهند، تولى الأخير مسؤولية تلقين جهاد القوانين والأنظمة التي يجب عليه اتباعها، أما اليوم فهناك اجتماعٌ هامٌ بين الثلاثة، سيتحدث اليوم اللواء عبد الرحمن عن القضية التي سيتسلمها الاثنان، رجلٌ أعمال كبير يدير مؤسسة تجارية ضخمة، لكنه في الخفاء يدير منظمةً للاتجار بالبشر بكافة أشكاله، حيث أنه يعمل في بيع الأعضاء والتهريب بين الدول، وأيضاً لن ننسى الدعارة.

كانت الخطة لكشفه تقضي بأن يدخل أحدهما إلى شركته متخفياً دون أن يعرف حقيقة عمله كضابط، فوقع الاختيار على جهاد كون مهند أقدم منه ولربما كُشف أمره سريعاً.

أدى جهاد التحية العسكرية بوجه اللواء جاد الملامح، رفع رأسه في عزة وأنفة وهو ينتظر تلقي الأوامر من رئيسه المباشر، وقف اللواء عبد الرحمن أمامه قائلاً بلامح حادة: هل أنت مستعدّ حضرة الضابط؟؟؟

-هتف بقوة وعزيمة: نعم سيدي.

-ربت على كتفه بحنانٍ أبوي مضيئاً: تأهب للمهمة إذاً.

غادر اللواء عبد الرحمن الغرفة تاركاً الشابين لوحدهما، اقترب مهند منه هاتفاً بابتسامة متسعة: هيا جهاد، يجب أن تدرس شركة هذا الرجل وتتعلم كافة أساليبه.

رفع أمامه مغلفاً كبيراً يحوي بعض الأوراق الخاصة بالرجل المقصود وشركته، ثم أردف مهند: في هذا المغلف تقريرٌ كاملٌ عنه، ادرسه وتأكد من أنك حفظت كل جزء فيه.

اعتدل في وقفته واضعاً كلتا يديه في جيوبه مضيئاً: شركته الآن تطلب متدربين في القسم القانوني وهذه فرصتك الذهبية.

هزّ رأسه متفهماً ليقول: نعم فهمتُ مهند، سأقدم كافة الأوراق المطلوبة بعد يومين كحدٍ أقصى.

حرك رأسه في استحسانٍ ليعقب: يجب أن نبقى على تواصلٍ دائمٍ جهاد ولا تنسى، قد تستغرق هذه المهمة شهوراً وربما سنوات، فالرجل ذكيٌ للغاية وليس من السهل الإيقاع به.

زفر بخفة وهو ينظر إلى المغلف المغلق مردداً: لقد فهمت مهند، وأنا صبورٌ للغاية بطبعي.

أغلق ماجد الهاتف مع الرجل الذي كلفه بمهمة مراقبة نادية وعلى وجهه ابتسامة خبيثة، لقد نجح واستحوذ على تفكيرها، فقد أخبره بأنها بقيت طوال دوامها تبحث عنه بعينها، ثم غادرت إلى منزلها وعلى وجهها أمارات الضيق والقلق.

تمطى في سريره وهو يشعر بنشوة انتصاره القريب، فقط القليل من الصبر والحنكة في التعامل معها، وسيتحقق غرضه منها. تنفس بعمق وهو يهمس لنفسه بغرور: نقطة أولى لصالح، لنرى باقي الخطوات التالية.

ثم قرر أن يخرج إلى شقته الخاصة ليلهو مع إحدى مومساته قليلاً هناك، بدّل ثيابه وخرج مسرعاً موهماً عائلته بأنه ذاهب إلى الجامعة.

وصلت إلى المبنى الذي تقطنه بالتزامن مع وصول جهاد عائداً إلى منزله هو الآخر، حاملاً في يده المغلف الذي أعطاه إياه مهند، لم تنتبه له فأعطى سائق سيارة الأجرة ماله ولم يهتم بأخذ الباقي منه عندما شاهدها شاردة، استغرب الأمر فصاح خلفها منادياً: نادية.

استدارت عاقدة حاجبها، ثم مالبت أن ارتخت قسماتها عندما رأت شقيقها في الرضاعة راكضاً صوبها ابتسمت بخفة عندما وصل إليها هاتفاً: جهاد، كيف حالك؟؟

سار إلى جانبها وهو يجيئها: ما بك نادية؟؟ لم تركتِ جامعتك مبكراً؟؟ هل أنت بخير؟؟

تنهدت بملل سيطر عليها ولا تعرف السبب حقيقة، مما زاد من قلق جهاد فوقف أمامها قاطعاً عليها الطريق يسألها بجدية: ما الأمر؟؟ هل هناك ما أجهله؟؟؟

اصطنعت ابتسامة لم تصل لعينيها مرددة: لا تقلق جهاد فأنا بخير صدقي، تعبْتُ قليلاً وقررتُ العودة إلى المنزل، فقط.

عاينها بتفحص فلاحظ وجهها المُصفر المتعب فقال بفزع طفيف: هل آخذك إلى الطبيب؟؟

هزت رأسها بالنفي وهي تربت على ذراعه: لا لا داعي صدقي، سأنام قليلاً وسأصحو أفضل حالاً.

رغم عدم اقتناعه بما قالته لكنه لم يستطع أن يجادلها، فأوصلها إلى منزلها في الطابق الثاني، وتابع مسيره صعوداً إلى شقة عائلته في الطابق الثالث.

(ما كان لك أن تحكم عليّ وأنت لم تقرأ شيئاً بعد، تروّ قليلاً أرجوك، اصنع فنجان قهوتك، ضعه على الطاولة أمامك وقرأ كلماتي بهدوء، وستعرف فيما بعد أنك استعجلت فحكمت وتوقعت)

كانت نازك هانم والدة ماجد سعيدة بالتزامه بدوامه في الجامعة لظنها بأنه يدرس فعلاً، لكنها لم تفتن لتدابير ابنها الخبيثة، وإن لم تكن أقل خبثاً منه.

جالسةً في صالة منزلها الضخمة ذو الأثاث الفاخر، المطعم في أغلبه بخيوط من الذهب والفضة، لطالما تفاخرت بأنّ هذا الأثاث قد صنّع لأجلها خصيصاً في أحد أكبر وأهم المصانع الخاصة في إيطاليا، وقد كلفها حينها ثروة طائلة، ارتشفت رشفةً من فنجان قهوتها المرّة، وضعت على الطاولة الكريستالية اللامعة أمامها، ثم رفعت رأسها نحو ابنتها بيسان التي كانت تنزل الدرجات بخفة ورشاقة، وعلى وجهها ابتسامةٌ جذابة، وعلى ظهرها تتمايل خصلاتها الحريرية السوداء، تلبس قميصاً أزرق شاحب وبنطالاً من الجينز الأزرق وحذاءً رياضياً.

زمت نازك فيها بعدم رضا من لباس ابنتها (الغير لائق من وجهة نظرها)، فهتفت بفمٍ مقلوب ونبرة ساخطة: ما هذا اللباس بيسان؟؟ ألا تملكين لباساً لائقاً أفضل من هذه الثياب البالية؟؟

وقفت بيسان أمامها وهي تعلق حقيبتها على كتفها مُجِبةً: أنا مُرتاحةٌ أكثر في هذه الثياب أُمي، ثم أنني ذاهبةٌ إلى صديقاتي لندرس وليس لِنلهو ونلعب. رفعت رأسها بأنفة ليظهر عنقها الطويل المرمري لتُعقب بقرف خالطه بعض الاستهزاء: صديقاتك؟؟ أتقصدين ابنة الشحاذين أم ابنة البواب؟؟

امتعضت تقاسيم وجهها من تفكير والدتها الطبعي فأجابتها بشيءٍ من الضيق: أرجوك أُمي، زينة ونوال من أعزّ صديقاتي، وهما الوحيدتان اللواتي يدرسنَ بجدّ ولا يُضيعنَ وقتهنّ في أشياء تافهة لا تنفع.

قاطعتها بذبرة حملت معها كبرياءً قلّ نظيره: لكنهما من طبقةٍ دونيّة بيسان، ليستا من مستوانا ولا تليقان بمكانتك ومكانة العائلة.

هزت رأسها بيأسٍ من طريقة حكمها على الناس وتصنيفهم حسب امتلاكهم للأموال، لطالما انزعجت والدتها من صديقتها وظلّت تعارهما بفقرهما دون أن تحسب حساباً لمشاعرهما، حتى أخبرتا بيسان أنهما لن تزوراها في منزلها تجنباً لسماع كلامها الجارح، واتفقتا معها على مكان آخر.

هتفت أخيراً بقلّة حيلة علّها تنهي هذا الجدال العقيم الذي تدخله في كل مرة: لقد تأخرت أُمي، الوداع.

تحركت هاربةً من أمامها قبل أن تُسمعها موشحها المُعتاد عن طبقات المجتمع، فقد سئمت من احتمالية أن تتغير والدتها، استقلت سيارتها وقادتها إلى مقهى صغير حيث تنتظرها صديقاتها، زينة ابنة موظفٍ عادي في مؤسسة حكومية، ونوال ابنة حارس أحد المجمعات السكنية الضخمة،

رغم فقر عائلتيهما المُدقع لكنهما أكملتا دراستهما بمجد، حتى أن زينة تعمل في المقهى ذاته الذي سيجتمعن فيه، لم تحجلا يوماً من وضع عائلتيهما ولم تتدمرا أبداً من وضعهما المُتردي، وهذا ما جذب بيسان إليهما أكثر.

بيسان الآن تدرس في كلية علوم الحاسبات، مع أن طموحها كان أن تدخل كلية الإعلام والصحافة كوالدها وشقيقتها، لكن تدخل والدتها وفرضها لقرارتها بغض النظر عن طموحات ابنتها، جعلها تخضع لقرارها حتى إن لم يعجبها، والسبب لم يكن مخفياً عن بيسان، تعرف أن والدتها لا تريدها كمنافسٍ لماجد على إدارة المجلة لاحقاً، فهو لا يحب محال الصحافة مثلها.

مرّت عدة أيام آخر دون أن تراه، لقد تعلقت به وبوجوده حولها بشكلٍ غريب، حتى قرر اليوم أن يعود إلى الجامعة.

دخلت بوجه مُتمتع وتقاسيم مُرهقة متجهةً إلى قاعتها، عندما اصطدمت بشخصٍ لم تتبينه بدايةً، وقعت كتبها على الأرض فتأففت بامتعاض وهي تنحني لتلملمها، انحنى هو الآخر هامساً: أعذر لم أقصد.

رفعت رأسها إليه كطلقة رصاص عندما سمعت صوته، تسارعت نبضاتها بشكل هادر وابتسمت باتساع بلا وعيٍّ منها، بادلها بابتسامة ماكرة لم تلحظ هي خبثها، وقفت من هول المفاجأة فوقف أمامها وهو يرفع كتبها ويمسحها من الغبار الذي اعتلاها، ثم رفعها إلى ثغره وقبلها وعيناه مازالت معلقةً بعينيها، فيما هي ساهمةٌ فيه.

أخرجها من شرودها صوته العميق محدثاً إياها: تفضلي كتبك يا آنسة...؟؟
سكت بطريقةٍ موحيةٍ فانتبهت لنفسها، ازدردت ريقها بتوتر وهي تجيب بصوت خفيض: نادية، أدعى نادية.

هز رأسه متفهماً ثم همس لها: هيا، ستتأخرين على محاضرتك آنسة نادية.
هتفت بسرعة: نادية فقط.

هز رأسه مجدداً أشار لها بنبرة شبه آمرة: هيا إلى القاعة قبل أن يدخل الدكتور.

أشارت له بالإيجاب وماتزال مُحافِظَةً على ابتسامتها، تحركت لتذهب فتحرك
بالاتجاه نفسه عن قصد، توترت فتحركت للاتجاه الآخر فتحرك معها، فلتت
منها ضحكة خافتة وهي تهمس: لو سمحت؟؟

رفع كتفيه بلا مبالاة قائلاً ببراءة مصطنعة: ما ذنبي أنا؟؟

رفعت ناظريها إليه بتردد: أريد أن أذهب.

تعمد أن ينظر في مقلتيها وهو يهمس بخفوت: حسناً اثبتى مكانك لأعلم
من أي اتجاه ستعبرين.

أشارت للجانب الأيمن مرددةً: سأعبر من هنا.

هز رأسه موافقاً مُضيفاً: وأنا سأذهب من الاتجاه الآخر.

ثم تابع بنبرة مأكرة: وفي المرة القادمة انتبهي لطريقك.

رفعت رأسها لتجيبه بهدوء: هذه النصيحة تنطبق عليك أنت أيضاً.

كادت أن تذهب لكنه أوقفها وهو يهمس لها: سأنتظرك في المقهى بعد أن
تُنهي محاضرتك.

رفعت عينيها إليه باستغراب فغمزها فابتسمت بسعادة وهي تشير له
بالموافقة، ثم تحركت مُغادرةً، لا ينكر أنها جميلة لكن مثله لا تجذبه
أمثالها، ربما ليلهو فترةً لكن حب وارتباط؟؟ مؤكداً أنه لا يفكر في الأمر
حالياً.

ابتسم بخبث وهو يردد لنفسه: وهذه النقطة الثانية لصالحى.

تنفس بعمق وهو يضيف: لم يبقَ سوى القليل، سأريح الرهان وأثبتُ لهم أن لا أحد يقف أمام ماجد الصايل، وأكسر غرورها الذي جذبت به اهتمام شباب الجامعة.

شعورٌ رهيب سيطر على جهاد وهو يتفقد بريده الإلكتروني، لا رسائل قبول من الشركة، يخشى أن يفشل في الانضمام إليهم فتضيع عليه فرصة ذهبية بفرض نفسه وإمكاناته في هذه القضية.

زفر باختناق يفكر في حلٍّ آخر ليدخل الشركة في حال تم رفضه، فكر كثيراً لكنه لم يجد حلاً آخر فلا مجال لدخولها سوى للموظفين المسجلين بها، فيما هو كذلك دخلت والدته إليه لتراه متوتراً، فبادرت بسؤاله وهي تضع كوباً من العصير أمامه على الطاولة: ما بك جهاد؟؟ لم أنت مرتبكٌ هكذا؟؟

ابتسم بخفة وهو يرمي هاتفه بإهمال على السرير: لا شيء أُمي، لقد قدّمتُ على شركة طلبت موظفين وأنا أنتظر إجابتهم.

اقتربت منه تضع يدها على وجنته، ابتسمت له باطمئنان وهي تدعو له بعاطفة صادقة ثم أخبرته: إن شاء الله سيتم قبولك حبيبي، لا تيأس أبداً. قبل باطن كفها وهو يتمتم: أطل الله في عمرك أُمي.

ابتسمت باتساع وهي تربت على وجنته بخفة، ثم خرجت تاركةً ولدها يتوسل في سرّه، فيما هو كذلك سمع رنة هاتفه مُعلنةً عن ورود رسالة، فتحه فإذا

بها رسالة من الشركة المعنية، تخبره بأنه قد تمّ قبوله وبإمكانه مباشرة العمل فوراً.

كان ينتظرها في المقهى بصبر نافذ، زفر بضيق وهو يدير وجهه في أوجه الجالسين هناك، حتى وقعت عيناه عليها وهي تدلف بتردد عظيم. لم تكن ستحضر، لكن فضولها تغلب على عقلها وقررت أن تحضر لتراه ومعرفة ما يريده، كانت تُقدم قدماً وتؤخر أخرى، ازدردت ريقها بتوتر وهي تقف أمامه، وقف قبالتها بابتسامة متسعة هامساً: خشيتُ ألا تحضري.

ابتسمت باقتضاب وهي تجيبه: لم أكن سآتي.
رمقها بنظرة ماكرة مُردفاً: وما الذي أقتنعك بالمجيء؟؟
رددت بسرعة دون وعي: قلبي قادي إليك.

سكنت فجأة عندما شعرت بهفوتها، وضعت يدها على فمها وأخفضت نظرها، فيما هو اتسعت ابتسامته أكثر، سحبت الكرسي لتجلس عليه بتردد وقد شعرت بالإحراج منه، ما بالك نادية؟؟ ألسن الرزينة العاقلة؟؟ ما هذا الغباء الذي تفوهتي به؟؟ ازدردت ريقها بتوتر وبرغم الارتباك الكبير الذي أصابها، لكنها قررت ألا تُظهر هذا له، أجلت صوتها عندما سألها عن مشروبها، عقدت يديها على الطاولة أمامها وهي تهتف بثقة مُصطنعة: أولاً يجب أن أعرف لم أردت رؤيتي؟؟

وضع يده تحت وجهه هامساً بهيام مُحْتَلق: ألا يحق لي رؤية القمر؟؟

احمرّ وجهها خجلاً، ليضيف بثبات: اسمعي نادية، متأكد أنك تعرفيني؟
حركت رأسها موافقة تنتظره ليتابع حديثه فأردف: والحقيقة أنا معجب
بك، وأودّ لو نتعرف إلى بعضنا؟

بانت على محياها علامات المفاجأة، زاد احمرار وجهها وشعرت بحرارته التي
ارتفعت، فيما هو يبتسم باتساع خبيث، سأله: كلميني عن عائلتك؟؟
تنحنت بحرج لتجيب: أنا يتيمة الأب ووحيدة والدي، لا أشقاء ولا
شقيقات عدا جهاد شقيقي في الرضاعة، والدي تعمل مع والدته جهاد لتعيلني
وإياها، فقط.

هزّ رأسه متفهماً فسألته بدورها بتردد طفيف: وأنت؟ حدّثني عن عائلتك
قليلاً.

أخذ نفساً مطولاً زفره بهدوء وهو يخبرها: مؤكّد أنّك تعرفين والدي، رفعت
الصايل صحافي مشهور يملك مجلة الصايل الأسبوعية، والدي نازك هانم
سيدة من سيدات المجتمع المخملي، لي شقيقة تدعى نورا لكنها من والدته
أخرى توفيت قبل أن يتزوج والداي، تكبرني بعام واحد، وبيسان أصغر
مني بعامين، سنة أولى كلية حاسبات.

أولته اهتمامها وانتباهها وهي تستمع لحديثه، كم شعرت بالراحة إلى
جانبه وقلبها ظلّ يرقص طرباً من قربها منها، حاول أن يلمس يدها فيما هو
يتكلم لكنها سحبتها بخجل، رغم امتعاضه من فعلتها لكنه لم ييأس، فقد

انقضت نصف مدة الرهان، وما زال لديه النصف الآخر لتصبح ملكه، ثم يكسرها.

لم تطل الجلوس معه كثيراً، فاستأذنت لتعود إلى محاضرتها التالية، تابع خروجها بابتسامة عريضة، ثم التفت ليصوّب نظرة ذات مغزى نحو أصدقائه الذين كانوا يتابعون هذا اللقاء بمشاعر مختلطة، كان الكره والبغض أكثرها وجوداً.

غادر بعدها إلى صحيفة والده، فقط أخبرته والدته بضرورة أن يحضر الاجتماعات الشهرية في الصحيفة نيابةً عن والده المريض والذي دخل في شبه غيبوبة، ليكتسب خبرةً في مجالهم.

خرج ياسر في أثره ولم ينسَ أن يهدي صهيب ابتسامة تشفي قبل خروجه، مما جعل الأخير كالجالس على بركان قد ينفجر في أية لحظة.

وصل ماجد إلى صحيفة والده، ركن سيارته بالتزامن مع خروج سمية من مقرّ الصحيفة، فقد حضرت بناءً على طلب والدتها التي أخبرتها أنها ستؤمن لها المال الذي طلبته سابقاً، ابتسامة عريضة ارتسمت على شفيتها وهي تراه يترجل من سيارته بقامته الطويلة، هرولت نحوه دون وعي منها حتى وقفت أمامه هاتفةً بلهفة: أستاذ ماجد، كيف حالك؟؟

رفع أنظاره نحو تلك الفتاة ذات الخصلات الحمراء المتمردة، ووجهها الذي كان أشبه بوجه مهرج في سيرك، قطب جبينه باستغراب ليقول: أهلاً، هل أعرفك؟؟

أجابت بنبرتها المتلهفة: لا، في الحقيقة انت لا تعرفني لكنني أعرفك، أنا سمية ابنة السيدة رجاء مديرة مكتب والدك السيد رفعت الصايل. لاحظ لهفتها الواضحة عليه، فعلم أنها من معجباته، ابتسم بمكر ولم لا؟؟ لا مانع من بعض التسلية التي لن تضر، اعتدل في وقفته ثم هز رأسه متفهما هاتفا بسؤال: ابنة السيدة رجاء إذا؟؟

صاحت بنفس الלהفة: نعم، وأيضاً أدرس حالياً في كلية الإعلام والصحافة. ابتسم بمكر وعيناه تدور على مفاتها التي بانَت من ملابسها الضيقة: اها، جميل جداً.

تسارعت أنفاس سمية عندما لاحظت نظراته الموحية، يالها من محظوظة إن أعجبت ماجد الصايل، هذا جلّ ماكانت تفكر فيه، كانت على أتم الاستعداد لفعل أي شيء يطلبه، مهما كان.

عادت إلى المنزل وعلى وجهها ابتسامة حقيقية، عانقت والدتها بلهفة استغربتها والدتها لكنها لم تعلق، دخلت إلى غرفتها وهي تدور حول نفسها بسعادة، تمددت على السرير وهي تحتضن نفسها يا إلهي ما هذا الشعور الغريب، لكنه جميل في الوقت ذاته، قلبها يخفق بسرعة فائقة ومشاعر

عديدة اقتحمتها، كم كانت سعيدة فقط لأنها حادثته وحادثها، تنهدت بقوة وهي تغمض عينيها بقوة تحاول أن تحفر صورته في عقلها ، نامت أخيراً بملابسها ذاتها حتى دون أن تبدلها، غافلة عن عيني والدتها التي شعرت بالقلق المفرط من سعادة ابنتها، وكأنّ قلبها ينبؤها بخطورة هذه السعادة عليها.

جلس مع أصدقائه على طاولة واحدة، لكن تفكيره كان مشغولاً بها، كيف له أن يتقرب منها ليأخذ ما يريده برغبتها؟ فهي حتى لا تقبل بأن يمسك يدها رغم لقاءاتهم المتعددة خلال الأسبوعين الماضيين.

اعتدل في جلسته فجأة عندما خطر له خاطر، ربما عليه أن يتخذ خطوة جدية لتصدقه، أخرجه غدي من شروده عندما هتف يناديه باستغراب: ما بك ماجد؟؟ أراك شاردًا مذ جلسنا؟؟

تطلع إليه ماجد وهو يضيق عينيه بتفكير كأنه لم يسمعه، فيما كان صهيب يراقبه بحذر، ويأسر كذلك يحاول قراءة أفكاره مع علمه المسبق بأنه لن يصل لمستواه أبداً.

نطق ياسر بما يشبه السخرية: إذاً صديقي، لقد شارف الشهر على الانتهاء ولم يحصل شيء بعد.

استدار نحوه ليحبيه بهدوء مُفتعل: أنت قلتها، قارب على الانتهاء، أي أنه لم ينتهي بعد.

أعاد ظهره للخلف وهو يرمقه بتفحص قائلاً: كيف ستجذبها إلى فراشك ماجد؟؟

رمش بهدوء عدة لحظات كان الجميع يراقبه بوجه واجم، نطق أخيراً بنبرة خطيرة: سأقدم لخطبتها.

صاح كلاً من غدي وصهيب بعيون مُتسعة في وقت واحد: ماذااااا؟؟
ابتسامة خبيثة شقت ثغر ياسر عندما سمع مقاله، فيما تابع هو بتبرير:
نعم، هذا الحل الوحيد أُمَامِي.

تسارعت أنفاس صهيب بغلّ وهو يخبره ضاغطاً على أسنانه: كيف ستقدم لخطبتها ماجد؟؟ وعائلتك؟؟

هتف غدي مؤيداً لحديث صهيب: نعم هذا صحيح، فلا أعتقد أن عائلتك ستقبل بنادية زوجةً لك خاصةً والدتك.

ناظرهم بابتسامة متسعة هامساً: ومن قال أنني سأخبر عائلتي؟؟
لم يفهما ما قصده بقوله، وحده ياسر من فطن لمقصد صديقه القدر فهتف بإعجاب: أيها الوغد !!

قطب صهيب جبينه باستغراب ليقول: ماذا تقصد ياسر؟؟
استدار إليه مُجيباً: ماجد سيأخذ أشخاصاً ويدّعي بأنهم عائلته.
زاغت نظرات صهيب بينهما فيما قال غدي مستفهماً: كيف ذاك؟؟
أجابه ماجد هذه المرة: كما سمعت تماماً، سأستأجر أناساً يمثلون بأنهم عائلتي وأذهب لخطبتها.

صاح صهيب مقاطعاً بسرعة: لكنهم يعرفون والدك، بالطبع فهو صحفي مشهور.

ابتسم بخبث وهو ينظر ناحيته: صحيح، لكنهم لا يعرفون والدتي ولا شقيقاتي.

هل سبق وأن رأيت الشيطان على شكل بشر؟؟ كان هذا كلّ ما فكر فيه صهيب ساعتها، يا له من نذلٍ حقير!!

وكن قرأ أفكاره وجّه ماجد إليه ابتسامة باردة وهو ينهض من مكانه هامساً بتهكم: سأذهب لأرى خطيبي المستقبلية.

رحل تاركاً صهيب يكوّر قبضته بغضب عارم، وجه حديثه إلى ياسر قائلاً بغیظ: هل أنت مرتاح الآن ياسر؟؟

التفت نحوه مجيباً ببراءة: ما ذنبي أنا؟؟ هذه أفعال ماجد ولم أَدْخُل. ابتسم بسخرية مُعقّباً على كلماته: نعم هذا صحيح، لكنك أنت من أخبره عنها.

تحولت ملامحه إلى الحدة مُردفاً: لو حصل لنادية أي مكروه سأقتلك ياسر، هل فهمت؟؟

انتفض من مكانه خارجاً من الكلية بأكملها، بينما ابتسم ياسر هازئاً وهو يضيف: مجنون، يظن أنها مختلفة بالفعل.

كانت خارجةً من القاعة بعد انتهاء محاضراتها عندما لمحته يقف مبتسماً
بجث، ظنتها-لصفاء نيتها- بأنها ابتسامة حب، تقدمت نحوه ومحياها
ينبض بالحب النقي، وقفت أمامه تتأمل عينيهِ الخضراوين لتهمس له
بجفوت: تأخرت اليوم؟؟

همس هو الآخر: كنتُ مع أصدقائي.

كادت تتحدث قبل أن ينطق بما أخرسها حرفياً: أريد أن أتقدم لخطبتك.
اتسعت عيناها بصدمة جليّة، فتحت فمها ببلاهة كأنها لم تستوعب بعد
ماقاله، ابتسامته الماكرة اتسعت أكثر وهو يرى تأثيره عليها، لم تستطع أن
تنبس ببنت شفة فقد غاب صوتها واختفى، ظلّت للحظات تنظر إليه
بدهشة، ثم أجفلت عينيها للأسفل قبل أن تهمس: دعني أفكر.

صدمته إجابتها فعلياً، تفكر؟؟؟ هل يجب أن تفكر في خطبتها منه هو؟؟؟
تسارعت أنفاسه بغيظ وزاد حنقه اتجاهها لكن لا بأس، هز رأسه متفهماً
وهو يقول بغضبٍ مكتوم: لا مشكلة فكري على مهلك. تحرك من أمامها
فوراً قبل أن ينفجر فيها، ربما هي تتدلل عليه لا أكثر ولا أقل.

لم تعرف لم شعرت بالخوف من عرضه المُستعجل، ربما هو عرضٌ مُغرٍ
وكان من المفترض أن توافق عليه بدون تفكير، لكن هناك شعور غير
مُريح سيطر عليها، لم يعرفها إلا منذ أيامٍ قلائل فكيف له أن يتقدم
لخطبتها وهو لا يعرف شيئاً عنها؟؟

دخلت في صراعٍ مُستعر بين قلبها الذي يحثها على الموافقة فهو من أحبت،
وبين عقلها الذي يخبرها بأن تتروى وتتفكر..

غادر مدير مكتب جميل حاملاً بيده بضعة أوراق قد كلفه مديره
بمراجعتها، فيما بقي هو يفكر ملياً في سبب تأخر بيلا في إيطاليا، فتحت
الأخيرة الباب قليلاً لتخرج رأسها منه صائحة: صباح الخير.
رفع رأسه إليها بتفاجؤ، استقام عن كرسيه ليعانق بيلا التي دفنت رأسها في
أحضانها هامسةً: اشتقتُ لك أبي.

ربت على رأسها بابتسامة مقتضبة هاتفاً: وأنا اشتقتُ لك حبيبي.
أبعدها عن حضنه قليلاً ليضيف باستنكار وماتزال مُحاصرةً بين ذراعيه:
لكنكِ أطلتِ الغياب كثيراً هذه المرة بيلا، كل هذه المدة لاستخراج بضعة
أوراق؟؟؟

تنهدت بخفة مُجيبةً: آسفة أبي، اعتذر إليك صدقاً، ما إن حطّت الطائرة
رحالها حتى حضرت إليك من فوري.

قَطَب جبينه باستفسار: ولمَ كان خطكِ مغلقاً طوال هذه المدة؟؟
أخفضت رأسها دون أن تجيبه، ضيق عينيه بتفكير لثانية ثم فطن للسبب،
هزّ رأسه بتفهم ثم تحدث بنبرة خطيرة: إنه مارك، أليس كذلك؟؟

تطلعت إليه وهي تومئ بتردد، زفر بضيق وهو يتمتم ببضع سّبات بذيئة
تورد لها وجهها خجلاً، أشاح بجسده إلى الجانب للحظة، ثم التفت صوبها

مجدداً ليسألها: هذا اللعين مازال يكذب عليك ويخبرك بأمورٍ اختلقها عني، صحيح؟؟؟

هزت رأسها إيجاباً، ثم أردفت بثقة نابعة من نقاء سجيّتها: لكنني لم أصدقها أبداً أي، فأنا متأكدة أنك لا تعمل خارج نطاق القانون أبداً، وليست لديك أية أعمال خارج حدود هذه الشركة.

ربت على كتفها مبتسماً برضا ليردد: هذه هي ابنتي.

ابتسمت له بالمقابل ثم تحدث يخبرها: هيا عزيزتي، اذهبي إلى المنزل وارتاحي، يجب أن تسافري في الغد لتدرسي الصفقة الجديدة التي سنوقعها مع شركة السراج قريباً.

اعتدل في وقته واضعاً كلتا يديه في جيبه مُضيفاً: كنتُ سأرسل مراد بديلاً عنك، لكن بما أنك قد حضرتِ فلتذهبي أنت، سيكون برفقتك عدد من موظفي ومتدربي الشؤون القانونية.

أشارت له بالموافقة ثم استدارت لتخرج بعد أن ودعته، اختفت ابتسامته المُتملّقة فور خروجها، ضيق عينيه وهو يفكر في أمر مارك، أحد موظفيه القدامى والذي مافئى يتصل ببببلا ويخبرها عن أعمال والدها المشبوهة بعد أن اكتشفها مصادفةً، يجب أن يتخلص منه بسرعة فقد بات يشكل خطراً حقيقياً عليه حتى وهو داخل السجن، ابتسم بلؤم وهو يسحب هاتفه ليطلب أحد أصدقائه القدامى.

حضر ماجد باكراً هذا اليوم ليسمع منها إجابتها فلم يجدها، زاد غضبه منها هل يعتبر هذا رفضاً صريحاً منها؟؟؟

احتقنت أوداجه وهو يتخيلها ترفضه، لا ليس ماجد الصايل من ترفضه فتاةً وضيعةً مثلها، وليس هو من يخسر رهاناً.

وقفت سيارته الحديثة في حيها المتواضع، بعد أن عَلِمَ عنوان منزلها من الرجل المكلف بمراقبتها، تفحص الحي بعينه إنه بسيط جداً، رجل وهو يطالع المبنى الذي تسكنه بنظراتٍ متفحصة تزامناً مع وصول سيارة الأجرة التي استقلها جهاد قادماً من الشركة التي بدأ دوامه بها مؤخراً، وقف يطالع هذا الشاب وسيارته الغريبة على الحي، ضيق عينيه بتذكر فصاح فجأةً: ماجد؟؟!

استدار نحو صاحب الصوت، عقد ماجد حاجبيه ليسمع سؤال الشاب: أنت ماجد الصايل، أليس كذلك؟؟؟

ارتخت تعابيره عندما تذكره فقال بابتسامةٍ صغيرة: جهاد عبد الله، لقد تذكرتك، كنتَ معي في المدرسة القديمة، صحيح؟؟

ابتسم بتحفظ وهو يومئ له بالإيجاب: نعم، لقد كنا في الصف ذاته قبل أن تنتقل إلى مدرسةٍ أخرى، أخبرني ماذا تفعل هنا؟؟؟

استند إلى سيارته مُجيباً بغطرسة: لا شيء هناك فتاةٌ تدرس في كليتنا لم تحضر اليوم، فقررتُ أن آتي لأسأل عنها.

ثنى حاجبيه بريبة وهو يسأله بهدوء غريب: ما اسم تلك الفتاة؟؟؟

طالعه ماجد باستغراب فأردف بتبرير: لربما أساعدك فأنا اعيش في هذه الأنحاء.

هز رأسه بتفهم محيياً: اسمها نادية بيطار.

اتسعت عيناه بصدمة جليّة، ماجد ونادية؟؟؟؟

يعرف طباع ماجد اللعوبة وكيف كان يجذب فتيات المدرسة في مرحلة ما قبل الثانوية، ثم يتركهن مفطورات الفؤاد فكيف وقعت شقيقته ضحية لفخه؟؟ حقاً لا يعلم!!!

أتاه صوت ماجد عندما طال صمته: هل تعرفها جهاد؟؟

انتبه من شروده ليهمس بخفوت: أجل أعرفها، إنها تسكن في هذا المبنى. نظر إلى حيث أشار جهاد الذي أثر ألا يطيل الحديث معه فتمتم مُغادراً: سأناديها لك.

ظلّ ماجد ينظر في أثره باستغراب، ترى لم تضايق عندما علم أنه هنا من أجل نادية؟؟ قلب فمه بعدم اهتمام لربما هو أيضاً من مُعجبيها.

كانت هالة كالعادة تساعد عليا في المحل مقابل راتب ثابت تعطيها إياه، فيما بقيت نادية وحيدة في المنزل تفكر في عرضه بمجديّة بعيداً عن تأثيره عليها، وما زال الصراع مستمراً ما بين قلبها وعقلها ولم ترجح الكفة بعد لأيٍّ منهما.

زفرت بضيقٍ عندما سمعت صوت جرس الباب، سحبت قدميها سحباً لتفتحه فطالعتها وجه جهاد الواجم، ابتسمت بخفة وهي تمازحه: سيد جهاد؟ كيف خطرنا على بالك يا رجل؟؟
خزرها بحاجبٍ معقود قبل أن يجيبها بمجمود: ماجد الصايل ينتظرك في الأسفل.

غابت ابتسامتها ليحلّ محلها الوجوم، اتسعت عيناها بصدمة وفتحت فمها ببلاهة، لم تعرف بما تجيبه فقد اختفت جميع الكلمات من قاموسها، لم ينتظر إجابتها أكثر فأردف قائلاً: اذهبي واعرفي ما يريد، وعندما يرحل سأكون في انتظارك في منزلي.

تابع طريقه صعوداً بخطوات متسعة، استغرقها الأمر لحظات حتى استوعبت ما تحدث به، شهقت بخفة وهي تمدّ يدها لتسحب مفتاح المنزل من شماعة بجوارها، ثم صفعت الباب خلفها ونزلت بسرعةٍ كبيرة، رأتها واقفاً أمام المبنى فابتسمت تلقائياً، اعتدل هو في وقفته حالما رآها، تسارعت نبضاتها بشكل هادر وهي تتقدم نحوه بتمهل وتفرك يديها بخجل، احمرّت وجنتاها وهي تطالع بدلتها المنزلية التي تلبسها، نظرت إليه بتردد عندما أصبحت أمامه هامسةً: ما الذي أتى بك إلى هنا؟؟

كتف يداها أمام صدره وظلّ يطالعتها باهتمام مزيف، وهي تقاوم ابتسامتها السعيدة بروئيته وتلقت حولها خشيةً أن يراها أحد، تحدث بعد هنيهة بمجمود: لم لم تحضري اليوم إلى الكلية؟؟

لم تعرف بمُجيبه فقط تحاشت النظر إليه، امتدت يده ليرفع وجهها لتقابله
فشعرت برعشةٍ لذيذة خدّرت جسدها كلياً، ثبّتت عينيها الذهبية على مُحياه
فلاحظ تغيّر لونهما إلى الأخضر، همس لها بخفوت أذابها: حضرتُ باكراً
لأسمع ردّك، وعندما لم تحضري خشيتُ أنك لم تقبلي، كدتُ أموت....
انتفض جسدها وهي تضع يدها على فمه لتقاطععه بلهفة: إياك أن تقول مثل
هذا الكلام ثانيةً.

قبل باطن كفها فسحبته بمرج وأطرقت أرضاً، شعرت بحرارة وجهها قد
لامست الألف وانقلبت وجنتاها كحبي طماطم، فلم تلاحظ ابتسامته
الماكرة فعاود سؤاله: لم تخبريني ما جوابك نادية؟؟

تشابكت أصابع يديها بارتباك، ازدردت ريقها وهي تردف بصوت مرتجف:
أنا لا أعرفك جيداً، وأنت كذلك.

سحب يدها ليضعه على مكان قلبه مُعقباً: ألا يكفيك أن قلبي بات ينبض
باسمك دائماً؟؟

تفاجأت من حركته فزاد ارتباكها، ارتجف جسدها بتلقائية وشعرت بأن
فمها قد جفّ تماماً، حرّكت شفثيها تريد الحديث لكنها عجزت عن ذلك.
شعر بضعفها في حضرته فهمس مجدداً: والآن ما رأيك نادية؟؟

رفعت أنظارها لتقابل خضراوتيه الماكرتين، وكمن سحرها حركت رأسها
بالإيجاب بلا وعي، فاتسعت ابتسامته وهو يُردف: ممتاز، سأحدث عائلتي
إذاً، بلّغي والدتك بأن موعدنا في الغد.

أشارت مجدداً إيجاباً وهي لم تسمع من حديثه حرفاً، كانت مسحورةً بعينيه بالكامل، رفع كفها ليلثمها وقد ركّز عينيه عليها عندما علم أنهما نقطة ضعفها، شعر بخدرها وفطورها مما جعله يبتسم بانتشاء، ودعها أخيراً ليستقلّ سيارته مبتعداً، ظلّت تطالع طيفه المُغادر بشرود حتى غاب عن ناظريها، تنفست كمن كان في سباقٍ حقيقي، وضعت يدها على صدرها تحاول التقاط أنفاسها وهي تشعر بنبضاتها تجاوزت الألف ربما، نظرت إلى كفها حيث قبلها فقفزت كالمجنونة وهي تضحك بصوتٍ عالٍ، سرعان ما انتبهت لنفسها في الشارع فكتمت ضحكتها بيدها وهي تتلفت حولها، ثم عادت إلى البناء بخطى راکضة، غافلةً عن جهاد الذي كان يراقبهما من نافذة منزله مجذِرٍ وترقب، لم يشعر بأن هناك شيئاً خاطئاً؟؟

ربما هو لا يعرف ماجد جيداً لكنه يعرف ما يكفي ليتأكد أن مثله لا يهوى ولا يعشق، الفتيات عنده للمتعة والتسلية فقط لا أكثر.

فاق من شروده على صوت طرقاتها على الباب، كانت دقاتها تدلّ على مدى سعادتها ناهيك عن تعابير وجهها المبتسم باتساع، عانقته فجأةً وهي تصيح في أذنه بفرح: أحبك جهاد أحبك.

ابتسم بخفه وهو يربت على كفها مُعقباً على كلماتها بنبرة ذات مغزى: متأكدة أنك تحبينني أنا أم شخص آخر؟؟

تراجعت عنه وهي تُطرق أرضاً وقد احمرّت وجنتاها خجلاً، لم تستطع أن تبقى تحت أنظاره المتفحصة فتجاوزته داخلَةً إلى صالة الاستقبال، جلست

على إحدى الأرائك فتبعها وجلس ينتظرها لتتحدث، فلم يكن من عادتها أن تخفي عليه أمراً مهماً كان.

بقيت للحظات تستجمع قوتها حتى نطقت أخيراً وهي تعتدل في جلستها لتقابله بجسدها: جهاد، لقد تقدم ماجد لخطبتي.

ظهرت علامات المفاجأة واضحةً عليه فصاح بدهشة: ماذا؟؟

هزت رأسها بتأكيد، رمشت عيناه عدة مرات ثم سألتها بجدية: منذ متى وأنت تعرفينه؟؟ ومتى بدأت علاقتهما؟؟

تنفست بعمق ثم طففت تحكي له قصة حبها الوليد مع ماجد.

أنهت هالة ترتيب القمصان التي جلبوها منذ قليل كطلبية للمحل على الرف الخاص بها، وقفت لثوانٍ تستند على الحائط خلفها وهي تدلك مكان قلبها برفق وقد أغمضت عينيها يارهاق وتنفست على مهل، لاحظتها ميساء الجالسة خلف الطاولة الخشبية القريبة، عقدت حاجبها بقلق سرعان ما أدركت ما يحدث معها فانتفضت من مكانها بسرعة، جرت نحوها وهي تهتف: هالة؟ ما بك؟؟.

أسندتها لتخطو معها نحو الطاولة ثم اجلستها على الكرسي، سكبت من دورقٍ مسنود على الطاولة الصغيرة أمامها بعض الماء، قربت الكأس من فم هالة لتشرب بضع قطرات منه، أسندت ميساء الكوب على الطاولة ثم

ركعت أمام كرسي صديقتها وهي تفرك لها يديها هامسةً بقلق: هالة،
حدّثيني عزيزتي أرجوك، بمَ تشعرين؟؟؟
ازدردت هالة ريقها بصعوبة بالغة، فتحت عينها ببطء وهي تتنفس
بمشقة ثم تحدثت بصوتٍ مبحوح: قلبي يؤلني.
ارتعبت ميساء فاستقامت واقفةً وهي تهتف: سأهاتف الطبيب فوراً.
أمسكتها هالة من كفها وهي تشير نافيةً لتبقى واقفةً مكانها مما أثار
استغرابها، ثم أردفت بصوتٍ مُرهق: لا ميساء، لا أريد طبيباً، بل أريد منك
وعداً.

قطبت جبينها باستغراب فعادت تجلس أمامها مُرددةً: وعد؟؟
أومأت لها بالإيجاب ثم أضافت بضعف: نعم، عديني بأن تعتني بنادية.
لم تفهم عليا مقصدها فهتفت: ماذا تقصدين هالة؟؟ ما بها نادية؟؟؟
نفرت عبرةً من جانب عينها وهي تبلل شفثيها مجيبةً بهمس: لا أعلم،
لكن قلبي يؤلني عليها كثيراً هذه الأيام.
ارتجفت شفثيها بتأثر فلم يعد بإمكانها المتابعة، فلم تجد ميساء بُدّاً من أن
تضمها إلى صدرها وتربت على شعرها بحنان، وهي حقاً لا تفهم مقصد
رفيقة عمرها، لكن قلبها لا يبشرها بخير.

مازال شاردًا منذ أن انتهت من سرد حكايتها مع ماجد، لم يصدق بأن ماجد قد أحبها من مجرد لقاءٍ أو اثنين ليتقدم لخطبتها، ومن قال أصلاً أنه أحبها، فهو لم يعترف لها لغاية الآن، لا يعلم لكن هناك حلقة مفقودة في هذه الحكاية، ويجب أن يعرفها قريباً.

كانت نادية تراقبه بوجل، لا تعلم لم شعرت بأن شقيقها لم يصدق حكايتها مع أنها لم تكذب، هتفت تسأله بعينين ضيقتين: ما الأمر جهاد؟؟ لم لدي إحساس بأنك غير مُصدّق حكايتي؟؟

التفت نحوها وهو مُقَطَّبٌ جبينه بتفكير، ارتخت تعابيره مُردداً: لا نادية، أعلم أنك لن تكذبي عليّ أبداً، لكنني أشعر بأن هناك أمر مريب، هناك حلقة مفقودة.

عقدت حاجبيها برية ثم أردفت: حلقة مفقودة؟؟ ماذا تقصد بكلامك جهاد؟؟

أعاد ظهره للخلف وأخذ نفساً عميقاً زفره مرة واحدة، ثم تحدث: لا أعلم نادية، لكن ماجد ليس شخصية سهلة ليقع في الحب بهذه السرعة.

استغربت مقالها فأردفت مسرعةً: هل تعرفه من قبل؟؟

أشار لها إيجاباً ثم أخبرها: نعم، لقد كان في مدرستي ذاتها عندما كنا في المرحلة الإعدادية، ثم انتقل بعدها إلى مدرسة أخرى.

أسندت وجهها إلى كفها وهي تطالعه باهتمام عندما تابع: لقد كان مشهوراً بخداع الفتيات، يوهمنّ بحبه ثم يتركهنّ بعد فترة دون أن يهتّز جفنه لثانية.

سكت لثانية قبل أن يضيف بنبرة ذات مغزى: لا أعلم، لكنني لا أصدق أنه تغير بهذه السهولة.

ابتسمت وهي تضيف بمزاح مُشيرةً لنفسها بطريقة مسرحية: إذاً فأنت تستهين بقدراتي هنا يا عزيزي، فأنا نادية ولستُ أي فتاة أخرى. لم يستطع إلا أن يضحك معها، هز رأسه بيأس ثم أردف كمن تذكر أمراً: بالمناسبة، أنا مسافرٌ غداً صباحاً ولن أتمكن من حضور خطبتك. عقدت حاجبها وهي تسأله بمجدية: ما الذي تقوله جهاد؟؟ وكم سيطول سفرك؟؟

هتف مُشيراً برأسه: لا أعلم، أنها رحلة عملٍ خاصة بالشركة التي أعمل بها حالياً ولا أستطيع الاعتذار عنها، وسأغيب لمدة أسبوع واحد. صمتت لعدة ثوان ثم تحدثت بعزم: إذاً، سنؤجل الخطبة لحين عودتك. تفاجأ بقرارها فرفع حاجبيه بدهشة: حقاً؟؟

ثم أضاف: لست مُضطرة لتأجيل شيء لأجلي نادية، بإمكانك.... قاطعته بنبرة حاسمة مُشيرةً بيدها: طبعاً لا جهاد، ليس لي في هذه الحياة سواك أنت ووالدي، ولن تكتمل فرحتي دون حضورك، لذا سنؤجل كل شيء إلى أن تعود.

أثرت كلماتها به فابتسم بخفة وهو يشير برأسه موافقاً بقلة حيلة: لو كانت هذه رغبتك فلا مانع لدي.

ثم قطب جبينه بجدية قبل أن يضيف: هل أخبرت والدتك؟؟
أخفضت أنظارها وهي تشير له بالنفي هامسةً: لا، ليس بعد.
رددت بسرعة عندما لاحظت بؤادر غضبٍ على محياه: كنت سأخبرها اليوم أقسم لك.

ضغط على شفتيه بقوة قبل أن ينفجر بها غاضباً، لا يريد أن يخفي شيئاً على والدتها مهما كان، أشار برأسه موافقاً على مضض قبل أن تهرب من أمامه مُسرعةً، هي لم ترغب بأن يخفي الأمر عن والدتها، هي فقط لم تكن مُتخذة قرارها بعد.

وقفت على الباب وهي تفكر كيف ستخبر ماجد بالأمر وهي حتى لا تملك رقم هاتفه، ما هذا الغباء نادية كيف لا تملكين رقمه؟؟
زفرت بضيق وهي تضع يديها على خصرها وقد شردت في نقطة في الفراغ، فلم تنتبه لعماد الذي قدم ليرى صديقه، وقف يشاهدها وهي تصنع تعابير مضحكة بوجهها أثناء شرودها، ضحك بخفوت وهو يضغط أنفها بأصابعه فانتهت له، أعادت رأسها للخلف وقد تفاجأت بوجوده أمامها فهتفت بدهشة: عماد؟؟ متى أتيت؟؟

اعتدل في وقفته محبباً وهو يقاوم ضحكاته: منذ أن بدأتِ بعمل حركات مُضحكة كالمهرج.

ثم طفق يقلدها بسخرية، اتسعت عيناها بدهشة تصيح به: أنت تكذب! أنا لم أفعل هذا!!!

قطب جبينه بجدية ليصبح بها بدوره: احترمي نفسك أيتها الفتاة، أنا أكبر منك سنّاً عليكِ تقديري واحترامي قليلاً.

تجعدت ملامحها وهي تقلده ساخرةً: ننننن، كلها شهوّر قليلة ما بيننا لا تُحتسبُ حتى.

ثم أخرجت لسانها لتزيد من غضبه، اتسعت عيناها من جرأتها، كاد أن يمسك بها لكنها هربت منه، نزلت الدرجات مُسرعةً وهي تسمعه يصيح خلفها بعصبية فتحت باب منزلها لتغيب خلفه فلم يعد يصلها صوته، أسندت رأسها على الباب تتنهد بحنين وهي تستذكر تلك اللحظات التي عاشتها معه منذ ساعة واحدة، رغم أن عقلها ينهرها ويخبرها بأن تتروّى، لكن قلبها كان يهدر بمشاعر سعادة عارمة طاغياً على أي صوت آخر داخلها.

زمتَ فيها بتفكير ثم ابتسمت بلؤم وهي تنظر إلى الساعة لم ينتهِ دوام الكلية بعد، دخلت إلى غرفتها لتبدل ثيابها مُسرعةً لتخرج إلى جامعتها علّها تجده وتراه، بعد أن تركت لوالدتها رسالة مكتوبة مفادها أنها ذهبت إلى الجامعة كيلا تقلق عليها.

أسند ظهره للخلف مُبتسماً بانتشاء بعد أن أخبر أصدقاءه كيف وافقت نادية على خطبتهما، أما الصدمة الكبرى فكانت من نصيب صهيب الذي لم يتوقع بأن تنصاع له بسهولة، رمشت عيناه وهو يطالعه بحيرة عظيمة. هتف غدي بإعجاب: لا أدري ما الذي فعلته معها لتنقاد لك هكذا، لكنك أثرت إعجابي حقاً.

اتسعت ابتسامته المُغترة أكثر وهو ينقل نظره بين الأوجه المصدومة بأنفة، فيما هتف ياسر مُذكراً: لكن الرهان لم يكتمل بعد ماجد، أم أنك نسيت؟؟

رفع رأسه بكبرياء لا مثيل له وهو يجيبه بغطرسة: لا لم أنس، لكن مازال لديّ ثلاثة أيام لينتهي الشهر، أليس كذلك؟؟ قلب الآخر فمه بعدم اهتمام مُجيباً: صحيح، فلننتظر إذاً اكتمال الشهر ليكتمل الرهان معه.

بينما كان هو يتحدث وصلت نادية إلى مقهى الجامعة وبدأت تبحث عنه بعينيهما، لاحظها ياسر فأشار له بهمس خافت: انظر، لقد جاءت نادية ويبدو أنها تبحث عنك.

التفت إلى حيث أشار له فرآها، استقام من مكانه متوجهاً إليها وعلى ثغره ارتسمت ابتسامة خبيثة.

أخفضت عينيها وابتسمت بتوتر ماإن رآته مُقبلاً عليها، وقف أمامها
ليقول بذبرة ذات مغزى: لا بدّ وأن أُمي تدعو لي في كلّ صلاة لأرى مُحيّاك
الجميل مرتين في وقتٍ قصير.

اتسعت ابتسامتها وقد احمرّت وجنتاها خجلاً، تأثيره عليها قويّ لدرجة
شعرت معها بأن لسانها قد رُبطَ حرفياً.

أجلت صوتها بخرج لتحدث: اسمع ماجد، جئتُ لأخبرك بأمرٍ هام.
تجدد جبينه بشك وقد شعر بأن حديثها غير مُبشّرٍ إطلاقاً، انتظرها لتتابع
حديثها حيث أردفت: يجب أن نُؤجل الخطبة لمدة أسبوع.

اتسعت عيناه بصدمة فصاح بحدةٍ خفيفة: نعم، لماذا؟؟
ازدردت ريقها بخجل منه ثم أضافت بتبرير: جهاد شقيقي في الرضاعة،
تعرفه أليس كذلك؟؟

ضيّق عينيه عندما سمع هذه المعلومة الجديدة فحرك رأسه إيجاباً فتابعت:
هو مُضطّرٌّ للسفر غداً صباحاً ولن يأتي قبل أسبوع كامل، لذا فنحن
مُضطرون لتأجيل الأمر لحين عودته.

لاحقه صهيب بأنظاره المصدومة حتى وصل إليها، تهدل كتفاه بخذلان وهو
يرى تأثير ماجد عليها، إنها تحبه حقاً وهذا ما أحدث جرحاً عظيماً في
فؤاده، ما الذي يملكه ماجد لتقع في غرامه عكسه هو؟؟

تنفس بعمق وهو يشعر بأنه سيختنق فانسحب من الجلسة سريعاً دون حديث، ناداه غدي عدي مرات دون ردّ منه، فاستقام هوة الآخر ليلحق بصديقه، فيما بقي ياسر يراقب ما يحدث بين ماجد ونادية، وقد بدا له بأن هناك خطباً ما من حركات ماجد.

بانت عليه أمارات المفاجأة، وهو يعلم أنه لن يستطيع الانتظار لأسبوع كامل، حاول السيطرة على نبرة صوته التي خرجت بجديّة طفيفة رغماً عنه: ولمَ ننتظر عودته أصلاً؟؟ فكما قلت هو شقيقك في الرضاعة وليس أخاك حقيقة؟؟

استغربت أسلوبه في التهجم عليها ورمشت عيناها ثم أجابت بتأنيب: بالطبع لا ماجد، أنا لا أملك أية أشقاء سواه، ولن تكتمل فرحتي بعدم وجوده.

هتف مجدداً بإصرار: فلنخطب الليلة إذاً.

عقدت حاجبيها باستغراب من استعجاله المريب فتحدثت: لا أستطيع أيضاً، فأنا لم أخبر والدتي بعد.

فتح فمه وكاد أن يوجّحها لكنه خشي أن يُفسد لعبته وتبدأ بالشكّ به وبعجلته الغير مُبررة، فضغط على شفّتيه بقوة وحاول التحكم بأعصابه التي كادت تنفلت منه ثم قال بهدوء غريب: لا مشكلة نادية، كما تشائين. ابتسمت له بامتنان ثم أشارت له بخفوت: أنا ذاهبة لأرى صديقتي.

هز رأسه بجمود فرحلت من فورها ترافقها بسمتها السعيدة، تسارعت أنفاسه بغضبٍ مكتوم وهو يراقبها تحتفي من أمامه، وقف ياسر إلى جانبه ينظر إلى فراغ مكانها هامساً بتساؤل: ماذا تريد منك؟؟ هل غيرت رأيها؟؟ أجابه بغلٍّ مفضوح وما يزال على وقفته: تريد تأجيل الخطبة لأسبوع. ابتسم الآخر بتهكم وهو يستدير ليوواجهه مُتحدثاً بخبث: أسبوع كامل؟؟ إنها فترة طويلة، ألا تعتقد ذلك؟؟؟

لم يجبه ولم يستدر ليقابله، لكن عرقه الذي نفر من جانب رأسه وأنفاسه غير المنتظمة، أخبروه عن كمّ المجهود الذي بذله ليكبح غضبه المتعاضم داخله، فربت على كتفه مُردفاً بنبرة ساخرة: ثلاثة أيام ماجد، لاتنس. رحل عقبها، تاركاً ماجد يكاد ينفجر غيظاً، لن يخسر رهانه مهما كلفه الأمر، ليس هذه المرة، وليس من أجلها هي. انشقَّ ثغره عن ابتسامة باردة، وقد خطر في ذهنه فكرة خطيرة لن يفوت تنفيذها.

عادت هالة إلى منزلها بعد انتهاء العمل في المحل فلم تجد ابنتها، بل وجدت رسالة ورقية منها تخبرها بأنها رحلت إلى الجامعة، عقدت حاجبيها بريبة فابنتها أخبرتها صباحاً بأن لا مُحاضرات لديها هذا اليوم، ومن ثم لم لم تخبرها هاتفياً؟؟

لا تعلم حقاً، لكن قلبها عاد لينخزها بقسوة ويخبرها بأن وحيدتها تخفي عنها أمراً جلاً، رغم أنها ليست هكذا عادة.

صدق حدسها تماماً، فبعد عودة نادية من الكلية أخبرتها بأن هناك أمراً هاماً يجب أن تحدثها به، وهي الآن تجلس على أريكتها بوجوم بعدما قصّت عليها ابنتها قصة غرامها مع ماجد.

لم تشعر بالراحة نحوه أبداً، نظرت إلى نادية التي أخففت أنظارها خجلاً، تعلم أنها جميلة ومُثقفة لكنها تشعر بالريبة، كيف لشاب ثريٍّ ومن عائلة مرموقةٍ مثله أن يقع في غرامها بهذه السهولة؟؟

طال الصمت بينهما مما جعل القلق يساورها، رفعت أنظارها لتجد والدتها تناظرها بغرابة، عقدت حاجبيها هاتفئةً: ما الأمر أُمِّي؟؟ ألم تفرحي لما أخبرتك به؟؟

ازدردت ريقها بتوتر جلي وهي تتصنع ابتسامةً لم تصل لعينيها: لا حبيبي، أنا فقط أفكر.

بللت شفيتها ثم استدارت صوبها لتضيف: عزيزي، ألا ترين أنك استعجلت قليلاً في موضوع الخطبة؟؟

تجعد جبينها بعدم فهم فيما تابعت والدتها بتبرير: أعني، كما أخبرتي أنك لم تعرفيه سوى منذ أسابيع قليلة، أترين أنها مدة كافية لتعرفيه وتتعلقي به بهذه الطريقة؟؟

ابتسمت نادية ببساطة لتجيب والدتها بتفهم: لا تقلقي أمي، أنا متأكدة من اختياري، ومن ثم فترة الخطبة هي لتتعرف على بعضنا ونتفهم طباع بعضنا أكثر.

وضعت يدها على ذراع والدتها مُضيفَةً: لكنني واثقة في قلبي يا أمي، وأنا أحبه بالفعل وهو كذلك صدقيني.

اهتزت ابتسامتها المُصطنعة وهي تسمع اعتراف ابنتها، نعم تصدق بأنها تحبه لكن ماذا عنه هو؟؟ هل يحبها صدقاً؟؟

ارتجفت شفيتها وهي تربت على كف ابنتها لتقول بضعف ونفيس طويل: أرجو ذلك يابنتي، أرجو ذلك.

استقامت بعدها بتعب لتتجه إلى غرفتها، استغربت نادية فتور والدتها تجاه هذا الخبر السعيد، لكنها فسّرت ذلك على أنه خوفٌ طبيعي من ابتعادها عنها، فهي وحيدتها في النهاية، ابتسمت وهي تتنهد بسعادة، وتُمني نفسها بأيام قادمة وردية مع من اختاره قلبها.

وصل جهاد صباحاً إلى الشركة ليجد زملاءه في المكتب مجتمعين خارجاً،
 قطب جبينه متجهاً إلى أحد زملائه: ما الأمر فارس؟؟ لمَ هذا التجمع؟؟
 استدار فارس ناحيته مُجيباً: لقد طلبت منا الآنسة بيلاً أن نجتمع هنا لنتهيأ
 للسفر.

عقد حاجبيه بعدم فهم ليردف: الآنسة بيلاً؟؟ من تكون؟؟
 _ إنها رئيسة قسم الشؤون القانونية.

زاد استغرابه أكثر فهتف: لكن على حسب علمي فإن السيد مراد هو
 رئيس القسم؟؟؟ أليس كذلك؟؟
 قهقهه الآخر ساخراً ثم تحدث: لا جهاد، السيد مراد ما هو إلا نائب الآنسة
 بيلاً، وقد ناب عنها في اختياركم لأنها كانت مسافره إلى إيطاليا.
 ثم أضاف بهمسٍ خافت: وهي أيضاً الابنة الوحيدة للسيد جميل صاحب
 الشركة..

هزَّ رأسه متفهماً وضغط على شفتيه وهو يدير وجهه إلى الجانب الآخر،
 تيبست حركته فجأة، اتسعت عيناه بدهشة جلية وقد تسارعت أنفاسه من
 جمال الملاك الذي وقعت عيناه عليه للتوّ.

ترجلت بيلاً من سيارتها الفارهة لتقابل موظفيها مع ابتسامة رقيقة،
 اقتربت منهم وهي تلقي تحية الصباح، ردّد الجميع التحية ما عدا جهاد
 الذي كان مدهوشاً وقد فتح فمه ببلاهة وهو يتأمل وجهها الملائكي،
 بشرتها الصافية ووجنتيها التي اصطبغت بحمرة ربانية، عيناها الخضراوان

كشجرة الصفصاف وسلاسل ذهبية قد غطت رأسها ورفعته على شكل ذيل حصان ليظهر من أسفله العنق البض الطويل، حاشا لله أن تكون تلك إنسية بل هي حوريةٌ من حور العين قد هربت من النعيم...

أفاقه من شروده بجماها الفتان زميله فارس، الذي نكزه في خاصرته لينتبه أن الجميع ينظر إليه بانتظار أن يعرف بيلا عن اسمه، أجل صوته بارتباك ثم قال بنبرة مرتجفة: جهاد، اسمي جهاد عبد الله.

حركت رأسها وهي تبتسم بتفهم، وكأني ببسمتها تحمل فرح الدنيا، وكأنها الإكسير العجيب لرتق الجروح والآلام.

صعد الجميع إلى الحافلة الصغيرة التي ستقلهم إلى المطار فيما لحقتهم سيارة بيلا، بقي جهاد ينظر لها من نافذته طوال مدة الرحلة، وهو لا يسمع حرفاً من ثرثرة فارس بجانبه، يبدو أن تلك الحورية قد سلبت قلبه وانتهى.

جلست نادية وحيدةً في مكانها المعتاد، نفخت بضيق وهي تنقل بصرها بين هاتفها وبين أوجه الحاضرين تبحث عنه، كم وبخت نفسها لأنها نسيت أن تطلب منه رقم هاتفه، لكن أليس غريباً أنه هو أيضاً لم يطلب رقمها؟؟

زمت فمها بتفكير حتى قاطعها حضور نهلة برفقة سمية التي تغيبت كثيراً خلال المدة المنصرمة، استقامت من مكانها لتصافح صديقتها، ثم جلست برفقتهم لتحدث نادية: هناك خبر هام أريد أن أعلمكما به.

تأهبت حواس كلتاهما لتسمعا خبرها المنتظر، أجلّت صوتها ثم أخبرتهما
بسعادة واضحة على نبرة صوتها: أنا وماجد سنخطب بعد أسبوع.
سيطر الوجوم على وجه سميرة التي صدمت بالخبر، فسألتهما بهدوء مريب:
من ماجد؟؟

قابلتهما بابتسامتها السعيدة لتجيب: ماجد الصايل طبعاً.
احتدت نظراتها وتسارعت أنفاسها بغضب فشلت في السيطرة عليه لتقول
بغلّ مفضوح: ماذا قلتِ نادية؟؟ ستخطبين لماجد الصايل؟؟
اختفت ابتسامتها وهي تسمع هجوم صديقتها الغير مبرر عليها، فيما
أردفت الأخرى بغضبٍ أعمى: منذ متى وأنتِ ترسمين عليه؟؟ أجيبيني
نادية منذ متى وأنتِ تحيكين حبايلك القذرة حوله؟؟
صاحت بها نهلة لتوقفها عند حدها: ما بالكِ أنتِ؟؟ ما هذا الجنون الذي
تتفوهين به؟؟

استدارت نحوها لتهاجمها هي الأخرى: وأنتِ شريكته في لعبتها الحقيرة
أليس كذلك؟؟
نهرتها نادية بعصبية: الزمي حدّك سميرة!! لم كلّ هذا الغضب والحقد؟؟
أخبريني؟؟

عاودت أنظارها إليها لتخبرها بسخط وهي تبتسم بتهكم: حقاً لا تعلمين
لماذا؟؟ لأنني أحبه طبعاً.

ألجمتها الصدمة فلم تعرف بما تجيبها، ملمت سمية أغراضها وهي تتابع هجومها الحاقد بدموع: لعنة الله عليكِ نادية، أتمنى أن تموتي أيتها الحقيرة.

رحلت مسرعة وهي تسمح عبراتها التي تساقطت بغزارة، تأففت نهلة منها ومن كلماتها المُخجلة، تطلعت إلى نادية الواجمة فوضعت كفها على كتف صديقتها هامسةً: لا عليكِ بها نادية.

التفت صوبها لتخبرها بنبرة مرتجفة بتأثر: نهلة، أنا صدقاً لم أكن أعرف أنها تحبه، كنت أظن الأمر مجرد انبهار بماله ومكانته، فقط. ربت نهلة على كتفها ببسمة صغيرة: لا تهتمي عزيزتي وانسي كل ما قالته لكِ تلك الحقودة.

ناظرتها بتردد فأضافت الأخرى: المهم أنك تحبين ماجد، وأنه قد اختارك أنتِ دوناً عن بنات الكلية بأسرها. ابتسمت رغماً عنها عندما تحدثت عن ماجد، فهزت رأسها موافقةً وتنفست بارتياحٍ طفيفٍ رغم تأنيب ضميرها لها بشأن سمية وحبها لـماجد.

خرجت سمية باكية من الكلية لتصادف ماجد الذي كان يركن سيارته الحديثة إلى جانب الطريق، ترجل من السيارة ليصطدم بسمية الباكية وهي واقفة تنظر إليه، خطى إليها ليسألها بفضول طبيعي عن سبب بكائها لكنها استبقته لتصدمه بسؤالها: هل صحيح أنك ستخطب نادية؟؟؟

استغرب سؤالها فالتزم الصمت، فيما تابعت هي بنشيج: لماذا تخطبها هي؟؟
 ما المميز فيها عني؟؟
 فهم ما وراء كلماتها فاعتدل في وقفته ليهتف بلؤم: ولم أنت منزعة هكذا
 سمية؟؟

صاحت به وعبراتها تنهمر كأنهار سوداء: لأنني أحبك ماجد، أحبك أكثر
 منها.

ابتسم بمكر وهو يضع كلتا يديه في جيبه فلم تكن المرة الأولى التي يسمع
 بها هذه الكلمة، يعلم أن الفتيات يعشقنه ويتمنين نظرة واحدة منه، لم
 يتأثر قلبه الحجري ببكائها ثم تساءل: كيف تثبتين حبك لي سمية؟؟
 مسحت دموعها لتنطق بعدها بنبرة غير قابلة للنقاش: مستعدة لفعل أي
 شيء تطلبه.

أشاح بوجهه ساخراً، ما لبث أن أعاد أنظاره إليها بصدمة عندما أضافت:
 أستطيع أن أسلمك نفسي حتى لو أردت.

رمشت عيناه بدهشة حقيقية، تلك المرة الأولى التي تقوم بها فتاة ما بعرض
 نفسها عليه، ربما اعتاد على ذلك من بنات النوادي الليلية، لكن أن يقابل
 فتاة خارج الملهى وتعرض عليه علاقة كاملة فهذه سابقة له.

ظلت تنظر إليه بنظرات ثابتة أغرته لأن يمتحنها، كاد أن يوافقها لولا أنه
 تذكر أمر نادية وماحضره لها سابقاً، ابتسم ببرود وهو يخبرها بلين: اذهبي
 إلى منزلك وتجهزي، وسأحدثك بعد ساعة.

تبدلت ملامحها البائسة في لحظة لتتحول إلى السعادة المفرطة وهي تومئ له بالإيجاب، غادرت من فورها لتتركه يحادث نفسه بغرور: يبدو أنك على موعد مع علاقيتين مختلفتين في ليلة واحدة.
تنفس بعمق وهو يهيئ نفسه للقادم، فالיום سيربح رهانه ليثبت لأصدقائه أنّ ما من فتاةٍ لا تتمنى وصال ماجد الصايل.

جلست وحيدةً على مقعدها بعد مغادرة نهلة لحضور إحدى المحاضرات، لم يكن بها جَلَدٌ للتركيز في أي شيء، كانت تتظاهر بالقراءة في كتاب ما فقط لتهرب من تأنيب ضميرها، عندما أطلّ عليها ظلٌ طويل، رفعت رأسها باستغراب تحول إلى ابتسامة عريضة عندما عرفته.

وقف ماجد بغرور واضحاً يديه في جيبه يسألها ببرود: كيف حالك نادية؟؟
استغربت من بروده فاستقامت من مكانها لتقف قبالة ثم أجابت: أنا بخير ماجد، هل أنت على ما يرام؟؟

هزّ رأسه بابتسامة مقتضبة، ثم تحدث بتردد مُفتعل وهو يفرك رقبته:
اسمعي نادية كنت أريد أن....

قطع كلامه متعمداً، ضغط على شفثيه ثم أردف بطريقة موحية: لا بأس، لا تهتمي.

زوت ما بين حاجبيها باستغراب فسألته: ما الأمر ماجد؟؟ أخبرني أرجوك.

تنحني وهو يتصنع الارتباك قائلاً: كنت أريد أن أطلب منك أمراً لكنني أخشى أن ترديني خائباً.

تجعد جبينها بعدم فهم لتعقب: لا أفهمك ماجد، حقاً ما الأمر؟؟
نظر إليها هامساً بتردد مُحْتَلِق: نادية، والدتي تريد أن تتعرف إليك.
سكت لثوانٍ يرى تأثير كلماته عليها، فتغضن وجهها بحمرة الخجل
وأشاحت بوجهها عنه وهي تتمتم: والدتك تريد التعرف إليّ؟؟
ابتسم بخبثٍ وهو يضيف: نعم في الحقيقة لقد طلبت مني بأن أجلبك إلى
منزل العائلة لتتعرف بك، فما رأيك؟
أجلت صوتها بخرج مرددةً: ولكن..

سارع، ليقاطعها مضيقاً بهمس خافت: لا تخافي حبيبتي، فوالدتي ستحبك
بالتأكيد.

ازدردت ريقها بوجل وهي تتحدث: ليس الأمر هكذا، إنما...
قاطعها من جديد وهو يشدد على قبضتها متحدثاً برقة: هيّا نادية ممّ
تخافين؟؟ أولاً فالمنزل مليء بالخدم والعاملين فيه، ثم إن هناك شقيقتي
وأمي طبعاً.

رفعت رأسها إليه وكادت أن تتحدث عندما قابلت عينيه، تلك الخضراوان
فيهما وميضٌ عجيب سحرها حرفياً فأومأت له موافقةً دون وعيٍ منها،
اتسعت ابتسامته الماكرة فانتبهت لفعلتها، أجلت صوتها بخرج وهي تخفض
أنظارها عن مدى عينيه ثم همست: فقط أريد أن أحادث أُمّي لأخبرها.

أشار لها بالإيجاب ثم حرّر قبضتها، استدارت نحو مقعدها لتتناول هاتفها من الحقيبة، ثم ابتعدت عنه عدة خطوات وهي تتلمس وجهها الذي تجزم بأن حرارته قد تضاعفت، طلبت رقم والدتها ثم أخبرتها بأمر ذهابها لمقابلة والدة ماجد.

أغلقت هالة المكالمة الهاتفية مع ابنتها وهي تشعر بعدم الراحة، كان يجب أن ترفض لا تعرف لمَ طاوعتها، ربما بسبب حماس ابنتها لمقابلة حماتها المستقبلية، لكن قلبها غير مرتاح يخبرها بضرورة التراجع، زفرت بخفة وهي تمسّد مكان قلبها بروية وأغمضت عينيها بتعب، هي تثق في ابنتها وتثق في قراراتها، لا يجب أن تحاصرها فلتتركها على راحتها. تنفست بعمق، ثم تحاملت على نفسها لتقف وتتابع أعمالها في محل الألبسة الخاص بميساء.

جلست بجانبه في السيارة وقد سيطر عليها التوتر المفرط فهي الآن على وشك مقابلة عائلة حبيبها. لاحظ ماجد حماسها فابتسم بمكر وهو يفكر فيما سيحدث بينهما بعد قليل.

أوقف سيارته أمام المبنى الراقي حيث تتواجد شقته المشبوهة، استغربت عندما طلب منها أن تنزل، ترجلت لتقف وهي تمسك بباب السيارة

المفتوح، تفحصت المبنى بعينيها وقد انتابها بعض الشك، لاحظ ترددها فسألها بحاجبين معقودين: ما الأمر نادية؟؟

التفت صوبه وأجابته ببسمة متوترة: لا شيء، أنا فقط...

بترت جملتها وازدردت ريقها بارتباك ثم أضافت بجدية: ماجد، هل تعيش وعائلتك هنا جميعاً؟؟

فهم ما ترمي إليه لربما شككت في أن يكون والده صاحب المجلات المشهورة يعيش في شقةٍ مهما بلغت فخامتها، فحاول أن يجد عذراً منطقياً ليخبرها إياه: لا عزيزتي، نحن نعيش هنا بشكل مؤقت، فوالدي تقوم ببعض التغيرات في قصر العائلة.

تابع حديثها بنبرة لئيمة: فهي تعمل حالياً على توسيع الجناح الذي سنمكث فيه بعض زواجنا.

أخفضت رأسها وهي تبتسم بخجلٍ محبب، وقد علم كيف يلعب على أوتارها، اقترب منها ليمد لها كفه، أمسكت بيده ثم خطت داخل المبنى بخطوات ثابتة وهي ترفع حقيبتها لتعلقها على كتفها، ولا تعرف أن خطواتها تلك كانت نحو الهاوية.

استقلَّ المصعد وهي تشعر بنبضاتها التي تضاعفت عن السرعة العادية بمراحل، فيما هو يراقبها بطرف عينه بتسلية، كانت واثقةً فيه فلم تعرف أبداً بأنه كذِّبٍ بغيض يتملُّ حملاً وديعاً ليستدرجه إلى وكره ويغتال براءته هناك، ثم يحرق روحه ليتركها رماداً.

توقف المصعد عند الطابق الخامس، فتح الباب ليتقدمها ماجد وهي تتبعه بخطى متردة حتى وقف أمام إحدى الشقق السكنية التي حملت رقم تسعة. قرع الجرس ووقف ينتظر لثوانٍ كان ينظر بها نحو تلك البريئة والتي سيقتل براءتها بيده بابتسامة الثعلب، فُتح الباب ليظهر من خلفه (خنساء) زوجة محسن حارس العقار، ابتسامة ودودة رسمتها على وجهها وهي تدعوها للدخول كما أُملي عليها، تنحت للجانب لتسمح لهما بالمرور، تفحصت خنساء تلك الفتاة التي جلبها معه، كانت مختلفة عمن يجلبهن إلى هنا عادةً، تنهدت بأسفٍ وهي تغلق الباب لتدلف إلى المطبخ بانتظار أوامره.

أدخلها إلى الصالة الراقية وتركها زاعماً أنه سينادي على والدته، تبسمت بتوتر وهي تجلس على الأريكة خلفها، تفحصت الصالة بنظرة سريعة، كانت واسعة تحوي أثاثاً ينم عن ذوقٍ رفيع، انتفضت بحفة عندما سمعت صوت إغلاق باب المنزل، ساورها القلق للحظات لكنها عادت وطمأننت نفسها، ربما أحد القاطنين في المنزل قد عاد من الخارج، اعتدلت في

جلستها تحسباً لدخول أحدهم، دلف ماجد بعد ثوانٍ ثم جلس إلى جانبها وهو يبتسم بتملّق: ما بكِ نادية؟؟ لم أنت قلقة هكذا؟؟ حاولت إخفاء توترها خلف ابتسامة مُصطنعة وهي تفرك يديها ببعضهما: لا شيء أبداً..

بللت شفتيها ثم استدارت لتقابله بجسدها ثم همست بسؤال: إذا أين والدتك وأفراد عائلتك؟؟ لم أر أحداً منهم بعد؟؟ مدّ يده ليبعد خصلةً تمردت من شعرها ووضعها خلف أذنها، تعتمد أن تتلامس أصابعه مع بشرتها الناعمة، فبعثت فيها قشعريرةً جعلت جسدها ينتفض بخفة وأنفاسها تتسارع باضطراب، همس لها بعث: هل مللت من تواجدي معك لوحداً نادية؟؟

رمشت عيناها وهي تحاول إيجاد صوتها الذي شعرت بأنه اختفى، ازدردت ريقها بتأثر وهي تنطق بارتباك وتقطع: والدتك هنا ماجد، لا يصح أن تدخل وتجدك جالساً بقربي هكذا.

ابتسم بحبث ويده مازالت تمسّد على وجنتها بخفة ثم همس بخفوت مثير: لا تقلقي حبيبتي، لا أحد سوانا هنا.

شحب وجهها فجأةً وجحظت عيناها وهي تنظر إليه بصدمة حقيقية، رفرفت بأهدابها لتنطق ببسمةٍ متوترة كمن لم يصدق ما قاله: مؤكّد أنك تمرح معي ماجد، أليس كذلك؟؟

اتسعت ابتسامته الخبيثة مُشيراً لها بالنفي، انتقلت يده بتمهلٍ شديدٍ إلى شفتيها وذقنها يمسدهما بخبرةٍ اكتسبها من العبث مع عاهراته ثم أجابها بلؤم: لا حبيبتى، أنا لا أمزح.

فتحت فمها ببلاهة وكأن عقلها مخدراً، بينما أضاف ماجد بذات الهمس اللثيم: ارتأيتُ أن نأتي إلى هنا لنكون على راحتنا حبيبتى.

دلفت خنساء إلى منزلها الملحق بالمبنى الراقي، لتجد زوجها وابنتها الوحيدة ذات العشر سنوات (لارا)، يشاهدان برنامجاً تلفزيونياً، جلست على الأريكة القريبة تتأمل ابنتها بشرود، شعوراً غريباً من القلق سيطر عليها وهي تتذكر هيئة نادية لا تبدو كمن يجلبهن عادةً، تبدو مختلفة وبريئة، ترى كيف خدعها لتأتي معه إلى هنا؟؟ عيناها فيهما وميض براءةٍ غريب.

استفاقت من شرودها على نداء زوجها السائل: ما بالك خنساء؟؟ لم أنتِ شاردةٌ هكذا؟؟

تصنعت الابتسام وهي تحدث ابنتها بلطف: لارا حبيبتى هيا إلى غرفتك للدراسة.

عقد محسن حاجبيه بريية من تصرفات زوجته الغريبة، فأشار لابنته بحزم رحلت الصغيرة وهي تنفخ بانزعاج فلم يكن برنامجها قد انتهى بعد.

ما إن دخلت لارا إلى غرفتها حتى التفت محسن صوب خنساء يسألها من جديد: ما الأمر؟؟

تنهدت بتعب وهي تقترب منه لتجيبه: لا أعلم محسن، ولكن هناك أمرٌ مريب.

ازدادت عقدة حاجبيه وهو يحدثها بحدة: أفهميني خنساء، ماذا تقصدين؟؟ أجلت صوتها ثم همست له: الفتاة التي سعدت مع السيد ماجد.... سكنت لثانية فصاح بها وقد نفذ صبره: خنساء، اختصري، ما الذي ترمين إليه؟؟

ناظرته بتردد عظيم لكنها عزمت أمرها فتحدثت: اسمع محسن، تلك الفتاة ليست كمن يجلبهن عادة إلى هنا.

قاطعها بإشارة من يده ليزجرها بغلظة: اسمعي أنتِ خنساء، لا شأن لنا بمن يحضر أو يرحل معه، فهمت؟؟ _ ولكن يا محسن؟؟....

قاطعها مجدداً بنبرة ثابتة: لقد سمعتني، هذا الشاب معروف وذو نفوذ، ونحن أناسٌ بسطاء جداً قد يؤذينا لو تدخلنا في شؤونهم، لذا لنبقَ بعيدين عنه وعن أمثاله، فهمت؟؟

رغم عدم اقتناعها التام لكنها أشارت له موافقةً على مضمض، فهي تعلم كم أن زوجها يحاذر التدخل في أمور سكان المبنى، خاصةً أن كانوا على شاكلة ماجد.

ارتجفت شفيتها من تأثير حديثه ولمساته على حدّ سواء، لكن عقلها انتهرا فجأة، فانفضت واقفةً وهي تضمّ حقيبتها إلى صدرها بقوة، مما أثار استغرابه فوقف قبالتها وهي تزجره بنبرة مرتعشة: ما الذي ترمي إليه أنت؟؟ انتصب ظهره بغرور وفرد كتفيه واضعاً كلتا يديه في جيبه متحدثاً: كما فهمت بالضبط عزيزتي.

تسارعت أنفاسها وتهدل كتفاها بخيبة أمل حقيقية، اغرورقت عيناها بالدموع لكنها قاومتها وهي تنتهره بشدة: أنت تحلم إذاً. حاولت تخطيه لتخرج قبل أن يمسكها من ذراعها ليعيدها لتقف أمامه، شدّت يدها على حقيبتها وهي تضمها إليها بحماية، ثم سمعته يهمس بشرّ وعلى وجهه ابتسامة باردة: لم يسبق وأن رفضت إحداهن طلباً لماجد الصايل يا نادية، أبداً.

نفضت يدها عنها ورفعت رأسها بكبرياء وهي تجيبه: هناك دائماً مرة أولى أستاذ ماجد.

وصلت الحافلة إلى المطار تتبعها بيلا، علموا هناك أن الطائرة الوحيدة المتوافرة أصابها عطل ما وهم الآن يسعون لإصلاحه لكن قد يطول الأمر. جلست بيلا على أحد مقاعد الانتظار وهي تعبث بهاتفها غافلةً عن عيني جهاد التي تراقب كل حركة تصدر عنها، جلس قريباً منها دون أن يزعجها،

بعد رفضه أن يلتحق ببقية الرفاق الذين فضلوا الخروج للمشى ريثما يتم إصلاح الطائرة.

زفرت بملل وهي تضع هاتفها في حقيبتها، جابت بأنظارها على الجالسين في صالة الانتظار وعددهم لم يكن كبيراً، حتى وقعت عينها على جهاد الجالس بقربها، أجفل عيناه بعيداً قبل أن تلتقي بعينيها وزعم أنه يطالع أوجه الجالسين حوله، لكنه لم يكن يرى شيئاً فعلياً.

تبسمت بخفة وقد تذكرته، تطلعت حولها الجميع غرباء عنها، لذا استقامت من مكانها واقتربت منه، وقفت بجانبه لتتحدث بصوتها اللطيف طالبة الإذن بتهديب: هل بإمكانك الجلوس؟؟

رفع نظريه نحوها بدهشة ثم ابتسم مُشيراً لها بالإيجاب، فجلست إلى جانبه ورفعت يدها ناحيته: اسمي إيزابيلا، لكن بإمكانك مناداتي بيلا فقط. ازدرد ريقه بارتباك وهو يمدّ يده ليصافحها بدوره، شعر بسيلٍ جارف من المشاعر الجديدة عليه كلياً، خرج صوته بخفوت مصحوباً ببحة مُتأثرة: جهاد.

تركت كفه لتردف: أنت أحد الموظفين الجدد، صحيح؟؟ أشار لها موافقاً فوضعت قدماً فوق أخرى لتعتدل في جلستها ثم تحدثت بأريحية: أخبرني جهاد، كم عمرك؟؟ أجلى صوته ليبدو واثقاً وهو يجيبها: عمري اثنان وعشرون عاماً.

أومأت برأسها مُعقبةً: أتعلم؟ الفارق بيننا ليس كبيراً، فأنا أيضاً قد أتممت الثانية والعشرين من عمري منذ فترة قصيرة. استدارت صوبه وهي تضع يدها على ظهر الكرسي تسأله باهتمام: إذاً فهذا عامك الأخير في كلية الحقوق، أليس كذلك؟؟

مما لاشك فيه أنها قد انتقت التوقيت الخاطئ لنطق تلك الجملة بالذات، استحضر عقله جملة يأسر ذاتها وبنفس النبوة أيضاً، أظلمت عيناه بنظرات قاسية مظلمة و شيطانية مرعبة، حاول التحكم بغضبه الذي أخذ يتعاضم داخله ثم تحدث بنبرة مخيفة: لم يعد لكِ الحق بالقبول أو الرفض يا نادية، فدخل الحمام ليس كالمخرج منه.

تمالكت نفسها وهي تفكر في طريقة لتهرب من عرينه فقالت بنبرة لينة علّها تؤثر به: لقد خيبت أمني فيك ماجد، فأنا أحببتك بحق. قهقهه ساخراً من حديثها بطريقةٍ استرابت منها، سكت فجأة وهو يطالعها بتهكم: ساذجة أنتِ يا نادية، فقد وقعتِ في فخٍ بكل سهولة. اهتزت ملامحها بعدم فهم فيما أضاف هو قاصداً التأثير عليها: لربما أحببتني أنتِ، لكنك لا تعرفين أنني لا أنجذب لأمثالك أبداً. رمشت عينها بعدم تصديق وهي تطالعه بصدمة بائنة، فيما تابع هو حديثه الساخر: ولا تعلمين أنكِ كنتِ رهاناً بيني وبين أصدقائي.

سيطرت عليها خيبتها لتمنعها من التفكير السليم، شردت في نقطة في الفراغ وهي تستمع لكلماته الموجهة، صُعَبَ عليها أن تكون ضحية خديعة ما، خاصة وأنها أحبته بصدق فلم تستوعب مغزى حديثه في البداية. استغلّ ماجد الوجوم الذي سيطر عليها فتحرك من أمامها بخطوات بطيئة مُضيفاً بهمس الشياطين: نعم عزيزتي، لا تصدقي بأنك أنت من يلتفت إليها ماجد الصايل، كلّ ما حدث أن أصدقائي، صهيب وغدي وأيضاً ياسر، قد تحدوني إن كنتُ أستطيع أن أوقع بك.

غدا خلفها عند هذه النقطة، ابتسم بشرّ وهو يحاوط جسدها بيديه متابعاً حديثه بذات الهمس اللئيم بتلذذ: وقد وقعتِ كالبلهاء وأتيتِ بقدميكِ إلى عريني.

تحدثت لتنهره بضغفٍ لا يتناسب مع الموقف المُنذر بخطرٍ وشيك: ابتعد عني ماجد.

ارتخت يداها عن حقيبتها فوقعت أرضاً عندما عقّب على كلماتها وقد عملت يدها على تكيلها بإحكام: أولاً يجب أن أتمم رهاني.

صاعقة مُستعجلة كتيارٍ كهربائي ضرب حواسها لتستوعب لتوها بأنها محاصرةٌ بين ذراعيه القويّتين، حاولت التملص منه فزجرته بغلظة: ابتعد عني ماجد، ابتعد يكفيك عواء.

تحولت ملامحه فبدا كأنه الشيطان خارجاً من الجحيم، انحنى صوب أذنها ليهمس بغلّ: الأسود لا تعوي نادية، بل تزار.

دفعها لتسقط أرضاً فتأوهت بألم، ولم يعطها الفرصة للهرب فجثى فوقها ليكبل ذراعيها معاً ثم أضاف بهوسٍ مريض: والآن سأريك أفعالها. تلوّت أسفلهُ وهي تحاول تخليص نفسها لكن كيف السبيل وجسده يفوق جسدها حجماً وقوة؟؟

حاولت ضربه لكنه لم يتأثر بضرباتهما فمدت يدها تحاول أن تجرح وجهه فصفعها بقوة عدة صفعات متتالية، غابت إنسانيته تماماً ليحلّ محلها غريزة بهيمية بحتة، كلما زادت مقاومتها زاد عناده، امتدت يده إلى حقيبة يدها القريبة منه، كبّل يديها بالحزام الجلدي للحقيبة ثم ربطه إلى قدم الأريكة ليشلّ حركتها، صرخت بكلّ ما أوتيت من قوة علّ أحداً ينجدُها من هذا الوحش حتى شعرت بأن حبالها الصوتية قد تلفت، صفعها مجدداً صارخاً: اخرسي أيتها البهيمة.

تهاوت بضعة وسائد على الأرض ووقع تمثال صغير كان موضوعاً على الطاولة التي ضربها بقدمه، أبعدَ الطاولة فوقع التمثال على الأرض ليتحول إلى أشلاء صغيرة.

أنهكت قواها وخارت فلم يعد بها جَلَدٌ للصراخ، لكن يظلّ ذلك الشعور الغرائزي بالمقاومة يتنامى داخلها رغم ضعفه.

مشاعر مختلطة أصابتها: ألم، حزن، خذلان، فشل، حقد، حب.

كلها أحاسيس تجمعت لتخنقها وهي تشاهد وتعاين اعتدائه عليها، أو إعدامها بمعنى أدق. مرّ شريط حياتها أمام عينيها كأنها تشاهد فيلماً

سينمائياً، صور متداخلة عرفت من بينها جهاد وهي تلعب معه كرة السلة في الفناء الخلفي للمبنى، منزلها، حتى طاولتها أقلامها وكتبها، صورةً لوالدتها تطالعها بحزن.

تيار بقوة مهولة ضرب عقلها فانتفض جسدها مرةً واحدة، والدتك نادية، لا تستحق هذا منك هيا قاومي لأجلها فقط، استجمعت قواها لكن الآوان كان قد فات، صرخت صرخة مدوية شقت عباب الصمت وسمع صداها في المبنى الراقى كله.

وقع الطبق من يدها فانكسر مُحدثاً صوتاً عالياً، مسّدت هالة على مكان قلبها بقوة، استندت على الطاولة الرخامية حتى وصلت إلى الكرسي المجاور ورمت بثقلها عليه، تنفست بعمق أنفاسها لاهثة متسارعة بلا مجهود بدني، بل هو قلبها ينبؤها بمكروه حصل لابنتها، شعرت بجفاف عظيم في فمها وارتجف جسدها كلياً ولم تعرف ما السبب سوى أن فؤادها يكاد يتمزق.

تناولت هاتفها المسنود على الطاولة الرخامية بكفٍ مرتعشة ثم طلبت رقم ابنتها.

شعر بأنه أخطأ وربما ندم، لكنّ ندمه أبداً لم يرتقِ إلى حجم خطيئته، وقف تحت الصنبور في الحمام تاركاً الماء يجري على جسده بانسياب، بينما هو يفكر فيما فعله.

شعر ببعض تأنيب الضمير، لم يكن الأخذ عنوةً من شيمه أبداً، بل كانت خطته أن يغويها حتى تسلمه نفسها، لكنه يحاول إقناع نفسه بأنها من أجبره، بلى هي من دفعه لفعلته تلك، لم لم تقبل بعلاقة طبيعية شأنها شأن الفتيات الأخريات؟؟

صوت صهيب يرن في أذنه بقسوة {نادية ليست كمن تعرفهن، إنها مختلفة} نفّض الماء عن رأسه ليتطلع إلى المرأة هامساً لنفسه: لقد أجبرتني على فعل ذلك، أنا فقط أردتُ أن أكسر كبريائها.

أغمض عينيه بقوة وكأن هذا عذراً يعطيك الحق لفعلتك الشنيعة؟ مرّر يديه بين خصلاته المبتلة وأخذ نفساً عميقاً، ثم تحدث كأنه يُطمئن نفسه من عواقب فعلته الوحيدة: لن يحصل شيء، فهي وحيدة والدتها وستخاف من الفضائح، ثم أن الأمر محلول بمجرد عملية صغيرة وستعود كما كانت، المهم الآن أن تخرج من منزلي بسرعة.

تناول منشفته القطنية من خزانة الحمام ولّف بها جسده ثم خرج إلى غرفته، حيث كان يحتفظ ببعض الثياب له.

مُستلقيةً على جانبها الأيمن وماتزال يداها مكبلتان إلى الأريكة، لم تعد تشعر بهما وكأن الدم قد توقف عن التدفق فيهما. صمّت قاتل، لا يقطعه سوى نحيبها الصامت، لم تعد تسمع أو تشعر بأي شيء كأن العالم في حالة حداد على مآساتها. لا ألم يعلو على ألم الخذلان، لقد أحبته بكل جوارحها لكنه اغتالها بسكينٍ ثلثة، سمعت صوت هاتفها بالقرب منها لكنها لم تستطع حتى أن ترفع رأسها، مع علمها المسبق بهوية المتصل. أغمضت عينيها تزامناً مع اقتحام رائحة عطره للصالة حيث خلع قناع الحب الطاهر وظهر وجه الذئب الحقيقي. تطلع إليها بنظرات حملت تعابير كثيرة، مزجت بين الألم والاستغراب واللامبالاة، وجزء ضئيل من الندم، اقترب منها بوجهٍ واجم، انحنى صوبها فانتحبت وهي تدفن وجهها في سجادة الأرضية، لم يأبه كثيراً فحرّر قيدها من الأريكة دون أن يلامسها، ثم حادثها كمن يحاول إقناع نفسه بشيءٍ لا وجود له: لا تكذبي على نفسك نادية، لقد كنتِ تتوقين لذلك أكثر مني حتى.

لم تعطه إجابةً سوى نحيبها وعبراتها المتتالية؛ فهمس لها بجمود مُفتعل وهو يستقيم واقفاً: لا تخافي، عملية بسيطة ويحلُّ الأمر، الحمام في الغرفة المجاورة، وهناك ملابس مناسبة لكِ تجدينها في الخزانة.

ألقى عليها نظرة أخيرة قبل أن يستدير ليخرج، توقف فجأة عندما وصل إليه همسها بصوت يكاد لا يُسمع: لعنك الله أيها الوغد. التف نحوها ليقابل ظهرها عندما أضافت بصوتها المبحوح: سأرفع عليك قضية اعتداء واغتصاب أيها الحقير.

عقد حاجبيه بحسب احتمالية أن تفعلها، لكنه اطمئن فحسب تقديراته هي فتاة وحيدة لوالدتها وستخاف على سمعتها، من ثم أنه قد عرض عليها أمر العملية وسيتكفل هو بمصاريفها، لذا فهي تهدد تهديدات واهية. أجابها بذرة أقرب إلى السخرية ليثبط معنوياتها برفع الشكوى: لن تستفيدي شيئاً عزيزتي، فأنا رجلٌ ذو نفوذ وسأخرج منها كالشعرة من العجين، أما أنت فتاةٌ فقيرة وحيدة ولن تكسبي شيئاً سوى الفضائح لك ولوالدتك.

وكان كلماته أصابت كبدا الحقيقة، دفنت رأسها تنتحب بقهر، لم يحاول حتى الاعتذار عن فعلته، بل غادر وتركها على حالها كمن لا قيمة له، الحقيقة هو كان يهرب فقط من مقابلتها بعدما حدث.

زاد قلق هالة وتعاضم حتى شعرت بقلبها يكاد يخرج من بين ضلوعها، تساقطت عبراتها تلقائياً وهي تحاول الاتصال برقم ابنتها أكثر من مرة دون رد، شعرت بأنفاسها تكاد تنعدم وقد أحنّت ظهرها بعجز، ما العمل الآن وهي وحيدة؟؟ لا تملك رقماً لماجد ولا تعلم عنوان منزل عائلته.

رفعت رأسها بغتةً وقد خطر في بالها خاطر، قربت هاتفها بكفين مرتجتان لتطلب رقم الإنسان الوحيد الذي قد يساعدها.

مضى أكثر من ساعة وهما يتبادلان الأحاديث ولم يشعر مرور الوقت، حدّثها عن حياته ووالدته، عماد وهالة ونادية أيضاً، كما أنها أخبرته عن عائلتها ونشأتها لكنها لم تذكر له كون جميل ليس والدها، ربما لأنها اعتبرت الأمر شخصياً ولا يجب الخوض فيه، أو لأنها تعتبره كوالدها الحقيقي لأنه رباها.

اكتشف جهاد أن بيلا إنسانة اجتماعية، ودودة وبسيطة وأيضاً تحفظ العادات الشرقية وكأنها تربت هنا، رنين هاتفه قاطع حديثهما الودّي، قطب جبينه باستغراب عندما رأى رقم هالة يضيء الشاشة، فلم يكن من عادة الأخيرة أن تتصل به، اعتذر من رفيقته بلباقة ثم ابتعد عنها خطوتين، أجاب الاتصال قائلاً: نعم أمي؟؟

صوتها المرتجف خلع قلبه وهي تتحدث ببكاء: جهاد، أرجوك يابني أنجدني. عقد حاجبيه بريية وهو يتساءل: ما الأمر أمي؟؟ هل والدتي بخير؟؟ ازدردت ريقها بتوتر وهي تجيبه بتقطع: والدتك بخير، لكنني أطلب نادية على هاتفها ولا أستطيع الوصول إليها، أرجوك يا ولدي ساعدني فقلي يكاد ينفطر.

راوده الشك في الأمر، رفع يده لينظر إلى ساعة يده ليجد أن دوام الكلية قد انتهى منذ زمن، فسألها مجدداً: متى كانت آخر مرة حادثتها بها؟؟

اعتصرت عيناها وهي تمسّد على جبينها بقوة ثم أجابت: منذ ساعتين تقريباً، أخبرتني بأنها ذاهبة مع ماجد لتتعرف على عائلته.

ثنى حاجبيه بتفكير ولم يتردد وهو يخبرها: أنا قادم في الحال.

أغلق الهاتف مسرعاً ليستدير نحو بيلا تقدم نحوها ثم تحدث بتردد: آذنة بيلا، أعتذر لكنني لن أستطيع الرحيل معكم.

تجدد جبينها بعدم فهم وهي تقف قابلته: ما الأمر جهاد؟؟

خشي من تبعات قراره، لربما تفصله الشركة إن تخلف عن الوفاء، لكنه مضطراً الآن فأجابها بثبات: شقيقي في الرضاعة، نادية.

حركت رأسها بتفهم فأضاف: إنها مفقودة، والدتها تتصل بها لكنها لا تجيب.

رمشت عيناها قلقاً وإن لم تعرفها، امتدت يدها دون تفكير لتجلب حقيبتها ثم تحدثت بعزم: هيا إذاً.

استغرب كلماتها فهمس متسائلاً: ماذا تعنين؟؟

علقت حقيبتها على كتفها محيبة ببساطة: هيا لنذهب إلى منزلك لنرى أمر نادية.

رفع حاجبيه بدهشة ودون أن تعطيه أية مبررات مقنعة تحركت خارجة إلى سيارتها، وجدها تصعد بها لتشير له برأسها بأن يركب بجانبها، فتح الباب

ودون أن يدلف للداخل تساءل بوجل: لكن ماذا إن علم السيد جميل؟؟
قد يغضب ويوبخنا بشدة؟؟

استلت هاتفها من حقيبتها لتفتح على تطبيق الرسائل ثم بعثت عدة جمل مقتضبة إلى والدها، ثم رمت الهاتف في الحقيبة مجدداً لتشير له، هيا الآن.
لم يستوعب ما فعلته ولا لم تفعله، لكنه صعد في السيارة بجانبها فانطلقت عائدة إلى المدينة.

ظلّ القلق يغزو ملامح خنساء رغم نهر زوجها لها، إحساس غريب داخلها يخبرها بأن تلك المسكينة مخدوعة، لم تشعر بالراحة لتواجهها معه في شقته في هذا الوقت.

كانت تعمل بعقلٍ شارد في مطبخ منزلها عندما لاحظت من نافذتها الصغيرة خروج ماجد من المبنى ليستقلّ سيارته ويغادر وحيداً، ارتعش جسدها وهي تفكر في مصير تلك الفتاة، لم لم ترحل معه؟؟

زاد قلقها وهي تفكر في سبب رحيله باستعجال هكذا، وضعت يدها على خصرها وقضمت أظفر يدها الأخرى، حركت قدمها بحركاتٍ سريعة رتيبة كأن شيطاناً داخلها يحثها على الذهاب لتفقددها، قاومت هذا الوسواس حتى تغلب عليها بعد نصف ساعة كاملة، وضعت هاتفها المسنود على الطاولة الخشبية وسط المطبخ في جيبها، ثم خرجت لتأخذ مفتاح شقة ماجد الاحتياطي، والذي كانوا يملكونه للطوارئ والتنظيف.

استغلّت كون زوجها في الحديقة الخلفية للمبنى، أغلقت الباب خلفها بخفة ثم صعدت إلى الشقة.

فتحت الباب بهدوء وهي تحاول الاستماع لأي صوت، استغربت بدايةً فخطت إلى الداخل عدة خطوات حتى وصلت إلى الصالة، شهقت بارتياح عندما رأت منظر نادية وثيابها الممزقة، كان وجهها شاحباً شحوب الموتى، أسرعت إليها حتى جلست جانبها وهي تنحني إليها، رأتها يقظة لكنها لم تكن تعي شيئاً ضربتها بخفة على وجنتيها وهي تناديهما برجفةٍ وارتباك: يابنتي أفيقي بالله عليك، ما الذي حدث؟؟ أرجوك أجيبيني؟؟

لم تجد منها رداً سوى عبراتٍ وشهقات، جابت خنساء بعينيها على جسدها فرأت كدماتٍ كثيرة وسحجات وخريشات قد غزت صدرها ورقبتها وكلتا ذراعيها المربوطتان إلى بعض، شهقت مجدداً وهي تضع يدها على فمها من حالها المخيف، كيف ستصرف الآن؟؟

سحبت هاتفها من جيبها فوراً لتطلب رقم زوجها، ما إن فتح الاتصال حتى صاحت بمحلمةٍ مقتضبة لكنها مخيفة: محسن، تعال إلى شقة ماجد فوراً، هناك مصيبة.

أغلق محسن المكالمة بعد تلك الجملة المقتضبة من زوجته، عقد حاجبيه وهو ينظر من الحديقة حيث كان إلى مكان شقة ماجد، ثم همس بغیظٍ من

بين أسنانه: لم تسمعي كلمتي يا خنساء وأقحمتي نفسك في مشكلةٍ ما،
صحيح؟؟

رمى خرطوم الماء المتدفق على عشب الحديقة، ثم صعد فوراً بملابسه
المتسخة ليرى مصيبة زوجته، وصل إلى الطابق الخامس وهو يقسم أن تنال
منه خنساء توبيخاً قاسياً لعدم إنصاتها لحديثه وتدخلها الدائم فيما لا
يعنيها، تقدم صوب الشقة ليلاحظ الباب المفتوح، وقف أمامه لينادي
بـخفوت: خنساء!؟

تقدمت خنساء باكيةً وفتحت الباب على مصراعيه فوراً، وقبل أن ينفجر
توبيخاً لها سحبتة من يده إلى الصالة، كان عاقداً حاجبيه بغضب تحوّل إلى
صدمة وفغر فاهه حينما رأى تلك البائسة.

كانت خنساء تشعر بشلل عمّ كل أعضائها فلم تستطع حتى أن تحرر ذراعي
نادية من حزام الحقيبة أو أن تغطي جسدها المُهشم.
رمشت عينا محسن عندما رأى آثار الاعتداء ظاهرة على جسدها الشاب،
خاصة تلك الكدمات والجراح التي شوهته، همس ببحّة من هذا المنظر
الفظيع: يا إلهي رحمتك، ما هذا؟؟؟

تسابت عبرات خنساء بالهطول وهي تغطي فمها المرتجف بيديها ثم
همست لزوجها بخفوت: ماذا سنفعل الآن محسن؟؟
انتبه إلى صوتها المرتعش، رغم حنقه وغضبه منها لكنه احتضن رأسها إلى
صدره ليتنمّم لها باطمئنان: اهدأي خنساء، سنجد حلاً.

أغمض عينيه مفكراً، من ناحية هذه جريمة موصوفة بكل المقاييس، ومن ناحية أخرى ماجد رجلٌ متنفذ وقد يؤذيه وعائلته.

طال صمته وهو يفكر في طريقة تريح ضميره فاسترابت خنساء منه، ابتعدت قليلاً عن صدره وهي تتطلع إليه لتنطق بوجل: بَمَ تفكر محسن؟؟ يجب أن نستدعي الشرطة.

ناظرها بوجه شاحب كمن جفّت دماؤه فنهراها بتوبيخ: أجننتي خنساء؟؟ قد يقتلنا ماجد إن فعلناها!!

هدرت به بعصبية: إذاً ماذا ستفعل؟؟ أتتركها لتموت؟؟ ألا ترى حالها محسن؟؟

تطلع إليها بنظرات مُتردّدة، ثم نقل نظراته إلى نادية التي كانت بين اليقظة والحلم لكنها سمعت حديثهما، تحدث محسن بجزم مهزوز رغم رعبه من تبعات قراره: سأنقلها إلى المستشفى.

جحظت عيناها من جملة زوجها الباردة بنظرها فصاحت من بين أسنانها وهي تخطو للخلف: ستنقلها إلى المشفى دون أن تقدم شكوى بحق ماجد، صحيح؟؟

قطع المسافة بينهما وأمسك بها من ذراعيها يهزها بعنف هاتفاً بها بغلظة: أفيقي خنساء، لن أستطيع القيام بأكثر من هذا.

نظرت إليه بعدم تصديق فأضاف هو: فكري بما قد يفعله بنا إن علم أننا من وشى به لدى الشرطة بل وجلبها إلى منزله.

ارتخت تعابيرها المشدودة كمن فطن لصحة حديثه، ثم استمعت لباقي كلماته بنبرة أهدأ قليلاً: إنه شابٌ ذو نفوذ هو وعائلته، ونحن أمامه لا شيء خنساء، فهمتِ لا شيء.

أرخی يدها قليلاً عنها، ثم أضاف بهدوء خافت: فكري بابتنتنا لارا ومستقبلها.

أجفلت عيناها بفزع عندما أضاف كلمته الأخيرة، لارا ابنتهما الوحيدة. أسبل ذراعيه نهائياً عندما قرأ التفهم في عينيها فتابع: اسمعي، سأخذها الآن وأضعها أمام المشفى، وأنتِ نظفي هذه الفوضى ثم تجهزي لتغادري إلى القرية مع لارا.

لم ينتظر ردها بل تحرك من فوره ليحضر ملاءةً نظيفة من غرفة ماجد، اقترب من نادية وقلبه يهدر بعنف، يشعر بالشفقة عليها لكنه لا يستطيع لها شيئاً وهو مغلوبٌ على أمره، تعتمد ألا يلامس جسدها أبداً ثم لفّه بالملاءة وماتزال الحقيبة معلقةً بكفيها، لم يجرؤ على لمسها وإلا ظهرت بصماته، رفعها بين يديه ثم سدّد لزوجته نظرة مزجت بين الأسف والرجاء.

خرج مسرعاً من السلاالم الخلفية للمبنى حرصاً على ألا يراه أحد أو أن تلتقطه الكاميرات، وصل إلى مرآب صغير مخصص لسيارته من نوع (بيك آب)، وضعها في حوض السيارة الخلفي ثم انطلق إلى أحد المشافي البعيدة كياً عن منطقته، وقد كان الليل قد تأهب ليسدل رداءه.

وصل كلاً من جهاد وبيلاً في سيارة الأخيرة إلى مبناه حيث يعيش، صادف والدته في المدخل عائدةً من زيارة أحد الجارات، قطبت ميساء جبينها بقلق وهي تحثّ خطاها نحوه لتسأله بجدية: جهاد!! ما الذي تفعله هنا يا بني؟؟ ألم تخبرني بأنك مسافر؟؟

انتبهت لوجود فتاة شقراء خلفه تأملتها لثانية ثم أعادت أنظارها إلى ابنها وفي عينيها سؤالٌ عن هويتها، تجاهل جهاد هذا كله ليخبر والدته: أمي، لقد حادثتني ماما هالة وهي قلقةٌ على نادية.

ررفت أهدابها بعدم فهم لكنه لم ينتظر ليفهمها، بل صعد من فوره إلى منزل هالة فتبعته كلتاهما، فتحت هالة الباب بعد رنة جرس واحدة، خطا جهاد خطوة واحدة للداخل ليستبقها بسؤال: أخبريني ماما هالة، ألم تجبك بعد؟؟

حركت رأسها بضعف نافيةً وهي تتمتم بحشجة بكائها: لا يا بني، لم تجب على اتصالاتي.

تقدمت ميساء لتضمها إليها وهي تسألهما بجدية: ألم تخبركِ إلى أين ذهبت؟؟ زاد ارتعاش فمها وهمت بأن تجيب حينما صدح رنين هاتفها، رفعت الجهاز لتطالع الرقم فصرخت بفرحة امتزجت ببعض القلق: إنها هي!! ارتجفت يداها ولم تعد قادرة على إجابة المكالمة، كأن قلبها يخبرها بنبأ مُفجع، أخذ الجهاز وأجاب الاتصال صائحاً بلوم: أين أنتِ نادية؟؟

مرت عدة ثوان تبدلت فيها تعابيرها من القلق والغضب إلى الدهشة والصدمة، تطلع إلى هالة ووالدته الواقفة بجانبها، ناسياً أمر بيلا وهي تناظر تبدل حاله بشك، أسبل يده التي تحمل الهاتف وهو يحرك شفتيه دون حديث، ارتعشت شفتا هالة كما جسدها وهي تسأله بهمس مبحوح: ماذا هناك جهاد؟؟

ازدرد ريقه ورمشت عيناه بسرعة ثم نطق بخفوت: نادية في المستشفى.

جلس بجوار بيلا في سيارتها بلامح جامدة كمن يحمل فوق كتفيه هموم العالم أجمع، راقبت الأخيرة جموده بطرف عينها فأيقنت أنه يخفي أمراً ما. لقد أخبر هالة بأن ابنتها دخلت المشفى بسبب حادث مروري بسيط، نظرت من خلال المرآة لترى هالة المحاصرة بين أحضان ميساء وهي تذرف الدموع مرددة بعض الأدعية لسلامة وحيدتها، ما إن رأت لافتة المشفى المضئية وسط الظلام حتى فتحت بابها لتنزل قبل أن تستقر السيارة حتى، تبعتها ميساء وهي تحاول مجاراتها في خطواتها الراكضة.

لم يترجل جهاد ليلحق بهما بل بقي يراقبهما بأعين مُشفقة حتى غابتا داخلًا، تنهيدة حزينة خرجت من فمه فاستراحت بيلا منه وشكها يتعاضم داخلها، ربما هي تعرفه منذ سويغات قليلة فقط لكنها تشعر بأنه مكشوف أمامها التفتت صوبه لتقابله بجسدها وهي تسأله مجدية: ما الأمر جهاد؟؟

استدار نحوها بضعف وعيناه تنذر بعواصف مطرية، فيما أضافت وهي تتفرس فيه: لَمْ أشعر بأنك تخفي أمراً ما؟؟ ما الذي أغفلته من اتصال المشفى؟؟

ارتجفت شفتاه دون إجابة، ثم أشاح بوجهه إلى الجانب الآخر يغمض عينيه بألم ليكتم عبراته.

وصلت هالة إلى استقبال المشفى تتبعها ميساء، أستندت على الحاجز الرخامي، وجدت فتاة تعبت بحاسوبها خلفه، فسألته من بين أنفاسها اللاهثة: يابنتي أرجوك، أخبريني أين أجد نادية بيطار؟؟ نظرت إليها الموظفة وهي تمضغ علكتها بطريقة مقززة، ثم أخبرتها دون مراعاة شعور السيدة الكبيرة أمامها ولا احترام أحاسيس الوالدة المكثومة: أتقصدين تلك الفتاة التي أُغتصبت؟؟؟

خرج صوت بيلا مشككة: قلبي ينبئني بأن حادث نادية أكبر من مجرد تصادم، صحيح؟ فتح جهاد الباب وقد ضاق ذرعاً بأسئلتها، فتبعته صائحة خلفه: لا أعرف ما الذي تخفيه جهاد، لكن قلبي لا يبشرني خيراً. التفت نحوها بحدة ليصرخ بها متناسياً مكانتها: نعم، ماحدث مع نادية يتعدى كونه حادثة عادية، لقد اعتدى عليها حيواناً ما، هل فهمت؟؟

فتحت فمها ببلاهة عندما سمعت مقالته، رمشت عيناها بصدمة وقبل أن تتحدث بحرف دوى صوت صراخ هالة الثائر فوصل إليهما، أسرع كلاهما إلى داخل المشفى ليجدا هالة وقد افترشت الأرض بعد أن أُغِي عليها، هرول جهاد صوبها ليحملها بمساعدة الأطباء إلى إحدى غرف الطوارئ.

كان جهاد يزدرع الممرّ جيئاً وذهاباً كالغضنفر الأسير، نارٌ هائلة تأكل صدره وهو لا يعرف حقيقة ما حدث مع نادية والآن مرض والدتها، جلست بيلا تراقبه بشفقة تشعر به يكاد ينفجر، فيما كانت ميساء قابعة فوق كرسي على الجانب الآخر من الممرّ، وهي تذرف دموعاً صادقة على ما آل إليه حال هالة وابنتها، فبعد كل تلك السنين التي قضتها برفقتها صارت هالة أكثر من أختٍ لها.

خرج أحد الأطباء من غرفة هالة فانتفض الثلاثة ليقابلوه بقلق، أخبرهم الطبيب أنها تعرضت إلى أزمةٍ قلبية وقد نجت منها بأعجوبة، حالها مستقرٌّ الآن ولكن يجب أن تبقى تحت المراقبة وبعيداً عن التوتر والقلق.

أشار جهاد إلى والدته لتدخل إليها ففعلت، همّ الطبيب بالمغادرة لكنّ نداء جهاد أوقفه، تطلع إليه معين باستغراب فتحدث الآخر بهدوء مريب: حضرة الطبيب هل لي أن أسأل عن فتاة ما قدمت إلى هنا، تدعى نادية ييطار؟؟

ضيق معين عينيه بشكّ وقد عرفها، فقد كان هو أحد الأطباء الموجودين عندما تمّ العثور عليها مُلقاةً أمام المشفى، وكان أيضاً من ضمن الأطباء الذين ساهموا في علاجها، سأله بعد تفحص: بصفتك ماذا؟؟
شدّ ظهره محبباً بجمود: بصفتي شقيقتها.

زادت عقدة حاجبي معين وقد ظنّ بهدوئه سوءاً فردّد: اسمعني بني، شقيقتك لا ذنب لها، وقد طلبنا الشرطة و....

رفع جهاد يده ليقاطعه حينما فهم مغزى حديثه دون أن يتابعه، ثم هتف قائلاً: لا تقلق أيها الطبيب، فأنا أريد أن أطمئن عليها فحسب.

التمعت عيناه بشرّ وهو يضيف بجسم: وأنا شابٌ قد درستُ القانون، وأعرف جيداً كيف آخذ حقها ممن آذاها بالقانون أيضاً.

التمس معين الصدق في نبرته وقد بدا عليه شاباً متفهماً فأشار له بأن يتبعه قائلاً: لكننا على الأغلب سنجدّها نائمةً.

تحرك الطبيب وكاد جهاد أن يلحق به، عندما صدح رنين هاتف بيلا، وقف حتى فتحت له رسالة من والدها وهو قلقٌ عليها، رفعت رأسها الى جهاد بتردد ففهم مغزى الرسالة وإن لم يقرأها، فحاول الابتسام ليخفف عنها الحرج متحدثاً: آنسة بيلا، أنا آسف لأنني أخرتك، لكن يجب أن تذهبي إلى منزلك فلقد تأخر الوقت.

حاولت التحدث عندما لانت نبرته أكثر ليضيف بصدق: أشكرك حقاً لوقوفك معنا حتى هذه اللحظة.

ابتسمت بتكلف مرددة: ليس عليك أن تشكرني جهاد، أي شخص بمكاني كان سيفعل ذلك وأكثر، لكن هذا والدي وهو قلق لتأخري لذا....
سكتت دون أن تكمل ففطن لمغزى حديثها، أشار لها بالوداع ثم التفت ليلحق بالطبيب إلى غرفة نادية.

دلف الطبيب قبله ثم تبعه جهاد، لكن خطواته تجمدت ما إن وقعت عيناه عليها، كانت لا تزال نائمة، تحركت حدقتها ورمشت عيناه بسرعة وهو يطالع منظرها، شحوب وجهها الذي شابه شحوب الموق، آثار صفعات كثيرة على وجنتيها وشفتيها مجروحة، خدوش وكدمات وضحت على وجهها ورقبتها وبداية صدرها الظاهرة من رداء المشفى الأزرق، إضافةً إلى آثار ربط شيء ما حول معصمها، لم يحتاج إلى أكثر من هذه الدلائل ليتأكد أن من فعلها ذئب بشري لا محال.

تطلع إليه معين بإشفاق فعاد إلى جانبه ليربت على كتفه بدعم هامساً:
اطمئن يا بني، إنها بخير، هي فقط نائمة بسبب تأثير المسكن.
ناظره جهاد بعينين قاسيتين ثم تحدث بنبرة بدا التوعد واضحاً فيها: لا أيها الطبيب، إنها ليست بخير، ولن تكون كذلك حتى آخذ حقها من الذئب الذي نهش براءتها وروحها النقية.

تفهم الطبيب ما يعتري صدر جهاد من مشاعر متضاربة، فأوماً له بتفهم، ربت على كتفه مجدداً ليقول: اسمع بني هي لن تستيقظ قبل عدة ساعات، فإن كنت ترغب

قاطع جهاد عندما وجه أنظاره إليها قائلاً: لا، أريد أن أبقى بجانبها، وبالمناسبة أدعى جهاد.

زفر معين بقله حيلة وهو يومئ برأسه إيجاباً، فتركه جهاد وسار نحو نادية، وقبل أن يغادر صاح جهاد باسمه، فالتفت إليه بحاجبين معقودين ليسمع سؤاله دون النظر إليه: هل كان هناك أي آثار أو دلائل قد تساعدنا على الوصول إلى الجاني؟؟

وضع الطبيب كلتا يديه في جيوب رداءه الطبي محبباً بعملية: نعم، وقد أشرفتُ بنفسني على توضييبها والحرص عليها حتى يتم عرضها على الطبيب الشرعي.

حرك رأسه بتفهم ثم سحب الكرسي ليجلس على مقربة من السرير الذي يحتوي جسدها، ظلّ الطبيب يناظره لعدة ثوان، حديثه وكلماته الرصينة تدل على أنه رجل قانون بالفعل، لكنه يظلّ شاباً شقيقاً، قد تأخذه الحمية فيؤذي نادية بحجة الشرف، بيد أنه لم يسمع أو يلتبس منه أي تصرف يدعو إلى الريبة، نفخ الطبيب بضجر ثم رحل بعدها وقد قرر أن يأتي إليها كل حين.

كان الوقت قبيل الفجر عندما استفاقت هالة، حركت رأسها بأنين ضعيف فلم تجد أحداً حولها، شعرت بثقل عظيم في رأسها فعادت وأغمضت عينيها من جديد، دمعة مقهورة هربت من مقلتيها وهي تسترجع آخر ما سمعته قبل أن تسحبها الدوامة السوداء.

ابنتها.... غاليتها وحيدتها..... وجوهرتها الثمينة، من ربتها وكبرتها بدموع عينيها يكن هذا مصيرها؟؟ زهرة ندية لا مثيل لها بألوانها البهية تكن هذه نهايتها؟؟

لا شيء عادل في هذه الحياة، دائماً ما كانت تحلم باليوم الذي تلبسها فيه الثوب الأبيض وتزفها إلى عريسها، نعم ربما هو حلم مبتذل لكنها والدة في النهاية، وتحلم أن ترى نبتة قلبها تؤسس لنفسها حياة ومنزلاً مستقلاً مع من اختاره قلبها، لكن كل تلك الأحلام ضاعت كالرماد في مهب الريح.

فتحت عيناها تزامناً مع فتح الباب، دخلت ميساء التي عادت لتوها من غرفة نادبة ولم تنتبه بعد إلى استفاقة هالة، ضربت كفيها ببعضهما بحسرة على شباب نادبة الذي ضاع ومستقبلها الذي انتهى، ما كادت تجلس حتى انتفضت مجدداً صائحة بسعادة جلية: هالة عزيزتي!!.

أسرعت نحوها لتمسك يدها مرددة: الحمد والشكر لك يا إلهي، الحمد لله على سلامتك حبيبتي.

قابلتها هالة بعينين دامعتين وداخلهما سؤال تلقفته ميساء بسهولة،
فضغطت على شفتيها لتمنع نفسها من البكاء، ثم أخبرتها ببسمة صغيرة: لا
تقلقي نادية بخير صدقيني.

أدارت هالة رأسها لتنظر إلى السقف، رمشت لتسقط دمعة يتيمة من
مقلتيها، تنفست بعمق وهي تشعر بجمرة مشتعلة في حلقها تحرق أنفاسها،
ارتجفت شفتيها وهي تحدث ميساء بذبرة غادرتها الحياة: اعتني بابنتي جيداً
ميساء، هي أمانتي لك.

لم تفتن الأخيرة لمغزى حديثها فتحدثت بمواساة: عزيزتي، ستقومين
بالسلامة إن شاء الله وتعتنين بها أنت.

أغمضت عينيها من جديد ليس لتغط في النوم فقط، بل لتغط في الراحة
الأبدية.

لم يغمض له جفنٌ طوال الليل، ظلّ يراقب ملامح وجهها التي كانت تنقبض
تارةً وتنفرج تارةً أخرى، فعلم من تشنجات جسدها بأنها تحلم، طرق الباب
ليظهر الطبيب معين مرة جديدة، لم يحص عدد المرات التي دخل بها هذا
الطبيب حصراً بحجة الاطمئنان على مريضته، وكأن لا أحد سواه في المشفى،
وهو ليس بالشاب الغبي لئلا يدرك معنى دخوله كل مدة، بالتأكيد لم تنطل
عليه حيلة فحصه لنادية النائمة أساساً.

لكن معين لم يدخل هذه المرة إلى الغرفة بل وقف قرب الباب متحدثاً:
 جهاد يابني، هناك ضابط شرطة في الخارج يريد محادثتك.
 تبسم بسخرية مجيئاً دون النظر إليه: إنهم مبكرون قليلاً، ألا ترى ذلك
 معي؟؟؟

تفهم معين غضبه المكتوم فأردف بعملية: لا يابني لقد حضروا منذ الليل
 لكنني أخبرتهم أنها ماتزال نائمة، وعندما علموا بوجودك هنا أرادوا أن
 يتكلموا معك.

تنفس جهاد بعمق ثم اتجه بنظره إلى الطبيب قائلاً: أريد أن أحادثها أنا أولاً
 أيها الطبيب، لذا لو سمحت حتى إذا استفاقت فلا تخبرهم قبلي.
 أشار له معين بالإيجاب ثم خرج، وقف جهاد ليلقي نظرة أخيرة صوب نادية
 النائمة، ثم تبع الطبيب.

كل واحد منا قد يمرّ في لحظة لا يحتاج فيها للحديث، كل ما يحتاجه هو
 إنسان يقرأ مابه من نظرة فحسب، يحتويها تحت جناحه ويخفي ألماً عن
 الجميع، إلى أن نللم بقايا شظاينا المتناثرة وجراحنا المفتوحة، لنستطيع
 الوقوف مجدداً والمواجهة.

بحيرة كبيرة وسماء صافية، أرجوحة خشبية معلقة على شجرة بلوط، جلست نادية على الأرجوحة تتأمل المنظر البديع من حولها، هدوء تام لا يقطعه سوى حفيف الأشجار التي تمايلت أغصانها مع النسيم اللطيف، وزقزقة العصافير بقربها، أغمضت عينيها بابتسامة كبيرة على محياها.

شعرت بالبرد فجأة، فتحت ذهبيتها لتفاجأ باختفاء الشمس ليحل محلها غيوم سوداء داكنة، اشتدت الرياح لتكسر أغصان الشجرة فوقها واهتاجت مياه البحيرة بشدة، غبار أسود عمّ المكان وصوت الريح القوية يصمّ الآذان، وقفت نادية تحاول الهرب لكنها اصطدمت بجائطٍ بشري، رفعت رأسها فلم تبين ملاحاً في وجهه، باستثناء عينيهِ اللتين بدتا كجمرتين متقدتين، شهقت بقوة وهي ترجع إلى الخلف لكنها لم تبتعد أكثر من خطوة واحدة عندما امتدت يده لتقبض على عنقها وتخنقها، فتحت فمها باتساع تجاهد في تنفس الهواء الذي انقطع عن رئتيها، ثنت حاجبيها وهي تناظر الوجه الخالي من الملامح، شعرت أنها فعلياً على حافة الموت.

انعكس كابوسها على قسّمات وجهها الممتعضة، رمشت عيناها بسرعة مُعلنةً عن انفراج قريب وحاجباها ينعقدان ثم يفترقان باضطراب وتفتح فمها كمن يجاهد حقاً لأخذ أنفاسه.

فتحت ذهبيتها فجأةً شاهقةً بعنف، تطلعت إلى الغرفة حولها ثم إلى جسدها بفزع، تسارعت أنفاسها باضطراب وهي تحاول تذكر ما حدث، ألمها

جسدها على أثر حركتها العنيفة، لم يرحمها عقلها وهو يزودها بمشاهد متتالية من ليلة أمس التي شهدت ذبحها، كل لحظة، كل لمسة، كل كلمة همسها بنفسه الكريه الرزيء، كيف اتخذت به هكذا؟؟

وضعت يديها لتغطي أذنيها في محاولة يائسة لإبعاد صوته المقيت عن ذاكرتها، انقلبت على جانبها وتكوّرت على نفسها كالجنين، لتنتحب بصوت وعبراتها قد وصلت أذنيها.

لم تتجاوز الساعة الخامسة والنصف فجراً عندما عاد جهاد إلى غرفتها، بعدما أنهى حديثه مع ضابطي الشرطة، لم يكن هناك الكثير لقوله فما يجب أن يقال هو عند نادية حالياً لذا انتظرها الضابط حتى تستفيق.

فتح الباب بهدوء ليُفاجأ بنادية وقد استفاقت، أغلقه بسرعة قبل أن يراها الضابط فأصدر صوتاً مسموعاً، انتفضت على أثره لكنها لم تلتفت فقط زاد عويلها وارتعاشها، أسرع نحوها هامساً باسمها وقبل أن يلمسها صرخت بقوة وهي تضغط على أذنيها وأغمضت عيناها، منظرها هكذا أقلق جهاد فحاول أن يناديها علّها تتعرف إليه، تسرب صوته إلى أذنيها فهدأت ارتعاشتها تدريجياً، فتحت عيناها بضعف فرأت جهاد يطالعها بقلق عظيم رمشت عيناها عدة مرات حتى تأكدت من وجوده، تنفست براحة طفيفة، ثم همست بصوتها المبحوح: جهاد!!.

ارتخت تعابيره المشدودة قلقاً مع سماع اسمه منها، ابتسم بخفة وهو يربت على كتفها بلطف لكن جسدها ارتجف تلقائياً تحت لمساته، ابتعد عنها قليلاً وقد تفهم سببها.

جلس على الكرسي فاعتدلت بصعوبة، رفعت جسدها قليلاً حتى استندت بظهرها إلى اللوح الخشبي خلفها تذرّف الدموع بصمت، تركها لفترة حتى تهدأ قليلاً، لكنها فاجأته عندما همست بحة: أنا آسفة.

طالعها بنظرات ممتعة ليخبرها: لم تتأسفين نادية؟؟ أنا أعلم أن الذنب ليس ذنبك، لكن أخبريني من الذي فعلها؟

انتحبت من جديد وهي تغطي عينيها بيدها، رغم إشفاقه عليها لكنه اقترب منها بجسده ليتحدث بحزم: هذه الدموع لن تغير من الحقيقة ولن تفيدك نادية، يجب أن تخبريني باسم ذلك الوغد لنأخذ حقك منه رغماً عن أنفه.

سمعت نبرة شقيقها والتي بدت معذبة ملتاعة فعلمت أنه يتألم أيضاً، ناظرته بذهبيتها اللامعة وهي تحاول الحديث، لكن صوتها كان مبحوحاً فلم يسعفها، تحدث جهاد مجدداً محاولاً التأكد من الاسم الذي يدور في خاطره بأسلوب المحامي العارف: لقد أخبرتني أملك أنك ذهبت مع ماجد لتتعرّفي إلى عائلته، صحيح؟؟

ارتجفت شفيتها عندما سمعت عن والدتها، استجمعت بعضاً من شجاعتها لتسأله بخفوت وفي عينيها سؤال آخر: كيف حالها؟؟

علم أنها تقصد والدتها فلم يشأ أن يخبرها بمرضها بداية، لذا أجابها فوراً:
إنها بخير فلا تقلقي عليها، لكن أجيبي سؤالي؟
ازدردت ريقها بمرار وأشاحت بوجهها للجانب الآخر، فأعاد السؤال بإصرار:
هل ماجد من فعل هذا؟؟

ضغطت على شفثيها المجروحة بقوة، وأغمضت عينيها ثم أومأت برأسها
بضعف، لا يعلم جهاد بما شعر في تلك اللحظة تحديداً، مزيج من الحنق
والغضب والازدراء، نعم يعلم أن ماجد شابٌ متهور لكنه لم يتوقع أن يصل
انخطاؤه إلى هذه الدرجة.

وقف أمامها متحدثاً بمجمود: هناك ضابطا شرطة بالخارج، أخبريهما
بالتفاصيل كلها.

امتدت يدها بلهفة لتلتقط كفه قبل أن يستدير راحلاً وهي تهمس له: لا
جهاد أرجوك، لن أستطيع.

أمسكها من كلتا ذراعيها يهزها بقوة ليتحدث من بين أسنانه المتلاحمة
بهسيس: بل أرجوك أنتِ نادية، يجب أن تتحدثي وإلا ضاع حقك وحقنا
معك.

ارتجفت بشدة تحت وطأة لمساته القاسية عليها، لكنه تابع بحزم: لقد
أصيب والدتك بأزمة قلبية كادت تؤدي بحياتها، وهي الآن ترقد في غرفةٍ
ليست بعيدة عنك بسببه، فهل ستغفرين له هذا؟؟

اتسعت عيناها بقلق على والدتها، ارتجف فؤادها جزعاً وألماً، لشوانٍ ظلت تنظر داخل مقلتيه، رغم جراحها الحديثة وصدمتها النفسية، إلا أنها استطاعت أن تعثر على القليل من الجلد والشجاعة داخل ثنايا نفسها المَحْطَمة، أجفلت عينيها للأسفل وهي تشير له موافقة، أرخى يديه عنها بلطف ثم ربت على كتفها بجنانٍ أخويّ، استدار خارجاً وهو يعلم أنه قسى عليها وربما آلمها، لكنها الطريقة الوحيدة لدفعها إلى الطريق الصحيح.

دلف ضابطا الشرطة خلف جهاد الذي رmq شقيقته بنظرة حازمة ففهمتها، اعتدلت في جلستها وقلبها يقرع بعنف، شعرت بأن ريقها قد جفّ تماماً مع سؤال أحد الضباط والذي بدا أعلى رتبةً من رفيقه: آنسة نادية، هَلّا أخبرني باسم الشخص الذي آذاك واعتدى عليك؟؟ ارتعش جسدها كله ورفعت رأسها صوب جهاد الذي أشار لها بطمأنينة، جاهدت لتمنع عبراتها وإخراج صوتها المبحوح لتتحدث بضعف: ماجد الصايل.

تبادل الضابط مع رفيقه نظرات مستغربة بارتباب، وكمن شكك بصحة الاسم الذي سمعه عاد ليسألها: هَلّا أخبرني بالاسم مجدداً بصوت أوضح؟؟ قفز وجه والدتها أمامها، وتلك النظرات المنكسرة التي تتخيلها على وجهها الرقيق آلمتها، رفعت رأسها بأنفة لتخبره بفك مرتجف وصوت حاولت أن يكون أعلى: ماجد الصايل، ابن رفعت الصايل.

دلف الطبيب معين بدوره للاطمئنان على مريضته، أخبرته ميساء بأن هالة قد استفاقت منذ ساعة تقريباً، قالت كلاماً غريباً ثم عادت لتغط في النوم مجدداً.

اقترب معين من هالة ليحمل يدها ويتفحص النبض، اتسعت عيناه بصدمة عندما لم يجد نبضها، ثوانٍ مرت حتى استوعب المصاب الجديد الذي ألمّ بهذه العائلة، هالة قد ماتت!!

عاد ماجد بعد الحادثة إلى منزله ولم يقابل سمية، أغلق هاتفه نهائياً فور دخوله إلى غرفته، لحسن الحظ أن والدته لم تكن في المنزل، فلم تكن قد عادت بعد من الزفاف الذي دُعيت إليه، وهو حفلٌ من حفلات المجتمع الراقى المملوءة بالزيف والخداع والتملق.

لم ينم ليلتها حتى الفجر مفكراً في فعلته النكراء، قليل من اللوم والندم تسربا إلى داخله وهو يتقلب يميناً تارة ويساراً حيناً آخر، نفخ باستياء من نفسه قبل أي شيء، ما الذي دهاك ماجد بحق الله؟؟ كيف تمكنت من فعلها؟؟

وضع يده اليمنى تحت وجنته وهو ينقلب للجانب ناظراً من خلال زجاج نافذته، ارتسم على الزجاج وجه نادية الذي غادرته الحياة، زفر ليغلق عيناه طارداً تلك الصورة من مخيلته، فارتسمت في ذهنه صورة أخرى، كانت لوجهها وهي تضحك، شتان ما بين الوجهين رغم أنهما لشخص واحد!!

لا يعلم بالضبط كم طالت غفوته القَلَقَة، فقد هاجمته كلّ مشاهد
ماحدث بينهما، كل حرفٍ همست به، كل دَمْعَة ذرفتُها وكل صرخة صرختها.
أكثر ما آلمه حقاً كانت جملتها: "لقد أحببتك بحقّ ماجد"
كانت صادقة حدّ الهلاك.

كان يعتقد أنها خرجت من منزله بعده، لم يجرؤ على الذهاب إليه ثانية، كما
لم يجرؤ على إرسال أحدهم للتأكد، لكنه عزم الذهاب إليه صباحاً.
استفاق من نومه على نداء الخادمة له ليلحق بطعام الإفطار، جرّ قدميه
قسراً إلى الحمام ليغتسل بعد ليلة حافلة بالمشاعر المتخبطة

اجتمع أفراد العائلة (الموقرة) على الافطار، طبعاً ليس من الغريب أن تجد
(نازك هانم) هي من تجلس على رأس الطاولة بعد مرض زوجها (رفعت)
وإيداعه في إحدى المشافي المتخصصة.

جلست بيسان على يسارها تجاورها نورا، السمرء الجميلة شقيقتها من
والدة أخرى، وعلى يمين نازك كان هناك كرسي شاغر يخصّ ماجد.
ألقي عليهم تحية فاترة قبل أن يجلس مكانه بلا شهية حقيقية للطعام،
مازال يشعر بالضياح من جراء ليلة أمس ولا يعرف حقاً كيف سيذهب إلى
جامعته اليوم، لم يكثرث أحدهم بحالته التي كانت واضحة للعيان، خلا
والدته التي لاحظت تشتته فشعرت بأمرٍ مريب حياله، لكنها لم تكن
لتحرجه أمام شقيقتيه، زمّت فمها الملطخ بجمرة صارخة، مُتممةً مظهرها

الصارخ بالجمال والأناقة، والتي لم تكن لتخرج من دون مظهرها العشريني ذاك حتى من غرفة نومها.

رفعت حبة زيتون خضراء تمضغها برفعةٍ وترفع انعكس حتى على أبسط تصرفاتها، ضيقت عينها الخضراوين باتجاه ابنها تحاول تخمين سبب جموده، في هذه الأثناء صدرت جلبةٌ ما في الخارج، رفع الجميع رأسه ناحية عبد الرحمن الذي ظهر من خلف الباب العريض.

دلف عبد الرحمن إلى غرفة الطعام يحدج الجمع أمامه بنظراتٍ غريبة حتى وقعت عيناه على ماجد، وقف الجميع ينظرون صوبه باستغراب لكنه خَصَّ ماجد وحده بالمسير ناحيته حتى وقف قبالة، خزره بنظرة مُمِيتة قبل أن يرفع كفه ليستقرّ على وجنة ابن شقيقته. شهقات متفاجئة صدرت من أختيه، بينما صرخت نازك باستنكار: عبد الرحمن !!

لم يأبه شقيقها بها، بل رفع سبابته أمام وجه ماجد المصدوم من فعلة خاله ليتحدث بهدوء مُنذر بعاصفة قريبة: دائماً ما كنت أراك ولداً مُدلاًّ يتملّص من مسؤولياته، لكنك اليوم أثبتّ لي بأنك وضيعٌ حقير.

صرخ بآخر كلمتين في وجهه فرمشت عينا ماجد خوفاً، تحركت نازك لتحول بين ابنها وأخيها الثائر، ثم تحدثت بنبرة مترفعة: ما الذي دهاك عبد الرحمن؟؟ كيف تتجرأ على رفع يدك على ولدي؟؟ أترك نسيت من أنا؟؟

تبسم عبد الرحمن بمرارة ممزوجة بتهكم، طالع الوجوه حوله، نورا وبيسان اللتان كانتا مصدومتين حرفياً من غضب عبد الرحمن المشهور بهدوئه، وكان يقف بالقرب منهما بعض الخدم يشاهدون ما يحدث بعين الفضول. أعاد أنظاره إلى شقيقته التي كانت تنتظر تفسيره وماجد خلفها، أردف مُحافظاً على بسمته الخائبة: هل حقاً تريدان أن تعلمي خطأ ابنك هنا، نازك هانم؟؟؟

نبرته لم تكن مُريحةً لها، ثنت حاجبيها بريية وهي تحدجه بنظرات مُتفرسة، نقلت أنظارها لتشاهد الواقفين، صاحت بالخدم الفضوليين بامتعاض: ما الذي تفعلونه هنا؟؟ هيا إلى أعمالكم. أعادت النظر صوب شقيقها مُضيفَةً: تعال إلى غرفة المكتب. تطلعت إلى ماجد بنظرة فهمها، ليتبعها هو الآخر. مالت نورا نحو بيسان لتسألها بحاجبٍ معقود وصوتٍ خافت: ما الأمر؟؟ لم خالكِ غاضبٌ هكذا؟؟؟

مسحت الأخرى على صدرها علّه يهدأ من فرط التوتر، أخفضت رأسها قليلاً لتجيبها وعيناها معلقتان بباب المكتب الذي اختفوا خلفه: لا أعلم، لكن الظاهر أنّ ماجد قد أخطأ خطأ لا يُغتفر!!

نكّس ماجد رأسه بخزيٍّ، بعدما انتهى عبد الرحمن من قصّ ما فعله الأخير على مسامعهما، أما نازك فصاحت بنزقٍ واثق: مستحيل، ابني لا يفعلها!!

ناظرها عبد الرحمن ببرود طغى على كافة تقاسيمه مُجيباً: للأسف نازك هانم، لقد فعلها حقاً.

وجه نظره إلى ماجد مُضيفاً بتهكم واضح وصوت أعلى: أليس كذلك يا ماجد؟؟ يا سليل العائلة الكريمة؟؟؟

لم يستطع أن يرفع رأسه ليؤكد أو حتى ينفي، بينما نازك لم تُحرك عينيها عن أخيها الذي عاد وحدثها: لا حلول كثيرة أمام ابنك نازك عدا أمرين، إما أن يتزوج بتلك الفتاة، أو أن يتجهز للسجن.

رفع ماجد رأسه بغتة ليصبح بلهفة: أنا موافق أن أتزوجها. قاطعته نازك لتتطلع إليه من فوق كتفها: اخرس أنت.

أعادت نظرها إلى عبد الرحمن مُضيفة بغرور: طبعاً لا، ليس ابني من يتزوج من حثالة المجتمع.

ذلك الكبرياء المسيطر عليها غريب للغاية، تعلم أن ابنها يفعل الموبقات وربما أسوأ لكنها لم تكن لتكثرث، المهم هو صورة العائلة أمام المجتمع المخملي ذي المشاعر المزيفة.

ابتسم عبد الرحمن بتهكم دون أن يجيب، ثبتت عينيها الخضراوين على مقلتي شقيقها المماثلة لتقول بأنفة: ما الذي تملكه تلك الفتاة ضد ابني؟؟ أجابها بمجمود مريب: كل شيء.

لوهلة ارتفع حاجباها بدهشة، كذلك ماجد لم تكن دهشته أقلّ منها، فيما تابع عبد الرحمن بذات الهدوء: بصماته على حقيبتها، سائله الذي

استخرجته المستشفى منها، كذلك تسجيلات كاميرات المراقبة في المبنى الذي حصلت فيه الجريمة، والشرطة الآن في طريقها لاستخراجها. ران الصمت بينهم، لم تنبس نازك بحرف بل كانت تفكر فيما يجب فعله، بينما عبد الرحمن يمنح ماجد نظرات حارقة. تنفست نازك بعمق، تحدثت أخيراً بثقة مفرطة وكأن حديثها مُنزلٌ ولا يجب الإخلال به: سَتُحَى كافة الآثار المؤدية إليه. قهقه عبد الرحمن لتهكم صريح لمقالها، لكنها تابعت بذات النبرة الواثقة من تأثيرها على شقيقها: ولدي لم يذهب إلى شقته، ولا بصمات ولا سائل له.

فهم الآن ماترمي إليه نازك، إنها تطلب إليه صراحة بأن يزور القضية برمتها، أشار برأسه نافياً ليجيبها: لا نازك، لن أساعد ابنك بهذه الطريقة. انفعالٌ طفيف سيطر عليه عندما أضاف مُشيراً بيده: أتعلمين كيف وصلتني تلك الأخبار رغم أنّ القضية ليس من ضمن نطاق مسؤولياتي؟؟؟ رمقته بلا مبالاة، وماجد الواقف خلفهما يتابع مايجري بترقب وخوف، فيما تابع عبد الرحمن ضاغطاً على أسنانه بغضب: لقد هاتفني أحد الضباط المسؤولين ليخبرني بفضيحة ابن أختي، والتي ستدمر مستقبله ومستقبل العائلة معه.

لم يعلم أنه، وبكلماته هذه، قد أهداها نصف الحل إن لم يكن كله، ابتسامة ماكرة ارتسمت على محياها، بينما تحرك عبد الرحمن خطوتين

مُغادراً، قبل أن يأتيه صوتها تقول له ببرود: بل ستفعلها عبد الرحمن،
لأجلك أنت قبل أن يكون لأجل ماجد.

زوى ما بين حاجبيه بريبة من نبرتها الواثقة، التفت نحوها لتضيف بهمسٍ
شيطاني وهي تستدير بدورها: تخيل معي العناوين الرئيسية التي ستحتل
الصحف غداً.

أشارت بيدها على شكل خط عريض مُرددة بنبرة لا تخلو من التهكم وهي
تعرف أين تضرب: ابن شقيقة اللواء عبد الرحمن جابر اعتدى على فتاة
بريئة !!

تشنج فكه من فرط الغضب المكتوم، فيما تابعت نازك: أو ربما الأفضل:
ماجد الصايل يستغل نفوذ خاله ويعتدي على الفتيات دون خوف من
العقاب.

زمت فمها بأسفٍ مُزيف وهي تحرك رأسها بإنكار مُردفة: كم ستكون
تلك الأخبار مزعجة ومُقلقة.

كُور قبضته حتى جرحت أظفاره كَفَّ يده، ضيق عينيه بحق ليقاطعها: هل
تهدديني نازك؟؟

ابتسمت بخفة وهي ترسم علامات البراءة على وجهها المدهون تجيبه
باصطناع: أبداً عزيزي، لستُ أنا من يهددك، بل تلك الفتاة وقضيتها
الكاذبة من تفعل.

صرّ على أسنانه هامساً بغیظ: لیست كاذبة، سیصدر تقرير الطیب الشرعی وسیطلب عینةً من ماجد للمقارنة، حینها ستكشف الحقیقة وستثبت القضية علیه.

قطعت المسافة الفاصلة بینهما لتقف أمامه متحدثةً بنبرة ذات مغزی، كأنها لم تسمع حرفاً مما قال: بل هی كذبة ملفقة ضده، عندما یصدر تقرير الطیب الشرعی لیؤكد أنّ البصمات والسائل لا یعود أيّ منهما إلى ماجد.

بدا له ماتقوله شقیقته المتجبرة إجحافاً تاماً بحق الضحیة وإن لم یعرفها، علی ماجد أن یتحمل تبعات أخطائه، لكن الأخيرة لم تیأس عندما أضافت بمكر: لقد تعبت كثيراً عزیزي عبد الرحمن لتصل إلى ما أنت علیه الآن، فلا یجب أن یضیع تعبك سدىً بسبب تلك الفتاة، صحیح؟؟؟

استمع ماجد إلى حدیث والدته الخبیثة وعباراتھا ذات المغزی، تطلع إلى خاله الذی كان واجماً بشكل مریب، صراع عظیم شبّ ما بین عقله وضمیره، فعبد الرحمن قد تعب فعلاً، تدرّج فی المناصب بكّده وتعبه لا باسم عائلته ونفوذھا، وهو فی السلك الأمنی منذ ما یقارب السبعة وعشرین عاماً، فهل ستأتي فعلة ماجد النكراء لتهدم كلّ ما بناه فی طرفة عین؟؟؟

اعترض ضمیره صائحاً: وماذنب تلك الفتاة، ألیست لها عائلة ومستقبل قد انهار لسبب انحطاط ماجد؟؟؟

فاز ضميره في هذه الجولة، مؤقتاً- فلم تحسم الحرب بعد- فردّد على مسامع شقيقته وابنها قراره بثبات: لا شأن لي بقضية ابنك نازك، فليتحمل نتيجة خطيئته.

استدار من جديد ليمشي عدة خطوات، وقبل أن تمتد يده ليفتح باب المكتب تحدث نازك لترمي بورقتها الأخيرة في وجهه، وهي التي تعرف من أين تؤكل الكتف: فكّر في مستقبل بناتك إذاً.

كوّر يداه بغضبٍ يقاتل ليطفو على ملامح وجهه، علمت نازك من صوت تنفسه الذي تسارع أنها ضربت هدفها وبدقة، فعقبت على حديثها بخفوت حريصةً على انتقاء كلماتها بعناية: لا أظن أنّ خطيب سلمى سيتابع في هذه الزيجة، إذا علم بفضيحة ابن عمته.

اتسعت ابتسامتها الخبيثة وهي تعقد يداها أمام صدرها لتضيف بأسفٍ مصطنع: والمسكينة ريدا، أعتقد أن ابن رئيس المحكمة العسكرية لن يشرفه التقدم للزواج منها، إذا ما ثبتت القضية على ما جد.

عاود الصراع من جديد ما بين عقله وضميره. بمجرد أن لامست كلماتها المُنتقاة بعناية أذناه، صاح ضميره باعتراض: ما دخل ابنتيه ليتأثر مستقبلهما بغلط ارتكبه ابن شقيقته النذل؟؟

لكنه يعلم أن تلك الشيطانة خلفه محقة في كل حرف تلفظت به، ستتأثر سمعتهما كما مستقبلهما شاء أم أبى.

كانت نازك تقف خلفه بابتسامة مُغترّة، واثقة في قراره، لطالما كانت سلوى وريدا ابنتيه في رأس قائمته دوماً، لهما الأولوية قبل كل شيء.

لم ينبس عبد الرحمن بحرف وهو يفتح الباب خارجاً، كان ماجد خائفاً من ردّ فعل خاله، تطلع إلى والدته وتلك الابتسامة الخبيثة تزين ثغرها الملطخ، خاطبته وما تزال على وقفها تعاین خيال شقيقها المغادر: اتصل بخالك فاروق، الآن.

حرّك رأسه إيجاباً بتردد ليتوجه إلى هاتف المكتب، تنفست براحة وهي على يقين تام بأنّ شقيقها الآخر لن يكون مُتزمناً كما عبد الرحمن، فهو نسخة أصيلة عنها.

دلف عبد الرحمن إلى منزله ليجد بناته تساعدان المربية في رصّ أطباق طعام الإفطار على المائدة، وقف بالقرب من الباب يطالع الفتاتين وهما تتمازحان مع المربية لتتعالى ضحكاتهما، صُعَبَ عليه أن يتدمر مستقبلهما لذنبٍ ليس لهما يدٌ فيه، يعلم أنّ سلمى تعشق خطيبها ابن أحد أكبر التجار في البلاد، وأنها تنتظر تخرجها هذا العام ل يتم زفافهما، ويعلم أيضاً بعلاقة ريда ابنته الصغرى مع ابن رئيس المحكمة العسكرية، وقد كان بانتظار عودة والده من سفره ليتقدم ويرتبط بها بشكلٍ علني.

عاد أدراجة إلى سيارته دون أن تلاحظه ابنتاه، جلس في المقعد الخلفي متجاهلاً سؤال السائق عن وجهته، شرد في حديث نازك الشيطاني، لقد نجحت تلك الحبشة في حسم المعركة ما بين ضميره وعقله، وتوجيه أفكاره بما يتناسب مع مصلحتها هي كالعادة، أخرس صوت ضميره داخله ليستل هاتفه، مباشراً في استخدام نفوذه لإنقاذ سمعته ومستقبل بناته قبل أي شيء آخر.

خرجت نادية من المشفى مجبرة، لتتوجه إلى المقبرة وتدفن والدتها، لم يحضر الكثيرون فقط رجل الدين وعماد الذي ساعد جهاد في حفر القبر، فقط حرص الأخير على جعله سريعاً لأجل صحة شقيقته النفسية. فتحت ميساء منزل هالة بالمفتاح الذي وجدته في حقيبة الأخيرة وتنحت للجانب، وقفت نادية بلباسها الأسود وجسدها الممزق وروحها الميتة تتأمل المنزل، هنا لعبت وهنا درست، هنا قفزت فوقعت فجُرحت فبكت، هنا عالجتها فهدأت فضحكت فعادت، كان يومها يبدأ بها وينتهي ببسمتها، لكن أين هي صاحبة الابتسامة الشافية الآن؟؟

خطت للداخل ببطء دون تعابير على وجهها الجامد، وحدها عبراتها الصامتة التي تتسابق في الخروج لتعبر عن البركان المشتعل داخلها، رحلت والدتها دون حتى أن تودعها للمرة الأخيرة!!

تفحصت المنزل بنظراتها حتى وقعت عينها على شال حريري لوالدتها مسنود على الكرسي القريب، امتدت يدها لتحمل الشال وتقربه من أنفها، سحبت منه نفساً عميقاً حبسته في صدرها، سقطت عبرة قهرٍ من ذهبيتها لتسقط هي معها، ركضت ميساء إليها لتحضنها من ظهرها .

انتحبت نادية بصوتٍ مسموع حتى تعالى صراخها وانتفاضتها في ازدياد، حاولت ميساء أن تحدثها وتهدئها لكنها فشلت، حاولت احتضانها لكنها كانت تأبى، ضربت نادية على صدرها مكان قلبها وهي تنادي على والدتها بحرقة، لم تؤلمها كدماتها ولا ضرباتها قدر ألم خافقها على خسارتها العظيمة.

هلعت ميساء من منظرها فاستقامت من مكانها لتنادي على جهاد الذي تخلف عنهن خارجاً، وصلت إلى الباب تزامناً مع دخوله حاملاً في يده كيس الأدوية الخاص بنادية، أخرج من الكيس إبرة مهدئ ليحقنها بها في ذراعها كما علمه معين، ساعدته والدته وقد نجحاً بصعوبة، كل هذا تم خلال ثوانٍ قليلة.

حملها جهاد الى غرفتها بينما أزاحت ميساء له الغطاء، ثم استلقت بجانبها وهي تحتضن رأسها وتمسّد عليه بحنان، فيما نادية تبكي وتنتفض بخفوت بعدما بدأ تأثير الدواء، ما هي إلا ثوان حتى سقطت في نوم إجباري، وميساء بجانبها لا تتوقف عبراتها حزناً ووجعاً.

وقف جهاد أمام نافذة الصالة يراقب غروب الشمس بأنفاس مشتعلة، لقد أوكل أحد أساتذته المحامين نيابةً عن نادبة برفع قضية اعتداء ضد ماجد، بعدما أتم كافة الإجراءات القانونية وأخذ إفادة نادبة، لكن هناك ثغرة في قصتها، أمر ما أغفلته عمداً ولا يعرف السبب، من الذي أوصلها إلى المستشفى؟؟؟

حسب رواية الطبيب معين وأطباء آخرون، فإنهم قد وجدوها على باب المستشفى مكبلية وغائبة عن الوعي، ملفوفة بملاءة ما تستر لباسها الممزق، لكن السؤال هو كيف قطعت المسافة البعيدة بين المشفى ومسرح الجريمة؟؟؟

وكلت نازك بدورها شقيقها فاروق للدفاع عن ماجد في قضية الاعتداء التي رفعها محامي نادبة ضده، كان فاروق محامياً خبيراً في دهايز القانون وله أساليبه الملتوية-والغير نزيهة في معظمها- لكسب قضاياها والفوز بها، وقد كان أيضاً مشابهاً لشقيقته في طبقيتها المنفرة والاعتداد بعائلته ومكانتها. بلغ فاروق الأربعين من عمره مؤخراً، لكنه ما يزال محافظاً على مظهره العشريني، يبدو أن جينات تلك العائلة تحتفظ بشبابها مطولاً!! كان متزوجاً من إحدى سيدات المجتمع المخملي، وله ولد وابنتان.

جلس فاروق صباحاً برفقة نازك وماجد في غرفة المكتب في القصر، حمل في يده أوراقاً عدة ليوجه حديثه إلى ماجد المنكس رأسه: لقد ذهبت الشرطة إلى العنوان الذي أخبرتهم عنه تلك الفتاة، دخلوا إلى شقتك لكنها كانت نظيفةً ومرتبّة.

رفع ماجد رأسه المنكسة إلى خاله كطلقة رصاص، ثنى حاجبيه بتفكير مستريب بينما تابع فاروق رافعاً الأوراق أمامه: وهذه إفادة نادية، الغريب أنها لم تخبر المحققين كيف وصلت إلى المستشفى، فهل تعرف أنت يا ماجد؟؟

شرد الأخير بضعة ثوان، لقد تأكد بنفسه من إغلاق باب الشقة قبل خروجه، لا احتمال أن يكون أحد سكان المبنى قد رآها، ولا أحد يملك مفتاحاً عدا حارس المبنى، تطلع إلى خاله صائحاً كمن اكتشف أمراً: الحارس وحده من يملك مفتاحاً احتياطياً.

حرك فاروق رأسه بتفهم، وقد استخلص أن الحارس محسن هو من أوصلها إلى المشفى، لكنه خائف وإلا لأظهر نفسه، عليه إذاً أن يستغل خوفه جيداً ليبقى متخفياً.

نطق بعد تفكير: سيطلب الطبيب الشرعي عينة منك لمقارنته بالسائل الذي استخرجته المستشفى منها.

صاحت نازك لتقاطعه: مستحيل، هكذا ستثبت القضية عليه.

ابتسم ببحث وهو يسند ظهره للخلف ليحببها بثقةٍ مقطوعة النظير: لا تقلقي أبداً نازك، لا قضية ولا تهمة ستثبت عليه، بل وسيصدر الحكم ببراءته من الجلسة الأولى أيضاً.

راقب ماجد تلك الابتسامة المشابهة التي ارتسمت على محيّا والدته، ألم يكن الأجدر به أن يُسعد لأن خاله سيخلصه من حكم بالسجن لفترة طويلة؟؟

إلا أنه لم يكن سعيداً، بل نكّس رأسه بخزيٍّ من فعلته، يعلم أنّ ما فعله لا يُغتفر وما هو إلا من عمل البهائم، استأذن ليخرج إلى غرفته وهو يشعر بالاختناق، إحساس بغصةٍ حارقة تخنق أنفاسه منذ تلك الليلة، خرج إلى الشرفة ليتنفس هواءً نظيفاً غير الملوّث في الأسفل، يعلم أنّ فاروق سيحصل له على حكم البراءة، لكن السؤال الذي يدور في خلد كمن يدور في حلقة مفرغة، هل هو يستحقّ فعلاً حكماً بالبراءة؟؟؟

أسند يديه إلى سور الشرفة الخشبي ذي اللون الأبيض، لوهلة شرد في نقاء هذا اللون، كم كان مشابهاً لنقاء نادية الذي انتهكه ودنسه بقذارته، أغمض عينيه وهو يشدّد على قبضته بقوة حتى نفرت عروقه، أنت قدر ماجد، قدر وحقير ولا مبرر لما فعلت، وحكم الإعدام قليلٌ عليك.

يجب أن تعترف وتنال جزاء ما ارتكبته يداك، لو كنت رجلاً لاعترفت بالحقيقة، لكنك وغدّ جبان، ضرب السور بقبضته صارخاً بحرقه من أعماق نفسه: جباااااا.

تابع جهاد التحقيقات بنفسه برفقة المحامي، بعد تقدمه لطلب إجازة من الشركة وافقت عليها بيلاً شريطة أن يوافقها دائماً بآخر التطورات. جرت الأمور بسلاسة تامة تبعث على الشك، فقد تمّ طلب عينةٍ من ماجد للمقارنة ولم يمانع البتة، جرى التحقيق معه فأنكر التهمة الموجهة إليه وأكد أن لديه حجة غياب، تمّ فحص شريط المراقبة في مدخل المبنى مما أثبت دخول كلاً من ماجد ونادية إليه.

كان متعاوناً مع المحققين إلى أبعد الحدود، مما جعل جهاد يستريب في الأمر، متأكد أن لدهما لعبةً قدرة، لكنه مهما تفكّر وتدبر فلن يصل إلى مستواهما أبداً، مع جهله بأن رئيسه المباشر في مهمته السرية عبد الرحمن هو خال ماجد وشقيق فاروق، فلم يخطر بباله مقارنة الاسمين.

انتهت التحقيقات في القضية وتمت إحالتها إلى المحكمه وتحديد موعد الجلسة في ظرف يومين أو ربما ثلاثة، من الواضح أنها ستدخل التاريخ كأسرع قضية على الإطلاق !!

تلك السرعة التي تم بها كل شيء يجعلك تشكك في الأمر، هكذا فعل جهاد إذا كان ماجد قد أنكر كل شيء، وهو على يقين بأن الأدلة كافة ضده فلم هذا الاستعجال منه ومن محاميه؟؟؟

لم يتخيل جهاد بأنّ فاروق وماجد سيكسبان القضية من جلسة واحدة !!!

اليوم هو يوم الجلسة الموعودة، شعاع الشمس الدافئة ملأت الأرض على غير العادة، خرجت ميساء بعد أن ساعدت نادية في تبديل ثيابها، وخرجت هي الأخرى لترتدي ملابسها في غرفة هالة، والتي انتقلت لتمكث فيها قريباً من نادية.

جلست الأخيرة على سريرها، كانت ترتدي قميصاً أسود بجماليات رفيعة، يكشف عن بعض كدمات صدرها وجراح رقبتها التي لم تشف بعد، وارتدت فوقه سترة صوفية تخص والدتها، ربما أرادت الدعم منها، واجمةً بلا تعابير واضحة في محياها، شاردةً في الفراغ، الجرح بجانب شفتها لم يلتئم بشكلٍ صحيح بعد، حاله حال بقية جراحها.

دلف جهاد الى غرفتها ليجدها على هيئتها تلك، تحدثت لتخاطبه بصوتها الذي ما تزال البحة واضحة فيه، وما تزال على وضعها: هل سيسجن؟؟

نبرتها كانت بلا روح كمن لا يثق في القادم، اقترب جهاد منها يرمقها بنظرات مشفقة حتى جلس بجانبها، مسد على شعرها الأسود والذي رفعته كذيل حصان، شعر بارتجافتها الخفيفة فزاد غيظاً وحنقاً اتجاه ماجد، كور يده غضباً ليجيبها بصوتٍ حاسم لا أثر للتردد أو الشك فيه: أعدك بأنه سينال جزاءه، القانون عادلٌ نادية، وكل الدلائل في صفنا فلا تقلقي.

رفعت عينيها الدامعة إليه لتردف بفكٍ مرتجف ونبرة بلا روح: يجب أن ينال عقابه، لترتاح روحها.

علم أنها تقصد والدتها، سحب رأسها ليضمها بين أحضانه، توقع أن تنفجر بالبكاء كالعادة لكنها كانت هادئة، هادئة بشكل عجيب، سالت عبراتها بصمت، لم يعرف جهاد بأنها خائفة من مقابلته اليوم في المحكمة.

ضجت الصحف ومواقع الإعلام الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي والتلفاز بقضية اعتداء ابن أحد أشهر الصحفيين ومالك أكبر المجالات الاجتماعية في البلاد، على فتاة يتيمة بريئة، وقد صار الناس جميعهم الحاكم والقاضي، منهم من صدق رواية نادية وأنها ضحية، ومنهم من اعتبر الأمر برمته خدعة منها لتمكن من الزواج من ماجد المشهور الغني!!!

عجيبٌ أمرنا نحن البشر، دائماً ما نطلق الأحكام المسبقة على النوايا والدوافع ونحاسبُ عليها وكأننا الإله!!!؟؟

وصلت سيارة الأجرة التي تقلّ جهاد، ميساء ونادية التي ارتعبت عندما رأت الجمع الغفير من الصحفيين المحتشدين أمام مبنى المحكمة، طالعتهم بنظراتٍ فرعة كيف ستمرّ من بينهم؟؟ حقاً لا تعرف.

كان المئات من المراسلين والإعلاميين يسدّون المدخل والشرطة قد وضعت حواجز لتمنعهم من المرور، لكن ذلك لم يمنع بعض المناوشات بين الطرفين.

اقتربت ميساء منها لتتأبط ذراعها مبتسمةً لها بطمأنينة، وقف جهاد خلفهما بدا كأنه يهااتف أحداً نفخ بانزعاج أكثر من مرة وقد بان الغضب على محياه.

أمسك بيد نادية وأشار لها برأسه ليتقدم الجميع إلى مبنى المحكمة، حاوطها بذراعيه ليتجاوزا الجمع الهائل من الصحفيين المتواجدين، تجمدت خطواتها فجأة عندما سمعت سؤال إحدى المراسلات، وقد تمكنت من تمييزه من بين آلاف الأسئلة التي انهالت عليها: هل هذه خدعةٌ منك ضد ماجد الصايل لإجباره على الزواج منك؟؟

طالعت وجه تلك المراسلة وابتسامتها الماكرة، شعرت بانسحاب الدماء من جسدها دفعةً واحدة، وجهت أنظارها إلى جهاد الذي كان يرمق الفتاة ذاتها بغضب، عاود محاولة شقيقته ليجيرها بلطف على متابعة المسير، لكن قلبها ينبؤها بخاطرٍ وشيك.

Flash Back

أسند فاروق ظهره للخلف مبتسماً بغرور، بعدما قصّ على حاضري هذا الاجتماع المغلق خطته القذرة لضمان براءة ماجد.

استمع الأخير إليه وهو يشعر بالضياح والتهيه، ما يحدث خاطئ للغاية، لقد أذاها واعتدى عليها كحيوان بري، وبدل أن يلقي ما يستحق يتملص من العقاب، بل ويسيء إلى سمعتها؟؟؟

لا لن يفعلها، هذا أكثر من طاقته، وقف فجأة مما استرعى انتباه والدته وخاليه نحوه، حرّك نظره بينهم ليتحدث بتقطع وارتباك: لا، هذا خطأ عظيم. تجعد جبين نازك بريبة لتسأله: ماذا تقصد ماجد؟؟

استجمع بعضاً من شجاعته الهاربة ليجيبها بشيء من الانفعال: هذا لا يجوز أُمي، لقد آذيتها ودمرت مستقبلها، وفوق كل هذا أهرب من العقاب لتظهر هي بمظهر الجاني؟؟

تساءل فاروق ببرود غريب: إذاً ماذا تقترح أن نفعل؟؟ نبرة خاله الساخرة اقتحمت أذنيه فتطلع إليه مجيباً بشجاعة عجيبة: سأعترف بما فعلت.

وقف عبد الرحمن صائحاً به بحدة: اسمع أيها الولد المدلل، لست وحدك في هذه المصيبة، جميعنا معك ومعرضون للفضيحة بسببك. حاول استجدائه: لكن يا خال...

قاطعته رافعاً إصبعه في وجهه مضيفاً بتحذير: اسمعني جيداً، إياك أن تفكر في إفساد ما فعلناه في الغد، وإلا صدقني سأحرص على جعل أيامك سوداء كالجحيم.

استغرب ماجد انفعال خاله بهذه الطريقة، وما زاده غرابة هو إصراره على إخراجه من هذه القضية بأسرع وقت ممكن، أليس هو من كان رافضاً مساعدته بأي شكل من الأشكال؟؟ يبدو أن حديث نازك عن بناته كان له أثر السحر في انقلاب ميزان عدل خاله بهذا الشكل العجيب !!

أفاق من شروده السريع على جملة خاله الأخيرة وهو يطرق بأصبعه على رأسه يهاثية: كان حرياً بك التفكير في نتائج فعلتك هذه قبل أن تقدم عليها، أما الآن وقد تورطنا جميعاً فما عاد لك الحق في اتخاذ أي قرار. تلاًت الدموع بعينيه بعجز، تحرك عبد الرحمن خارجاً صافعاً الباب بقوة انتفض جسده على أثرها.

وقف فاروق بدوره حاملاً في يده سترته الفاخرة، ليخاطب ماجد ببرود: في الغد سينتهي كل شيء، فكر في المستقبل بني.

راقب خروجه هو الآخر بشيء من الدهول، وفي ذهنه تتردد آخر كلمة نطقها، المستقبل!

تطلعت إليه نازك مستربيةً في أمره، ما يشعر به ولدها تجاه تلك الفتاة يتعدى كونه شعوراً بالذنب، ربما الإحساس بالندم؟؟ لا تعلم حقاً، فقط تأمل ألا يكون أكثر من ذلك.

حادثته باستخفاف ممزوج ببعض التهكم: ما الأمر عزيزي؟ هل تشعر بالشفقة نحوها؟

زأغت أنظاره في أرجاء المكتب دون إجابة، لأنه لا يعلم السبب الحقيقي ربما هو شفقة أو أمر آخر لا يعلم ماهيته بعد، تيقنت نازك من شعورها حياله فابنها مُشتَّت تائه، استقامت من مكانها لتقف قبالة قائلةً بجسم: كما أخبرك خالك، في الغد سينتهي كل شيء.

رفعت يدها تضعها على وجنته لتسترعي على انتباهه مضيئةً: التفت إلى مستقبلك ماجد ولا تفكر فيما حدث.

أردفت بمكر وهي تعرف نقاط ضعفه، أو ربما جُبنه: أخبرني بني، هل بإمكانك تحمل السجن لعشر سنوات وربما أكثر؟؟

تحولت نبرتها إلى الهدوء المُستكين لتتابع: هي المخطئة أساساً بسبب سذاجتها، فلا تشعر بالشفقة حيالها.

يبدو أن والدته قد فهمت القصة خطأً رغم أنه أخبرها بقصة الرهان وخديعته لها بحضور خاليه، فأجاب بنبرة ضعيفة: لا أُمي، الخطأ خطئي أنا، أنا من خدعتها...

قاطعته بعزم أكبر كمن يحاول إجباره على الاقتناع: دعك من هذا الحديث بني، فلننتهِ من هذه القضية سريعاً وتفرغ لمستقبلك، اتفقنا؟؟
لحظة واحدة!

اتفقنا!! على ماذا بالضبط؟؟ وعن أي مستقبلٍ يتحدثون؟؟ ماذا عن مستقبلها هي؟؟

حدجها بنظرة عرفت منها كمّ الشتات والضياع الذي يعاني منه، ربت على كتفه مُضيفَةً آخر قطرات سمومها: النصر للأقوى ماجد، وأنت الطرف القوي في هذه القضية.

خرجت بعد أن نفثت كلماتها الفتاكة في وجهه، لتكشف له عن جُنبه وضعفه، تلقائياً بدأ ذاك الجزء الضئيل من الشجاعة اللحظية التي تملكته ينحدر ويختفي حتى تبدّد تماماً، ليثبت لنفسه قبل الجميع، أنه وغدّ جبان. أمسك رأسه يضغط عليه بقوة عقله مُرهق نتيجة عدم نومه منذ أيام متواصلة، لم يذق طعم الراحة منذ ذاك اليوم، أغمض عينيه بألم عندما ارتسم خيال وجهها أمامه، كيف سيقابلها في المحكمة غداً؟؟

وضع يده مكان خافقه يضربه بحفة، آهٍ ما لهذا القلب ينتفض كعصفور ذبيح؟؟ يتمنى لو يصيبه الضمور ويذهب للنشور، لو أنه يتضائل وينزوي حتى يختفي تماماً، على أن يلتقيها!!!

انتبه من ذكره تلك على صوت خاله فاروق يحثه على النزول وقد أصبحا أمام مبنى المحكمة، تطلع من النافذة المُظلمة ليلاحظ الجمع الضخم من الإعلاميين وقنوات التلفزة، شاهد والدته تترجل من سيارتها المستقلة مع بعض رجال الحراسة في سيارة أخرى.

وقفت نازك بأناقته الباذخة كالعادة ترمق من حولها باستعلاء مهيب، استطاع تمييز نظرات الامتعاض التي اعتلت وجهها من الازدحام الذي تسبب به هؤلاء، عجيبٌ أمرها!! أليست هي من تعمدت الاتصال بهم وحرصت على حضور وسائل الإعلام بأنواعها كافة في البلاد ليشهدوا براءته المزعومة؟؟

حرك رأسه للجانبين باستخفاف، طبعاً كان حرياً بها أن تفعل، يجب أن يظهر ابنها بمظهر البريء والمُفترى عليه للحفاظ على صورة العائلة الاجتماعية.

نظر إلى فاروق الذي وقف خارج السيارة، يخاطبه من خلال الباب المفتوح ليكرّر عليه النداء مجدداً، ترجل بدوره بوهن ليقف قرب خاله ووالدته، كان بالقرب منهم حراس نازك هانم الشخصي لإبعاد أولئك المتطفلين ومنعهم من الاقتراب.

انحنى فاروق ليهمس بالقرب من أذنه بشيءٍ من التحذير: إياك أن تتحدث معهم بحرف، وتذكر جيداً كلام خالك عبد الرحمن.

طالعه بنظراتٍ غادرتها الحياة، ابتسم بسخرية وكأنه بحاجةٍ لتذكيره بتهديد سيادة اللواء.

تقدم ثلاثتهم فانتبه الصحفيين لقدومهم، لمعت أضواء المصورين بوجوههم مجنون فقد وصل نجم القضية، وانهالت عليهم المئات من الأسئلة

المتلاحقة، بينما نازك تتقدم بخطى ثابتة يتبعها فاروق وماجد والذي بدا التعب والإرهاق واضحاً على مَحْيَاه.

استندت نادية برأسها على كتف ميساء الجالسة على يمينها في ردهة المحكمة، فيما كان جهاد يحمل هاتفه يتصل بأحدهم لكن دون رد، تطلعت ميساء إليه لتسأله: جهاد يابني، أين المحامي؟؟ ألم يقل بأنه سيسبقنا إلى هنا؟؟

التفت إلى والدته وفي نظراته قرأت القلق والتوتر: لا أعلم أي، أنا أهاتفه منذ ساعة لكنه لم يجب بعداً!

انتبهت نادية الشاردة على كلماته الأخيرة، عاد قلبها ينبؤها بأن أمراً سيئاً على وشك الحدوث، شعور بالبرودة القاتلة سرى في أوردتها عندما اقتحمت أنفها رائحة عطره، شددت قبضتها على ذراع ميساء وأغمضت عينيها بقوة لا تريد حتى أن تلمح خياله، انكششت على نفسها محاولة الاختباء خلف ميساء التي طالعتها باستغراب، التفتت من جديد ناحية الجلبة التي صدرت من آخر الرواق، عقد جهاد حاجبيه بريية تحولت إلى مزيج من الدهشة والامتعاض عندما لمح ماجد خلف نازك وفاروق.

كيف !! ألم يخبروهم بأنه قد تمّ إلقاء القبض عليه بالأمس؟؟ شعور الشك يتعاظم داخله، هذه الثقة والكبرياء المرسوم على الوجهين المتشابهين مريبة للغاية، ما مخططهم يا ترى؟؟

جلست نازك بترفع على كرسي الانتظار أمام قاعة المحكمة، طالعت جهاد الواقف ووالدته خلفه باحتقارٍ بائن، لاحظت تلك المختبئة بجانب ميساء، ابتسامة اشمئزاز ارتسمت على محياها عندما تيقنت من خوفها فزادت ثقتها بالنصر على هذه الضعيفة.

تيبست قدماه تلقائياً عندما رأى جهاد بدا كمن نسي أمره أصلاً، تحولت نظرات الأخير إلى ازدراء واحتقار مقرونة بكراهية واضحة، أجفل عينيه باحثاً عنها بلا وعي منه حتى وقعت عيناه عليها تحاول الاختباء عله لا يلاحظها، خفق قلبه بعنف كطيرٍ أسير في قفص ذهبي، وقد وقع بين نارين، عيناه التي اشتاقت لمرآها ولا يعلم السبب، وفؤاده الذي يخشى أن يرى في عينيهما ما قد يقتله حرفياً..

نكزه خاله لينتبه إليه بعد أن لاحظ شروده بها، فخشي من تهوره أو صحوه ضميره المفاجئة، سحبه ليجلس بجانبه حائلاً بينه وبينها.

تنفس جهاد بعمق ليثبط ذلك البركان الثائر داخله، أولاهم ظهره وعاود محاولة الاتصال بمحاميه من جديد.

كان محامي نادية شاباً قد تجاوز أعتاب الأربعين بقليل، وهو أستاذ لجهاد في كليته لذا لم يتردد في قبول هذه القضية فوراً.

دلف عدنان لتوه من بوابة المحكمة متجاوزاً صف الصحفيين الطويل، حاملاً في يده مصنفاً أخضر اللون وحقيبته الجلدية ذات اللون الأصفر

الباهت وهي رفيقته الدائمة في قضاياء كلها، كانت تحوي الحقيبة على كافة الدلائل التي تدين ماجد، نسخة عن تقرير المعمل الجنائي الذي يؤكد أن بصمات ماجد على حقيبة نادية، كذلك تقرير الطبيب الشرعي الذي يؤكد أن السائل الذي أخذ من نادية في المشفى هو لماجد والذي على أساسه صدر أمر القبض عليه، وكان من المفترض أن يحصل على نسخة من شريط المراقبة هذا الصباح.

فيما كان عدنان يجري متطلعاً إلى ساعته الجلدية ليرى التوقيت، ارتطم به شابٌ ما فوقعت حقيبته على الأرض، كذلك حقيبة الشاب والتي شابته - من قبيل الصدفة - حقيبة عدنان تماماً، انحنى الشاب ليحمل الحقيبتين وينفض الغبار عنهما متمتماً: أنا آسف، أعذر إليك لم أقصد. تبسم عدنان باقتضاب هاتفاً بعجالة: لا عليك، فقط أعطني حقيقتي فأنا مستعجل.

لم يلاحظ الأخير نظرات الشاب الخبيثة وهو يتفحص الحقيبتين، ثم سلمه حقيبة ما بعينها بعدما تأكد من العلامة التي تحملها، التقطها عدنان مسرعاً وأكمل سيره المتعجل إلى الأعلى. ابتسم الشاب الآخر بمكر، ثم استلّ هاتفه ليعث برسالةٍ إلى أحدهم حملت جملةً مقتضبة وحيدة: تمّ الأمر.

صاح رنين هاتف فاروق معلناً عن وصول رسالة ما، لمعت تعابير الخبيثة عندما قرأ فحواها، وضع هاتفه مجدداً في جيب سترته الرسمية وقد امتلأت مقلته بالثقة والمكر.

وصل عدنان لاهثاً إلى حيث وقف جهاد وعائلته، تقدم نحوهم دون الالتفات إلى فاروق الذي طالعه بتهكم، تحفز جهاد في وقفته حتى وقف المحامي أمامه فسأله بلهفة: أين كنت أستاذي؟؟ لقد أقلقني عليك؟

ازدرد عدنان ريقه ليسيطر على أنفاسه المتلاحقة ثم سحبه من ذراعه بعيداً عن مسامع ميساء ونادية، ثم همس له بشيء من الامتناع: لقد ذهبْتُ لأحصل على نسخة من شريط كاميرات المراقبة، كنتُ قد ذهبْتُ بالأمس فأخبروني أن أحضر اليوم بحجة عدم وجود الضابط المسؤول، واحزر ماذا؟؟ ناظره جهاد بعدم راحة فأردف الأول: لقد اختفى الشريط.

رفع حاجبيه بدهشة بائنة، تلقائياً تحولت أنظاره نحو فاروق الذي طالعهما بانتصار واضح، همس جهاد بغضب: هم السبب، صحيح؟؟

أشار له المحامي موافقاً ليضيف: نعم جهاد، أنا متأكد من ذلك. أشاح نظره ناحية فاروق هو الآخر متابعاً: لا تستهن بغريمك أبداً جهاد، علينا الحذر منهم من المؤكد لديهم لعبة قذرة ليلعبوها، هذه طريقة فاروق المعتادة.

تابع حديثه وقد اكتست نبرته بمسحة غيظ: منذ أن تمّ تحديد الجلسة بهذه السرعة وأنا أشعر بعدم الراحة، فاروق خطر وقدر للغاية بني، فلا تستهن به أبداً.

شدّد قبضته على حقيبته الجلدية ظاناً بأنه يملك ماقد يجعل ماجد يأخذ حكماً بالسجن لعدة سنوات مبدئياً. مسكينٌ هذا المحامي النظيف، معتقداً بأن لوساخة فاروق حدود!!

دلف الجميع إلى قاعة المحكمة، تعتمد ماجد الإبطاء عله يلمحها لكنه لم يستطع، فقد كانت متشبثة بذراع ميساء كأنها تتعمد الاختباء منه، زفر بضيق ثم تبع خاله الذي أشار له بصرامة.

أخذت محلها بجانب المحامي مُحافِظَةً على مسافة جيدة بينهما، جسدها يرتجف وتحاول أن تخفي ارتعاشتها بمحاوطة جسدها بيديها، وتنكمش أكثر على كرسيها، فيما جلس ماجد بجانب خاله وهو يختلس النظرات ناحيتها لكن جسد محاميها حال بينهما.

انتبه لحضور القاضي ومساعديه فوقف مع الجميع احتراماً، لم يكن الحضور كثيرين، فقط بضعة أشخاص من العاملين في المحكمة وأيضاً الدكتور معين والذي ساهم في علاج نادية سابقاً، فيما تغيب عماد صديق جهاد بسبب سفره منذ قرابة الأسبوع.

جلس عبد الرحمن يراقب الجلسة من خلال كاميرا خفية، لم يرغب في الظهور المباشر في القضية خاصة بعدما علم بأن جهاد هو شقيقها في الرضاة.

بدأت المحكمة بإعطاء الإذن لوكيل المدعية المتمثل في المحامي عدنان للبدء بالمرافعة، فضّ عدنان المصنف الأخضر الذي يحمله بادئاً بالترافع أمام القاضي، طارحاً من خلال مرافعته إشكالية جرم ماجد، واستفاض في شرح جريمته بالضبط كما روتها نادية سابقاً.

فيما هي تبذل مجهوداً مضاعفاً للسيطرة على انفعالاتها وعبراتها التي تدفقت وحدها، كلما ذكر أحدهم مأساتها أمامها.

لم يبدُ على فاروق التأثير بمرافعة عدنان، والتي شكلت مشهداً استثنائياً قلماً نراه في أي قضية أخرى، هذا لأنها جريمة هتك عرضٍ وشرف. لكن حماسه لم يطل، ففي منتصف مرافعته ولما كان وقت دعم اتهامه بالمستندات المطلوبة فتح الحقيبة ليُصدم بمحتوياتها، ما من أدلة فقط بضع أوراق لا صلة له بها، دلو ماء بارد سُكب على جسده عندما وصلت إلى ذهنه فكرة ضياع الدلائل، أسعفه عقله فوراً بمشهد ذلك الشاب الذي ارتطم به في ردهة المحكمة، ابتسم فاروق بانتصار حالما رأى علامات المفاجأة واضحة على محيا عدنان، علم الأخير أنها لعبة خبيثة من فاروق فالتفت نحوه لتتسع ابتسامته المغترّة مشيراً له بحاجبيه بأن قضيته انتهت قبل بدئها.

ثارت الدماء في عروق عدنان من عنجهية فاروق وخبثه فالتفت إلى القاضي ليخبره بقصة الشاب والحقيبة، وعندما تطرق إلى المكان حيث التقيا اكتشف أن لا كاميرات مراقبة هناك!! لم ييأس عدنان، فحدثهم عن شريط المراقبة واسم الضابط المسؤول عنه، وهنا تشدق فاروق معترضاً: إن محامي المدعية للأسف يتلصقاً ويماطل لاستهلاك وقت المحكمة الموقرة في تخيلات كاذبة.

تحدث القاضي موجهاً حديثه إلى عدنان بامتعاض: في المرة القادمة احرص على جلب كافة أدلتك معك حضرة المحامي. ثم التفت إلى فاروق وأعطاه الإذن بالحديث.

جلس عدنان بوهن وهو يشعر بالهزيمة قبل أن يحارب حتى، حاول جهاد محادثته لكنه كان في عالم آخر.

وقف فاروق مستهلاً مرافعته بالصيغة القانونية مع بعض الكلمات المنمقة للاستحواذ على تعاطف القاضي مع موكله، وإن كان مسبقاً قد حسم الأمر لصالح ماجد.

تحدث فاروق بطريقته المواربة: سيدي القاضي، لن أقدم جديداً لو قلت لمحكمتكم الموقرة بأن الجريمة المنسوبة إلى موكلي ماجد الصايل منفية جملةً وتفصيلاً، ولن أطيل على حضراتكم كما فعل زميلي السيد عدنان.

ألقي نحو المذكور نظرة عابرة لكنها أكثر من كافية ليميز الشماتة والزهو فيها، طالع نادية الواجمة والتي بدا عليها التأثير من أكاذيب فاروق

وتدليسه، شعر بالعجز والذنب حيالها وأنه خذلها، لكنه مع ذلك قرر المحاربة حتى النهاية.

تابع فاروق مرافعته الزاخرة بالأباطيل: وحيث أن طرف المدعي لم يستطع إثبات ذهاب موكلي إلى شقته الكائنة في العقار المذكور أعلاه، كما أن لا أحد قد شاهده هناك ساعة الحادثة المزعومة.

قفز وجه خنساء أمام وجهها، وكلمات محسن عادت لترنّ في أذنها بنفس نبرته الخائفة، لكن أكثر كلمة ترددت في ذهنها: لارا ومستقبلها، بسبب هذه الكلمة فقط لم تستطع نادية بأن تبوح باسمها أمام أحد، لأجل ابنتهما الوحيدة.

أكمل فاروق وعيناه تومض بمكر خبيث ليزوّر الحقائق: لقد أنكر موكلي كافة التهم المنسوبة إليه، كما أن لديه حجة غياب دامغة أقدمها لحضراتكم.

سكت لثانية ليضمن إصغاء الجميع، ابتسامة ملؤها الحقد ارتسمت على شفتيه مستأذناً القاضي: أطلب إذن عدالتكم في طلب الشاهدة، سمية رابع.

ارتخت قسماتها المشدودة بصدمة حقيقية فور سماعها للاسم، لم تصدق أذنيها وعينيها لاحقتا الحاجب الذي صاح باسم الشاهدة خارجاً، لحظات حتى دخلت سمية إلى القاعة، ارتسمت الدهشة على أوجه الحاضرين، لكن

الصدمة الكبرى كانت من نصيب نادية وهي تستمع إلى يمين سمية بقول الحقيقة، عن أي حقيقة تتحدث هذه؟؟

نظرة شامتة وجهتها سمية صوب نادية الدامعة وهي تلتف لتجلس على منصة الشهود، سردت أحداثاً مختلفة عن محاولات مزعومة لنادية بجذب انتباه ماجد وإيقاعه في حبالها، ثم أخبرت القاضي بكذبة متقنة: لقد كان ماجد معي في تلك الليلة، لم يغادر شقتي حتى حلّ المساء، فقد كان يشرح لي بعض المحاضرات المستعصية بما أنه يتقدمني بعام واحد.

انهارت حصون عدنان وبان ارتباكاً واضحاً في أسئلته غير المُجدية لسمية، خاصةً أنه لا يملك ما يدحض أقوالها، وللأسف لا شهود آخريين لديه، حتى نهلة قد رفض والداها السماح لها بالقدوم والشهادة خوفاً من الفضيحة، لا يشرفهم أن تظهر ابنتهم في قضية _ مُحجلة _ كهذه، ولا أن يكون لديها صديقة قد انتُهِك شرفها، حتى لو لم يكن لها ذنب!!! ربما هي عقولٌ صدئة وأفكار بالية لكنها للأسف الواقع!

استمع الجميع لشهادة سمية المليئة بالأكاذيب بإصغاء تام، تطلع عدنان إلى وجه القاضي فقراً ميل الأخر لتصديقها، لم يملك عدنان ما يُكذب به ادعاءات سمية سوى نادية، التفت صوبها عاقداً حاجبيه وقد قرّر إلقاء آخر أوراقه لهذا اليوم: أطلب نادية بيطار للشهادة.

تطلعت إليه الأخيرة بوجهٍ شاحب، لم تتوقع أن يستدعيها هي، استدارت للخلف ناحية جهاد علّه يُنجدّها، لكنه خيّب ظنّها وقد أشار لها برأسه إيجاباً، يعلم كم أن موقفها ضعيفٌ للغاية خاصة بعد شهادة سمية. تنفست بعمق ثم وقفت لتتجه إلى المنصة بخطوات مترددة متذبذبة، جلست على المكان المخصص مُحاولَةً عدم النظر ناحيته. راقبها حتى جلست، أول شيءٍ لاحظته كان ذاك الجرح بجانب شفتها السفلى، شعر بغصة تخنقه، تفحص وجهها الذابل ليعود ذلك الألم الغريب يضرب خافقه بقسوة ودونما رحمة، عاوده الصراع بين عقله وقلبه، كور قبضته وكاد ينتفض من مكانه واقفاً ليصرخ معترفاً بإثمه الدميم عندما تملكته مجدداً شجاعة لحظية، وكمن قرأت ما يدور في خلد ابنها، وضعت نازك يدها على كتف ماجد، التفت صوبها كالضائع فانتهرته بعينيها بصرامة. قرأ تحذيرها واضحاً داخل مقلتيها، همدت شجاعته مجدداً وخاف ليس على نفسه، بل عليها هي عالماً بمجبروت والدته.

سألها عدنان لتخبر القاضي عن علاقتها بـ ماجد وكيف تعرفت عليه، سردت كيف لاحقها ثم أوهمها بحبه، ولاحظ القاضي أنها تعمدت عدم التلفظ باسمه طول حديثها فقط تتكلم عنه بصفة الغائب، حتى وصلت بسردها إلى تلك الليلة، ثقل لسانها ولم تستطع المتابعة، فانهمرت عبراتها ونكّست رأسها للأسفل، ناهيك عن رجفة جسدها واعتصار كفيها.

تعاطف الحضور كما القاضي معها، خاصة وأنه شعر بصدقها فخلع نظارته الطبية ليسألها بشيء من اللطف: أخبريني يا بنتي، هل من أحد يعلم بأمر ذهابك مع ماجد كما تحدثت؟

رفعت ذهبيتها الدامعة إليه لتجيبه بنبرة ضعيفة: أجل، والدتي.

تساءل مجدداً ولاح له بعض الأمل: وأين هي والدتك؟؟

ارتجف فكها بشدة، ثم أجابته بحسرة حارقة وصوتها المبحوح: لقد ماتت.

صدم ماجد كما الجميع بهكذا خبر، فهو لم يكن على علم بوفاة والدتها، زاد احتقاره لنفسه عندما تحدث القاضي: كيف ماتت؟؟ ومتى؟

ازدردت غصتها المرة بصعوبة حالما ذكرها بأمرها، ثم همست بتمهل وبطء: ماتت بسبب أزمة قلبية، بعد معرفتها بمحادثتي.

أغمض عينيه يضغط عليها بقوة وازدراؤه لنفسه قد فاق الحد، يا إلهي ما الذي اقترفته في حق تلك العائلة؟؟؟

لم تخطئ عيناها ملامح الخيبة والحيرة على وجه القاضي، فعلمت أن لا شيء في مصلحتها، خاصة بعد أن سألها عن شهود آخرين فأجابت بالنفي.

استفهم منها عن رأيها بمحديث سمية، أردفت بوجع: إنها كاذبة سيدي.

كثف يديه على طاولته أمامه: ما دليلك على كذبها؟؟

بللت شفتيها ثم أخبرته: في ذلك اليوم، أخبرتها بأني سأخطب له، فغضبت مني لأنها تحبه هي الأخرى.

تلاقى جفنيها لتحرر دمة قهر هربت من مقلتيها، لم تتوقع أن يصل حقد سمية إلى هذه الدرجة، استعلم منها عن قول فاروق بأنها لفقت الأمر برمته ضد ماجد، فهمست بضعفٍ وعبرات متتابعة: لم ألق شيئاً ولم أَدع باطلاً.

حرك رأسه بقلة حيلة: لكن ما دليلك يابنتي؟ أخبريني؟؟
للحظات لا تعرف مدتها ظلت تطالع وجه القاضي حتى شعرت باليأس يتملكها، ثارت دماؤها في أوردتها وهي تتخيل حصوله على حكم البراءة بعدما فعله، ارتجف فكها لتقف فجأة ضاغطةً على شفتيها، بيدٍ مرتعشة حررت زري سترة والدتها الصوفية، صرخت بحرقة وعبراتها تحرق مآقيها: أنا لست كاذبة!!

شهقات متفاجئة وأخرى مستنكرة، عندما أظهرت تلك الكدمات والخدوش على رقبتها وصدرها وذراعيها، دفن ماجد وجهه في كفيه لئلا يرى صنيعته، طالعتها نازك بتأفف واضح لم تبذل جهداً في إخفائه، وضعت ميساء يدها على فمها بخوف غريزي على نادية، وتنوعت نظرات البقية ما بين استنكار وازدراء.

ثنى القاضي حاجبيه لمرآى تلك الكدمات والجراح وقد تيقن أن هذا ليس من فعل بشري، إنما هو ذئب متوحش!!

تعالت الهمسات والهمهمات حولها، فالتفتت نحو الحضور القليل صارخةً بألم، وشلاالاتها لم تتوقف مشيرةً إلى جسدها: أخبروني، هل بإمكانني فعل هذا بنفسني؟؟ هل أستطيع أن أوذي جسدي بهذه الطريقة؟؟؟
تلاحقت أنفاسها بصعوبة مستديرة ناحيته لأول مرة، صارخةً بوجع يتيم: كن رجلاً أيها الوغد واعترف بفعلتك القميئة!

رفع مقلتيه اللتان تحولتا إلى جمرتين من نار، لم يستطع أن يتفوه بجرف وهو يشعر بفؤاده يتمزق قهراً عندما رأى انهيارها، أما نازك فقد اعتبرته مسرحية رخيصة منها لضمان تعاطف القاضي معها، سارع معين ومعه جهاد وميساء لتهدئتها، لكنها ظلت تصرخ بقهر، بألم، كأنّ الوجع كان كامناً فيها حتى وجد طريقه للخروج الآن، أدت حبالها الصوتية المتعبة أصلاً منذ تلك الليلة، ولم تغلح محاولاتهم في احتوائها حتى سحبتها دوامة إجبارية، كأنها وسيلة عقلها المؤقتة للهروب من الواقع.

تمّ تأجيل الجلسة بعدما حدث مع نادية، وتم نقلها إلى المشفى حيث تولى معين معاينتها، استفاقت لاحقاً لكنها كانت بلا روح، تعابيرها غادرتها الحياة، فقط تنفّس.

في الجلسة الثانية نفى ماجد التهم الموجهة إليه، لكنه كان كرجل آلي ينفذ الأوامر فقط، وحده الله يعلم كم كان الأمر شاقاً عليه، خاصة بعد آخر جلسة، لكن تحذيرات خاليه ووالدته المتوارية والصريحة أجبرته على

ابتلاع غصته، على أمل أن يصلح خطؤه لاحقاً، بيد أنه لم يفهم بعد ما يجري معه كان يعتقد إشفاقاً وندماً، لكنه لم يعلم أنه أسمى وأنقى من هذا وذاك.

استدعى عدنان كذلك الطبيب الشرعي والضابط المسؤول عن تقرير المعمل الجنائي بشأن البصمات، لكن المفاجأة الكبرى عندما أنكر كلاهما أن يكون لماجد أي صلة بالآثار والبصمات، ودعما حديثهما بتقارير مزورة.

في الجلسة الثالثة تم نطق الحكم، حصل ماجد على حكم المحكمة ببراءته، لكنّ روحه البائسة تأبى أن تمنحه صكّ البراءة أو حتى ترأف به، سياط العذاب يجلد فؤاده منذ تلك الليلة، ليلة إعدامها، وزادت حدتها بعدما عاين انهيارها دون أن يحرك ساكناً، يالك من نذلّ جبان ماجد!!
لم تحضر الجلستين التاليتين، لكنها تداعت مجدداً عندما علمت بإبرائه من قبل المحكمة، فأوصى معين أن تودع في مستشفى نفسية، وهذا ما كان.

كان يتجنب رؤية والدته طوال الشهر الفائت، لم يهتمّ لما تفعله من لقاءات مع مجلات وقنوات إعلامية كثيرة، لم يكثرث لما تتحدث به، همه الأول والوحيد الآن أن تُشفى نادية ليتمكن من محادثتها، ماذا سيقول وبماذا سيتعذر؟؟ حقاً لا يعلم، المهم فقط أنه يريد رؤيتها وبشده.

دلف ماجد إلى الغرفة المخصصة لوالده المُغيب في المشفى الخاص، ليجلس معه كعادته منذ شهر كامل، فقد اعتاد على مجالسة والده الغائب عن الدنيا بأكملها بسبب جلطات في الدماغ، ليشكو إليه بثه وحزنه ومايعتري خافقه من مشاعر غريبة وأحاسيس موترة، لم يصل بعدُ إلى إجابة مقنعة لسببها، لم يفعل ما يفعله هذه الأيام؟؟ لم يذهب يومياً إلى المشفى النفسي ومحاولته الدائمة ليراها رغم رفض طبييها ذلك خاصة بعدما علم بهويته؟؟ تنهد وهو يحدث والده بأسى: لا أعلم يا والدي، رغم أننا لم نكن أنا وأنت مقربين يوماً، لكنني أشعر اليوم بأنني محتاجٌ إليك، أحتاج إلى نصيحةٍ أو ربما إجابة، لا أعلم.

زفر بتعب مضيفاً: لا أعلم ما الذي يحدث معي بالضبط، كل ما أعرفه أنني أريد رؤيتها وبشدة.

زوى مابين حاجبيه رافعاً رأسه إلى والده ليردف: أتظنّ أنه شعورٌ بالذنب ناحيتها؟؟؟ ام أنه شيءٌ آخر؟؟

نفخ بضيق ليستقيم بعدها، قبل يد أبيه مردداً: سأخرج الآن وأذهب إليها، علّ الطبيب هذه المرة يسمح لي برؤيتها.

تبسم بضعف مضيفاً: ادعُ لي يا أبي، لأنني حقاً أحتاج دعاءك.

مرّ شهر كامل منذ أن أودعت في المشفى النفسي، والذي كان مملوكاً لخالد عماد، لم تتحسن حالتها كثيراً، لكنها اليوم قررت أن تخرج مع إحدى المرضات إلى الحديقة الملحقة بالمشفى، جلست على المقعد الخشبي شاردة في المنظر البديع والذي يبعث على الراحة في النفس، فلم تسمع لأغلب حديث المرضة، حتى استأذنت الأخيرة لتجيب على اتصال هاتفي.

تلقت حولها بلا هدف حتى وقعت عيناها على مجلة ما مرمية على المقعد المجاور، لقد مرّت فترة طويلة منذ أن قرأت مجلة أو حتى جريدة، فهم لا يسمحون لها بقراءة إلا ما يجلبه جهاد أو ميساء لها من كتب وروايات.

دفعها فضولها لسحب المجلة ومطالعة أخبار العالم المقطوعة عنه منذ فترة طويلة، جحظت عيناها عندما رأت صورة نازك تحتل الغلاف الخارجي للمجلة، برفقة الصحفية ذاتها والتي سبق وأن قابلتها أمام المحكمة، ارتعشت يداها وهي تقرأ فحوى ذاك المقال، نفرت عبراتها وقد قرأت كم الأكاذيب والأباطيل التي نشرتها نازك عنها، عن محاولاتها الزائفة في التقرب من ماجد واستغلاله للوصول إلى ثروته، بدت نازك حقاً كمن كذب الكذبة وصدقها!!

الآن عرفت لماذا لا يسمحون بإدخال المجلات إليها أو حتى إحضار هاتفها، تلاقى جفنيها بوجع مع عودة المرضة بعد إنهاء اتصالها، رأت المجلة في يدها فعرفت سرّ حمرة الغضب التي تعترى محياها، حاولت الحديث لكنها لم

تسمح لها بل انتفضت من مكانها عائدةً إلى غرفتها، انسلت تحت الغطاء لتدع دموعها تبلل وجنتيها بهدوء، كأنَّ آلامها عادت من جديد.

_ ماذا تعني بحديثك هذا؟؟

صاح صوت ماجد بهذا السؤال يوجهه بعصبية للطبيب الجالس أمامه على مكتبه، تزامن ذلك مع دخول الساعي حاملاً في يده عدة ملفات طبية تخص الطبيب، وقف إلى الجانب يستمع إلى قول الأخير بصبر: لو سمحت سيد ماجد، لقد أخبرتك لا يمكنك رؤية نادية الآن.

ثم فتح الملفات ليقومها، ضيق الساعي عينيه وقد فطن علامن يتحدثان، بالطبع عنها هي فقضيتها مشهورة، الآن عرف هذا الغني لأجل من يأتي يومياً !!

ضبط ماجد أعصابه التي تكاد تنفلت ثم حادث الطبيب بلطف ورجاء علّه يلين: أرجوك حضرة الطبيب، دعني أراها من بعيد فقط.

تنهد الآخر وهو يغلق الملفات بعدما انتهى، شبك يديه فوقها ثم أجاب هذا العنيد القابع أمامه بنبرة هادئة وحازمة في آن: سبق وأخبرتكَ سيد ماجد، لا يمكنني السماح لك برؤيتها، لا أنت ولا أي أحد آخر وهذا أمرٌ من عائلتها، لذا أعتذر.

تحولت ملامح ماجد إلى الخيبة، فزفر بخفة ثم أضاف بعقلانية: أرجوك سيد ماجد افهمني، منذ قرابة الشهر وأنا أخبرك بكلامي ذاته، بصفتي طبيبها فأنا أخبرك، ليس من مصلحتها أبداً أن تراك الآن، صدقني.

زفر ماجد بياس من أن يستجيب له الطبيب أو يسمح برؤيتها كالعادة، استقام من مكانه ليغادر المكتب، مشى عدة خطوات في الممر الفارغ إلا أنه توقف عندما سمع من يناديه من خلفه، استدأر فوجده الساعي الذي وقف أمامه ليتحدث بخفوت وهو يتطلع حوله: اسمع يا سيد، هل تريد أن ترى نادية؟؟

انفجرت أساريه حالما سمع باسمها فأشار له بالإيجاب، فأضاف الساعي: بإمكانني أن أخذك لها، لكن هذا سيكلفك بعض ال....

قطع حديثه بطريقة موحية مشيراً بأصبعيه السبابة والابهام علامة أنه يطلب المال، فأجابه ماجد بلهفة مخرجاً حافظته من جيبه: طبعاً طبعاً. أخرج بضع وريقات مالية ليضعها في يد الساعي قائلاً: تفضل، هذه كلها لك وسأعطيك مثلها إن ساعدتني.

جحظت عيناه وهو يعد الأوراق المالية والتي بدت ضعف راتبه الشهري، لم تخطأ نظرته فيه وبثرائه، سال لعبه ليرفع رأسه إليه مردفاً بهمس: تعال معي.

تبع الساعي وطيف أمل يلوح في الأفق البعيد بقرب مرآها، بضع أمتار ثم عرجا إلى رواق آخر، أخبره الساعي بخفوت خشية أن يراه معه أحدهم:

اسمع، غرفتها في آخر هذا الرواق، أنا سأذهب لأتفقد إن كان معها أحد، بعدها أناديك.

أوماً له موافقاً وقد تعلق عيناها ببابها، رغماً عنه غزت السعادة أوردته عندما أشار له الساعي بأن يقترب، أوقفه بجوار الباب قائلاً بهمس: سأراقب لك الطريق، لكن لا تتأخر ولا تنساني أيضاً.

كانت إشارة خبيثة منه أنه ينتظر باقي مكافأته، تنفس بعمق ثم زفر ببطء، تقدم ليدفع الباب بروية مصدراً صريراً خفيفاً، انتبهت تلك المتوسدة على فراشها لدخول أحدهم إليها، مسحت دموعها وتنفست بعمق لترفع رأسها قليلاً لتراه.

برودة جليدية انتشرت في أوردتها وشحوب وجهها بدا كمن خرج من قاع الجحيم، انتفضت خلايا جسدها دفعةً واحدة فزعاً ورعباً، تحجرت ذهبيتها لشوان كانت كافية ليتوارد إلى عقلها العشرات من الومضات والصور في تلك الليلة، كأنها تعايشها الآن من جديد، حركت رأسها للجانبين بإنكار رافضة فكرة أن يكون واقفاً أمامها ومعها في ذات الغرفة، سَهَمَ في محياها الذي شُفي من كدماته باشتياق لم يعرف مصدره، سرعان ما عقد حاجبيه بريية عندما رأى تبدل حالها.

اهتزت حدقتها بسرعة وعدم انتظام، وصرخة فزع تفجرت من بين شفتيها حالما خطى خطوة واحدة نحوها، لدرجة تجمدت قدمه مكانها ومجرّكة مفاجئة منها تكومت على الأرض بعد وقوعها عن السرير، تقهقر

جسدها عائداً للخلف وارتعاشتها في ازدياد وزاغت مقلتها كمن يبحث عن مهر، كل ما كان يعترى فؤاده من اشتياق ولهفة لرؤيتها غاب لحظة رأى انكسارها، بغريزة خوف طبيعية أراد أن يقترب منها قاصداً احتوائها، نادى باسمها لكن فعلته كانت كصب الزيت على النار، صوته فقط كان كفيلاً بإيقاظ كوابيسها التي تعايشها كل ليلة، وضعت يديها لتغلق أذنيها ثم انخرطت في وصلة صراخ مستغيثة وقد تمكن الهلع والرعب منها، ركلت الأرض بقدميها وسيطرت عليها ارتجافة غريبة، غامت مآقيها بالدمع صارخةً بكلماتٍ متوالية فهم منها: لا ابتعد عني، لا تقترب مني، دعني أتوسل إليك.

تسمرت قدماه أرضاً حالما استوعب أنها دخلت في هذه الحالة بسبب رؤيتها له، فرفع يده أمامها كعلامة استسلام، شعر بروحه تنسحب مع صراخها المستغيث، منظرها هكذا أعاده جبراً إلى تلك الليلة وراح يسأل نفسه: كيف شعر يومها بالنشوة مع إصراره على كسرهما وسحق روحها؟؟؟

سؤال مقيت يتردد بين جنبات ذهنه الآن: هل أستحق الحياة بعدما فعلته بها؟؟

كؤر قبضته ليستفيق على الحقيقة المرة مرار الزقوم، شعر بيدٍ تضرب على ذراعه وتحاول سحبه من الغرفة، تطلع بتيهٍ إلى الساعي الذي هربت دماء وجهه خوفاً من العقاب، أعاد نظره إليها ليجد عدداً من الممرضات يحاولن

محدثتها لتوقف صراخها المخيف لكنها لا تستجيب، متى دخلن هؤلاء؟؟
حقاً لا يدري !!

حضر طبيبها على إثر الضجة ليراه في غرفتها، لم يحتج لأكثر من ثانية واحدة ليفهم سبب حالتها تلك، دفعه بغلظة متمماً ببعض كلمات ربما كانت توبيخاً لم يهتم فلم يسمع منه حرفاً، كانت نظراته المرتكزة عليها تعكس ضياعه والتهيه الذي يشعر به الآن، كان كالمُغيب تماماً وقد تعاون الساعي مع بعض المرضين في إخراجه.

صراخ يتيم موجوع يعصف بما تبقى من عقله ليفقده إياه، فيهرب خافقه من بين ضلوعه ويستقر بين يديها، حالاً من الهيام الضالّ سيطر على قلبه وهي تغيب عن ناظره.

طالع الساعي والذي يحادثه برجاء إلا يفشي اسمه لكنه كان كمن فقد حاسة السمع فجأة، وصل إلى سيارته ولا يعرف كيف وصل، تنفس بعنف عدة مرات قبل أن يضرب على ظهر سيارته صاعحاً بقهر من أعماق روحه المعذبة، لو أنه يموت الآن، أو تنشق الأرض وتبتلعه لأهون عليه من أن يراها في هذا الجحيم والذي رماها فيه بيديه.

فؤاده، عقله، مشاعره كلها في حالة فوضى وتخبط لم يعاينها من قبل، لم يعتقد أنه سيفضي بها إلى هذه الحال، هو فقط رغب في رؤيتها ومحدثتها، فقط !!

أغمض عينيه يشدُّ عليها بقسوة، واجه الأمر ماجد، أنت صاحب الفضل في وصولها إلى هذه الحال، ومارأيتَه كان غيضاً من فيض فعلتك معها، عليك الآن أن تتعايش مع هذه الحقيقة التي ستلازمك حتى مماتك، وليتها تعتقك بعدها!!

هذا البركان الثائر داخله لن يخمد حتى يتحدث مع أحدهم، ولم يجد سوى والده والذي لن يقاطعه أبداً ولن يشمت به أيضاً.

دلف من فوره إلى غرفة والده دون استئذان، كانت عيناه تهدد بعواصف مطرية قاسية، أشار إلى الممرضة لتخرج ففعلت حاضراً، أسقط جسده على الكرسي المقابل لوالده بوهنٍ عظيم، حرّر أدمعه أخيراً ليخبر أباه بصوت أجوف وهو شاردٌ في نقطة في الفراغ: لقد رأيتها اليوم، كنتُ أظنّ أنني سأحصل على نفحةٍ من النعيم، لكنها رمتني أسفل سافلين!!!
أسند جبينه على ذراع والده ليجهش ببكاء مريع، انتفض جسده بحرقه وكلما تذكر صرخاتها كان بكاءه يزداد قهراً وصوته يعلو عويلاً.

لكم جهاد الحائط المقابل له صارخاً بعجز، بعد أن أعلمه الطبيب بأن نادية قد دخلت من جديد في انهيار عصبي حاد بعد دخول ماجد إليها، وأنها قد أتلفت حبالها الصوتية بسبب الصراخ المستمر، وهم الآن مضطرون لعمل جراحة مستعجلة لاستعادة صوتها الذي اختفى.

جزّ على أسنانه بغضب هامساً: ما الذي يريده ذاك الجبان منها؟؟ لم لا يتركها لسبيلها وحسب؟؟

وضع عماد يده على كتف رفيقه مواسياً: اهدأ جهاد، المهم هي بخير الآن. استدار صوبه مردداً بقسوة مخيفة: لا عماد، ليست بخير ولن تكون كذلك حتى أقتل ذلك الوغد.

تحرك من فوره تاركاً عماد خلفه يطالع خياله المغادر، اتسعت عيناه بهلع عندما فطن لمغزى حديثه، فتبعه خشية أن يتورط بمصيبةٍ ما، لم يلحقه فقد كان قد استقلّ سيارة أجرة وانطلق مغادراً، هرول بسرعة إلى سيارته هو الآخر ليلحق برفيقه قبل أن يتهور.

كان ماجد قد غادر المشفى الذي يتواجد فيه والده منذ فترة، متجهاً إلى مبنى مجلة عائلته، والتي تولى رئاستها في ظل غياب أبيه الإجباري. وصل جهاد بدوره في المبنى، فقد علم أنه سيتواجد هنا، ألقي مال السائق في حجره وترجل من السيارة غير عابئ بإغلاق الباب خلفه، توجه بخطوات جبارة يدبّ الأرض بعصبية داخلاً إلى المبنى، ترجل عماد من سيارته ليتبع رفيقه إلى الأعلى.

كان ماجد جالساً في مكتبه، ساند رأسه إلى الكرسي وشارداً في السقف يحرك كرسيه باضطراب، لم يكن في حياته مشتتاً كما هو الآن، قطب جبينه عندما سمع جلبة خارج مكتبه، لم يكد يعتدل في جلسته حتى

فُتِحَ بابه فجأة ليظهر جهاد من خلفه، لم يستوعب بعد وجود الأخير في مكتبه وعماد من خلفه يصرخ به: لا تتهور جهاد.

انقضَّ جهاد عليه ليرفعه من ياقته هامساً بغلٍّ أمام وجهه: هل خلقك الله بهذه النذالة أم أنك اكتسبتها من عائلتك القذرة؟؟

رمشت عيناه دون أن يفهم كلماته ومعناها، فلما أضاف الآخر بصراخ: ما الذي تريده منها بعد؟؟ أخبرني؟؟

الآن استوعب مقصده، فتحدث بتوتر واضعاً كلتا كفيه على يديَّ جهاد المسكة به: اهدأ جهاد أنا....

شدَّ إليه أكثر مردداً وهو يصرّ على أسنانه: ألم تكتفِ بما اقترفته سابقاً في حقها؟؟؟ ما الذي تريده منها أكثر؟؟؟

ازدرد ريقه من غضب جهاد المبرر نحوه، فأردف بجذر: اسمعني جهاد، دعنا نجلس لنتكلم كالرجال.

ضغط على فكيه بغيظٍ معقباً ببسمةٍ ساخرة: ما الذي تعرفه أنت عن الرجولة يا جبان؟؟

تجهمت ملامحه فجأة ليضيف: اسمعني أنت أيها الوغد، قسماً لو فكرت بالتعرض لها مجدداً سأحرص على دفنك حياً أمام هؤلاء ولن أهتم، سمعني؟؟

صرخ بكلمته الأخيرة، ثم دفعه بقسوة ليرميه على الكرسي من جديد، تنفس جهاد بقوة وهو يعدل بذلته متابعاً بتهديد: هذا آخر تحذير.

ظَلَّ لشوان يطالع خيال جهاد الذي خرج مغادراً، من المؤكد أن رؤيتها له قد أدتها وبشدة، وإلا لما خاطر جهاد بنفسه ليأتي إلى هنا ويهدده أمام موظفيه، تطلع إلى الباب المفتوح ليجد بعض الموظفين الذين دفعهم الفضول للتجمع ورؤية سبب الضجيج الذي غزا المجلة، صدح صوته آمراً إياهم: كل واحد إلى عمله، هيا.

أسرعت السيدة رجاء لتغلق الباب وتفرق الموظفين الفضوليين، أعاد ظهره للخلف مغلقاً عينيه نافخاً بضيقٍ عظيم، يعلم أن لجهاد كل الحق لما فعل وربما أكثر، ما اقترفه في حق نادية لا يغتفر.

مرَّ أسبوع كامل دون أن يذهب إلى المشفى وكم كان الأمر شاقاً عليه، خاصة بعدما علم من أحد الممرضين الذين تمكن من رشوتهم بما حدث معها من انهيار وتداعي صحي ونفسي، واضطرار الأطباء إجراء عملية مستعجلة لحبالها الصوتية التي تلفت، دفن نفسه ما بين العمل والدراسة دون الذهاب إلى الجامعة، فهو لم يخطئها منذ يوم الحادث، ليعود منتصف كل ليلة ليقضيها ما بين نائٍ ومُناجٍ ومتأمل.

عاد كعادته إلى المنزل بعد منتصف الليل، أسقط ثقله على السرير ومازال مرتدياً ثيابه، تأوه بتعب واضعاً راسه الأيسر فوق عينيه، صدح رنين هاتفه فمدَّ يده اليمنى ليخرجه من جيبه ومازال على وضعه، فتح الهاتف بحركة

اعتيادية دون أن يرى المُتصل، وضعه على أذنه وما هي إلا لحظة حتى انتفض جالساً صارخاً بمحدثه: ماذا قلت؟؟

لم يعرف الكثير من التفاصيل ولم يهتم إلا بشيءٍ واحد فقط. حريقٌ كبير اندلع بعد أن نسيت إحدى الممرضات مدفاةً كهربائية قيد التشغيل، فانطلقت شرارة صغيرة اتبعها حريق ضخم ابتلع معظم الطابق والذي كان، للحظ العاثر، الطابق ذاته حيث غرفة نادية.

خرج العديد من المرضى بسلام والبعض الآخر نُقل إلى قسم الطوارئ الملحق بالمشفى وللأسف، كانت نادية من بينهم.

لم يعرف كيف وصل دون أن يقوم بحادث، حمداً لله أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل وكان الطريق خالياً تقريباً.

وصل إلى قسم الطوارئ ليجد جهاد هناك، جالساً على كرسي ما حاني الظهر منكس الرأس بحزن، وإلى جانبه كانت ميساء تبكي هناك بحرقه وتنعي نادية!!

نشّل جسده وغاب عن الواقع تماماً، فقط صدره يعلو ويهبط بعدم استيعاب، هل رحلت فعلاً؟؟ هل فقدوها؟؟ يمكنه تحمل تكلفة أي شيء في هذه الحياة أما خسارتها هي؟ ...فلا.

رفع جهاد عينيه اللتين كانتا أشبه بمجمرتين من نار، ليقابل ماجد الواجم، تسارعت أنفاسه بغضب حارق يقسم أنه نظراته قد تحرق ماجد حياً لو كان بها من طاقة.

انتفض من مكانه لينقضّ على ماجد ليعود الأخير إلى واقعه المرير، تحدث
جهاد من بين دموعه ماسكاً إياه من تلايبه: هل ارتحت الآن وقد قتلتها؟؟
أخبرني هل ضميرك مرتاح هكذا؟؟

رمشت خضراوته عدة مرات قبل أن تتهاوى عبراته تتسابق في الوصول إلى
ذقنه الغير مشذبة، تحدث بضعف كمن يريد أن يكذب ما سمع: نادية
بخير، صحيح؟؟

ارتحت يدا جهاد عنه ما إن رأى عبراته الصادقة، تلك النظرات يستحيل أن
تكون مصطنعة، لقد كان عماد محقاً إذا!

عاد خطوة واحدة للخلف ليحييه بجمود مفتعل: لا، لقد ماتت.
حرك شفثيه بفراغ وهو يهزّ رأسه للجانبين بخفة، لا يريد تصديق حديثه،
استحالة أن تموت نادية، ليس الآن.

أغمض عينيه ليتوسله بهمسٍ خافت: أرجوك جهاد، أخبرني أنها خدعة
منك لأبتعد عنها.

فتح غاباته الماطرة مضيئاً بصوتٍ مبحوح من التأثر: أتوسل إليك !!!
ثنى جهاد حاجبيه عائداً للخلف أكثر مردفاً بقسوة: لا، ليست خدعة
للأسف سيد ماجد، نادية قد ماتت في الحريق.

أدار ظهره ليتابع: ارحل ماجد، لقد انتهت حكاية نادية.
تحرك ليترك ماجد خلفه غير مصدق الأمر بعد، حكايتها لن تنتهي هنا
وبهذه الطريقة.

وقفت ميساء لتواجهه بدموعها هي الأخرى، تحدثت لتخبره بحرقه: امض لسبيلك، عش حياتك مع عذاب ضميرك، لقد ماتت نادية لترتاح وتترك العذاب لمن خلفها.

لقد كانت صادقة في كلمتها الأخيرة بلا شك، راقب دخولها خلف ابنها لتختفي خلف باب الطوارئ، أغمض عينيه الدامعة بألم ثم عاد ليفتحها لتتشح بقساوة، استدار عائداً إلى سيارته وجزء ضئيل من قلبه يخبره بأنها بخير، لم يصدق ماتفوه به هؤلاء، تنفس بعمق ضاغطاً على شفثيه بنحو سيؤكد من مسألة وفاتها، لكنه يقسم أن يريهما وجه ماجد الحقيقي لو كانا كاذبين، أنى لهما أن يحرمهما من محاولة غفران ذنبه؟؟

مرت ثلاثة أيام واليوم هو يوم الدفن، جالساً في غرفته المعتمة مرتدياً قناع الجمود ولا أثر لأي تعابير على محياه، واضعاً هاتفه أمامه على طاولة زجاجية ومازال مرتدياً ملابسه ذاتها منذ ليلة الحريق، لم يخرج من غرفته منذ عاد من المشفى ولحسن حظه هذه المرة، كانت والدته في رحلة ترفيهية مع صديقاتها.

عيناه الخضراوان قد اتخذت لون الجحيم من فرط السهر فكان لا ينام إلا قليلاً، ظهره شامخاً واضعاً كفيه فوق ركبتيه ينتظر اتصالاً هاماً كناسكٍ ينتظر هبوط الوحي، لو تطلعت إليه لظننته تمثالاً حجرياً لولا صدره الذي

يعلو ويهبط بتناغم، ما كادت شاشة الهاتف تضيء معلنةً عن اتصال حتى رفعه إلى أذنه متحدثاً بأمر: أخبرني؟
أتاه صوت رجلٍ من الطرف الآخر: سيد ماجد، لقد رأيته بنفسي، للأسف هي نادية ذاتها.

رمشت عيناه بتأثر وتهدل كتفاه بحزن معقّباً بتردد: هل، هل أنت متأكد؟؟
أجاب الآخر بثقة: نعم للأسف، لقد رأيت التشوهات التي طالت وجهها، ووفاتها كانت بسبب استنشاقها للدخان الكثيف.....

لم يستمع إلى ماتبقى من حديث الممرض الذي أرسله ليتأكد من وفاة نادية، سقط الهاتف من يده تزامناً مع سقوط دمعة يتيمة من عينيه، تنفس بعق عدة مرات كمن يشعر بالاختناق، نادية رحلت ولا مجال لتغيير هذا، خيط الأمل الرفيع والذي كان متشبثاً به قد انقطع برحيلها وقُضي الأمر، ليشعر لتوّه بأن حياته قد انتهت معها ولا طائل منها بعد، وليحصل لتوّه على إجابة السؤال الذي أرقّه لليل طوال، لقد هواها وسقط هو هذه المرة في هاوية لا أرض لها.

لقد لعب معه القدر لعبةً كان هو الخاسر الأكبر فيها، خسر قلبه، روحه، لكن خسارتها هي شخصياً أعظم بكثير مما قد يحتمل.
فتك بقلبي حبها، فأرداني شهيداً !!

أغلق الرجل الاتصال، ناظراً إلى كلاً من جهاد وعماد الجالسين أمامه ليتحدث بتوتر: لقد تمّ الأمر.

سأله جهاد بجدية: هل صدقك؟؟

ازدرد الآخر ريقه بصعوبة مجيئاً: نعم لقد صدقني، أؤكد لك.

ثم تابع حديثه بتوجس وتوسل في آن: أرجوك سيدي، لقد قمت بجانبه بالاتفاق، والآن ماذا؟؟

أسند جهاد ظهره للخلف، ثم تطلع إلى عماد الجالس بجانبه ليسأله بنبرة ذات مغزى ألقت الرعب في قلب الرجل: والآن مارأيك يا سيد عماد؟؟

نظر الأخير ناحية رجل ماجد، ضيق عينيه ومطّ فمه ثم حدثه بصوت عميق بهدوء ورزانة ويبعث على الرهبة بالنفس: والآن ستتجه إلى المطار فوراً، فالطائرة على وشك الإقلاع، وإذا حطت الطائرة على أرض إيطاليا ولم تكن على متنها.....

قاطعته الرجل الآخر قبل أن يتابع تهديده بأذية عائلته التي ستبقى خلفه وبدنه يرتجف رعباً: لا لا، صدقني أقسم لك أنني لن أنكث بعهدي لكما أبداً.

حرك كلاهما رأسه باستحسان، ثم تبادلا مع بعضهما نظرات ذات مغزى ثم تابع عماد: إذاً بإمكانك الانصراف، ولا تحف ستحصل على عمل في مستشفى خالي هناك.

راقبا خروج الرجل من الغرفة وقدماه تلتف حول بعضها من شدة الخوف والجزع، ما إن أغلق الباب خلفه حتى انفجر كلاهما ضاحكاً، تحدث جهاد: يا لك من خبيث عماد، الرجل المسكين لقد صدق بأنك قد تؤذي عائلته!! ردّد الآخر من بين ضحكاته: أعلم هذا، أحياناً أشعر بأنني أخطأت في دخولي لكلية الحقوق، يجب أن أرتاد معهد التمثيل.

حرك جهاد رأسه للجانبين فيما قال عماد بثقة واضعاً قدماً فوق قدم: إذّا، لقد كنتُ محقاً، صحيح؟؟؟
تجهّم وجهه فجأة تطلع أمامه ليحيب بصوتٍ غائم: نعم للأسف، لقد كنتُ على حق إنه يجبها!!

شعر عماد بما يعتري صدر صديقه من مشاعر متناحرة، برغم تأكده من مشاعر صادقة يحملها ماجد تجاه نادية لكنه لم يسامحه، ويعلم أنه لن يفعل، ربت على كتفه معقّباً: لا بأس جهاد، المهم الآن أن خطتنا قد نجحت. ابتسم بامتنان ليلتفت نحو رفيقه قائلاً: الفضل لك عماد، أنا ممتنٌ لك حقاً. أعاد ظهره للخلف مبتسماً بغرور مصطنع: لا عليك عزيزي جهاد، نحن فالخدمة.

أعاد جهاد نظره إلى الأمام، شارداً فيما حدث قبل أيام.

Flash Back

خرج جهاد من مبنى المجلة الخاصة بعائلة ماجد لاهثاً بعصبية، تبعه عماد ليسحبه قسراً إلى سيارته المركونة على جانب الطريق، ضرب جهاد على ظهر السيارة صارخاً بوجع حارق: الحقير!! ما الذي يريده منها بعد؟ أريد تدميرها أكثر؟؟

وقف عماد يراقب غضبة رفيقه، لكنه حقيقةً كان يفكر في أمر ما، بعد قليل هدأ جهاد ليلتفت نحو الآخر فيجده على شروده، قطب جبينه ليسأله بارتياح: ما بك عماد؟؟

طالعه عماد مجيباً: اسمع، أعتقد أنني أعلم ما سبب ذهاب ماجد إلى المشفى باستمرار ومحاولاته الدائمة لرؤية نادية.

ثنى جهاد ما بين حاجبيه قائلاً باستيضاح: ما الذي تعنيه؟؟
أجابه عماد بتمهل: أعتقد أن ماجد يشعر بالذنب حيال نادية، أو أنه....
قطع حديثه ليراقب ملامح جهاد التي تبدلت للدهشة عندما فطن لمقصده، لكنه ادّعى الغباء مستفهماً بهدوء مريب: أو ماذا؟؟
يعلم أن ماسيقوله قد يجعل جهاد الغاضب ينفجر، لذا أردف بحذر: أو أنه أحبها....

حصل عكس ما توقع تماماً، فجهاد لم يثر فيه صارخاً أو ينفجر ليفرغ غضبه المكبوت بجسده، بل شرد أمامه مفكراً، هل ما يقوله عماد حقيقي؟؟

حتى وإن كان كذلك، فالحب لا يكفي، ما فعله معها لن يغفره الحب وحده أبداً.

استراب عماد من شروده الذي طال، فأضاف بعقلانية: اسمع جهاد، لدي خطة لنكشف بها نوايا ماجد الحقيقية تجاه نادية، وقد نتمكن من إبعادها عنه في حال كانت نيته أن يؤذيها من جديد.

وعليه، اتفق عماد مع مدير المشفى التابعة لخال الأول، استحداث الحريق وتمّ الاتفاق على جعله بعد أيام حتى لا يرتاب ماجد في الأمر، لاحظ المدير من خلال كاميرات المراقبة أن أحد الممرضين العاملين في المشفى دائم التوافد إلى غرفة نادية، وبعد التحقيق معه علموا أن ماجد قد رشاه مقابل أن ينقل له أخبارها، خاصة بعد إجراءاتها العملية.

كذلك أخبر جهاد والدته بما سيحدث وطلب منها مجاراته في تمثيلية المشفى، بيد أن دموع ميساء كانت حقيقية للغاية، خاصة وهي تتذكر وصية هالة الأخيرة لها في المشفى قبل وفاتها.

خدعتهم تلك كانت بلا شك، إعلان نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة.

مرّت الأيام بروتينية شديدة ولا شيء جديد، انعزل ماجد في غرفته لأيام حتى عادت والدته من رحلتها، لم تستطع إخراجه من حالة الكآبة التي سيطرت عليه، احتدّ الخلاف بينهما خاصة بعدما اعترف لها بحبه لنادية وندمه على أنه أنصت إليها، وتدهورت علاقتهما أكثر عما ذي قبل بعد موافقتها على خطبة صهيب المفاجئة لشقيقته الكبرى نورا، وبعدها بأيام معدودة مات رفعت والد ماجد، في تلك الليلة انقلب ماجد كلياً، نضج فجأة حتى شعر أنه بلغ الأربعين بين ليلة وضحاها، ليودع ماجد المهمل المدلل، لتظهر الآن شخصيته الأكثر اتزاناً وبروداً وقسوة، مع مسحة حزن جليّة على محياه، تقدم للامتحانات في كلية الإعلام والصحافة، وقد نجح بمعدلٍ فاجأ الكثيرين حتى اتهمه بعضهم بشراء الشهادة، وبعد التخرج صبّ اهتمامه وسخر معظم وقته في المجلة وتطويرها، حتى أضحت أكبر المجالات وأهمها في البلاد، لكنه أيضاً رعى نفسه في نيران علاقة محرمة مع سمية، التي سلمته نفسها على طبقٍ من ذهب أُملاً في تطور هذه العلاقة فيما بعد.

انتظم جهاد في دوامه في الشركة وتقارب أكثر مع بيلا، وبدأت بوادر حبٍ وليد بينهما. لم يصادف جميل سوى بضع مرات وكانت تعاملتهما رسمية. أوصاه مهند والذي كان يلتقيه سراً بالصبر، فالطريق أمامه مازال طويلاً، أما عبد الرحمن فهو لم يقابل جهاد منذ أن علم ما يجمع الأخير بنادية.

تخرج كل من جهاد وعماد، فتم تعيين جهاد كموظف بشكل رسمي في شركة جميل، أما عماد فالتحق للتدريب مع أحد المحامين المشهورين.

أتعلم ما هي القوة؟؟

هي أن تعيد بناء ذاتك من تحت الصفر، أن تخلق نفسك مجدداً من بين الرماد، أن تطير مخلقاً في السماء قادماً من عمق الجحيم.

/ أيها القارئ العزيز، قف ها هنا وأعربي سمعك قليلاً، كفك استماعاً إليها فهي تسير في طريق باتجاه واحد، يؤدي إلى نتيجة واحدة محتومة.

نظرت إليه باستغراب تتساءل: وما أدراك أنه ذو اتجاه واحد؟؟

ابتسم مجبور وأجاب سائلاً دون النظر إليها: من التي تتساءل الآن لأجيبها؟
نادية أم.. عفراء؟؟

- عفراء بالطبع، فأنت تعلم جيداً ما كان مصير نادية.

- نعم هذا صحيح، لقد كنتُ حاضراً يومها، شهدتُ بأم عيني عندما تصارعت كلتاهما، ماتت إحدهما لتحيا الأخرى، لا تسيئوا فهمي فأنا لم أستمع بما رأيته، لكنني كنتُ مكتوف الأيدي، لم أستطع التدخل لأنه ببساطة، كان بلا طائل.

دلفت عفراء إلى مكتبها الخاص في مجلة ماجد، هذه الصحفية الجديدة والمُجَدَّة التي تعينت هنا منذ قرابة الشهرين، جلست خلف طاولتها في الدور السفلي من المبنى، أمسكت قلمها لتعبث به بين أصابعها بشرود. لقد مرّ شهران ولم تقابله حتى مرة واحدة، لكنها اليوم ستنضمّ إلى الوفد الصحفي الذي سيذهب إلى لقاء وفدٍ سياسي أجنبي، وسيترأس ماجد بنفسه هذا الوفد، أي أن نسبة لقائهما هذه المرة أكبر من كل مرة. على الرغم من التجهيز والاستعداد الذي طال لأشهر، لكنها اليوم تشعر بالرهبة الممتزجة ببعض الخوف، ماذا لو أنه كشف أمرها وتعرف إليها؟؟ حركت رأسها للجانبين بإنكار لا، مستحيل أن يتعرف عليها، طمأنت نفسها قليلاً لكن رغم هذا فقلبها يقرع بسرعة وعدم انتظام حتى خيّل إليها أنه سيتوقف بعد قليل، مع ذلك كانت تقاسيمها حادة جامدة ولا أثر لأي تعابير أخرى. تلقائياً، أخذها عقلها إلى ما قبل شهرين، عندما اتخذت قراراً فجائياً لا تراجع عنه.

Flash Back

وصل مع عماد إلى المنزل الذي تقطنه في الطرف الآخر من المدينة، هذا المنزل أساساً لعائلة عماد، لكنه مغلق منذ وفاة والد الأخير قبل عامين وسفر والدته مع شقيقته للعلاج خارج البلاد.

دلف جهاد الى الداخل مستخدماً مفتاحه الخاص، بينما اتجه عماد إلى أحد المطاعم القريبة لجلب طعام جاهز للغداء.

اتجه فوراً حيث اعتقد أنه سيجدها، وقف يراقبها ليراها كحالتها منذ تسعة أشهر كاملة، واقفة على الشرفة شاردة في مياه البحر الصافي وقت الظهيرة، قميصها الهفهاف يتطاير مع خصلاتها التي ازدادت طولاً عن ذي قبل، مسحة من الحزن واضحة على محياها المتعب كآلهة إغريقية حزينة.

منذ آخر مرة رآته في المشفى، حاولت ألا تفكر فيه، لكنها دائماً ما كانت تفشل، أما الليلة الماضية فقد كانت مختلفة تماماً، بالأمس راودتها ذكرى قريبة من ذكرياتها مع والدتها، أكثر ما لفت نظرها كان آخر حكايات هالة لها، طائر الفينيق، تلك الحكاية كانت لمغزى وهدف محدد لا محالة.

شعرت بجهاد يقف خلفها، تبدلت تعابيرها للجدية بغتة، كانت دمعته تعبر على وجنتها عندما قررت، في لحظة شجاعة واستجماع الذات، أن تردّ اعتبارها أو بالأحرى دينه عليها، وتبعاً لهذا القرار جفت سماء عينها

وأقلعت، غاضت جميع المشاعر داخلها لبقى إحساس وحيد، الحقد نحو من دمرها وقتلها.

حدثت نفسها بتشجيع: لا يجب أن تبقي هكذا، الانهزام لا يليق بك سيدتي، فأنت النادية، لست ضعيفة الشخصية ولست ممن يقبلون الخسارة خاصة فيما يتعلق بكرامتك، أين عزة نفسك؟؟؟ هيا انهضي من حطامك، من جحيمك، اخرجي من البئر الأسود وحلقي عالياً في السماء، فالحياة ليست للضعفاء.

انتفض جسده بانتباه عندما التفتت إليه فجأة بوجه جادّ الملامح، نطقت بكلمة وحيدة جعلت الدماء تهدر في شريانه بقوة: أريد حقي

جالساً في صالة المنزل يحاوط رأسه بكفيه، ما أخبرته به قد يودي بها إلى التهلكة، والمصيبة أنها لا تدرك أن ماتقوله حماقة.

كانت نادية تراقبه عن كثب ولم يبدُ على وجهها أي نوع من التأثير، نقل عماد بصره بينهما، لا ينكر أن نادية قد أبهرته بقرارها هذا، ولكنه لم يتوقع ردّ فعلٍ مماثل من جهاد، تطلع إلى أكياس الطعام الجاهز متنهداً بحسرة، لقد فات موعد الغداء وهذان الاثنان مايزالا على جمودهما، يشعر الآن بمعذته تتعارك مع أمعائه من شدة الجوع.

تأفف بضيق ليتحدث موجهاً كلامه كلماته إلى جهاد بنبرة شابها بعض السخرية: هلا أخبرتنا بماذا تفكر سيد جهاد؟؟؟

رفع رأسه إليه كطلقة رصاص مُجيباً بحق: بماذا أفكر؟؟ ألم تسمع ما تفوهت به منذ قليل؟؟

رفع كتفيه بلا مبالاة قائلاً: بلى سمعت وإن أردت الحق فأنا أؤيدها في قرارها هذا.

خَزَرَه جهاد بنظرة مميّنة مردفاً باستنكار: تؤيدها؟؟ أجننت عماد؟؟ أتريدها أن تذهب إليه بقدميها..؟

أجابته نادية هذه المرة بهدوء مستفز: يجب أن آخذ حقي منه جهاد، لربما هذا يريحني قليلاً.

أدار رأسه إليها متحدثاً بسخط: تأخذين حقك منه بالقانون نادية، وليس بأسلوب العصابات.

تطلعت إلى وجهه الغاضب لثوان دون إجابة، قبل أن تعقب بما يشبه السخرية: لقد رأيتُ الوجه الحقيقي للقانون الذي تحدثني عنه، لم يستطع قانونك أن يأخذ حقي أو يعاقب الجاني.

نعم ربما هي محقة، لكن جهاد مؤمن بأن العدالة ستأخذ مجراها يوماً، فقال بهدوء مغاير لحالته قبل ثوانٍ علّه يثنّيها عمّا انتوته: وما الذي تنوين فعله معه؟؟ هل تفكرين بتسجيل اعترافه مثلاً؟؟

تعلم أنه سيعارض وبشدة ما تقوله لكنها قررت ولن تتراجع، فأجابت بثقة: عدالة الأرض لم تنصفي، لذا فأنا سأرسله إلى عدالة السماء.

انتفض واقفاً صائحاً بها: إذا فقد جنت، تريدن قتله؟؟ وتعتقدين أن الأمر بهذه السهولة؟؟

سكتت دون إجابة، فنفخ بنفاد صبر لعلمه بأن النقاش بهذه الطريقة لن يؤتي بنتيجة، جلس مجدداً شابكاً يديه ببعضهما محاولاً التحدث بنبرة أكثر عقلانية: اسمعيني نادية، أنا خائف عليك فقط، ثم لا تكذبي علي نفسك، لن تتمكني من قتله لأنك مازلت تحيينه.

توحشت نظراتها وهي ترد عليه بغیظٍ لأنها مكشوفة أمامه لهذه الدرجة: سأنسى حبه جهاد أعدك، وأتعلم كيف أكرهه.

جيد على الأقل لم تكذب عليه، ران الصمت بينهما للحظات، كان عماد قد اتخذ موقف المتفرج منتظراً مآل هذه المناقشة، ولو أنه يعلم أن نادية لن تتراجع مهما حدث.

حرك جهاد قدمه اليسرى بسرعة مفكراً، ثم التفت صوب عماد يسأله: وأنت عماد ما رأيك؟؟

رفع كتفيه محبباً ببساطة: لقد أخبرتك رأيي جهاد، إن كان هذا قرارها فأنا معها وسأساندها، يجب أن ينال ماجد عقابه، إن لم يكن عن طريق القانون فعلى يدها هي.

أردف الآخر ساخراً: على أساس أنه لن يعرفها وسيسمح لها بالاقتراب منه، صحيح؟؟

وجه عماد نظره ناحية نادية، ضيق عينيه ومطّ فمه بتفكير، ثم تحدث مشيراً إليها رغم بعدها: شعر مستعار بلون مغاير، عدسات ملونة، مساحيق تجميل بيدٍ خبيثة.

ابتسم بعدما أنهى تفكيره، ليلتفت نحو كتلة النار موجهها كلامه إليه بثقة: أتحدّاك حينها حتى أنت لن تعرفها، ثم لا تنسَ أن صوتها قد تغير بعد العملية، لذا برأيي من سابع المستحيلات أن يعرفها.

عقب جهاد بتهكم: أها سيد عبقرى، ماذا عن الأوراق الشبوتية؟؟ أمال رأسه للجانب مبتسماً بانتصار ليردّ: أنت أكثر من يعلم أن استخراج أوراق مزيفة سهل للغاية.

استنكر تفكيره ليزجره بغلظة: هل تريد أن تزور أوراقاً رسمية حضرة المحامي المحترم؟؟

أجاب عماد ببرود عجيب: لمَ لا؟ أليس هذا أسلوبهم؟؟ تحدث الآخر وهو يصرّ على أسنانه غيظاً من برود عماد وتماشيه مع حماقتها: لكن أسلوبهم قذر.....

-رائحة الخوف أكثر قذارة جهاد.

قاطعته هي هذه المرة بانفعال، تطلع إليها ليرى عبراتها قد بللت وجنتيها فرق قلبه عليها، أخفض نبرته وهو يحدثها: نادية أنا....

قاطعته مجدداً بنشيج: نادية التي كنتُ قد ماتت جهاد، تحولت إلى رماد، وأنا الآن أعيش في الظلال، أن أحيأ وأنا هكذا أسوأ من الموت بمراحل.

زفر من أنفه ليخبرها بصدق: لكن هذا خاطئ، ستؤذين نفسك؟!
ابتسمت بمرار من بين دموعها وأردفت: لا تستطيع كسر ما كُسر من قبل،
لذا فلا شيء قد يحدث سيؤذيني أكثر من أذيتي لي.

استقامت بعدها مغادرةً إلى غرفتها، صفقت الباب خلفها بقوة وظل كلاهما
يراقبانه بمزيج من الشفقة والحزن حتى اختفت، التفت جهاد صوب رفيقه
المتهور ليحدثه بغیظ: هل أنت مرتاح الآن؟؟

نظر إليه عماد ليسبل عينيه ببراءة: ما ذنبي أنا؟ هذه رغبة نادية أنا
سأساعد فقط.

صرّ جهاد على أسنانه بحق: تساعدها بمخالفة القانون عماد؟! هل
جنت؟؟

زفر عماد بخفة ثم حاول أن يوصل فكرته إليه بتعقل: اسمع جهاد، للأسف
القانون مطاط وقد سبق وأن تحايّلوا عليه هم، فلم لا نفعل المثل؟؟
أنحى صوبه ليقرب منه مضيئاً: على الأقل حينها سيكون اللعب عادلاً.

سكت لثانية قبل أن يضيف بصدق: صدقني جهاد، لو أن شقيقتي بمكان
نادية لما ارتضيتُ لها السكوت على حقها ولساعدتها حتى تشفي غليلها.

سكت من جديد وهو يعاين تعابير جهاد التي لانت بتفكير، ثم أردف بنبرة
ذات مغزى: علّها تتمكن من العيش بسلام، ولا تنسَ البادئ أظلم.. ثم
أنني أؤكد لك أنها لن تستطيع قتله أبداً.

رمقه بنظرة مطولة قبل أن يسأله: ما قصدك؟؟

تبسم الآخر شابكاً يديه ببعضهما ليتحدث واثقاً بشكل غريب: لأن القلب الذي يحب، لا يكره، معادلة بسيطة للغاية.
حرك جهاد رأسه للجانبين كمن لم يصدق مقاله فأردف باستنكار: لكنها تريد قتله عماد، هل استوعبت الأمر؟؟

لم تتحرك ابتسامة الآخر الواثقة وهو يجيب: لن تفعلها صدقي، ثم إنها لا تستطيع الحصول على سلاح إلا من خلالنا أنا وأنت، وكلانا لن يجلبه لها.
أشاح جهاد بوجهه إلى الجانب الآخر ليقابل البحر من خلال النافذة الكبيرة، نفخ باستياء وهو يعلم مدى فداحة ما تفكر فيه نادية، لكن ليس بيده حيلة، يكفيه أنها الآن تتقبل الجلوس معه ومع عماد بعد شهورٍ كثيرة من متابعة العلاج النفسي مع طبيبها، أغمض عينيه لثانية يحاول مقاومة ابتسامته عندما سمع تعليق عماد بغيظ طفولي: والآن هل نستطيع تناول الطعام؟؟ لأنني حرفياً سأنهار من شدة الجوع.

رغم عدم اقتناع جهاد بما يفعله (الأحمقان) على حدّ تعبيره، إلا أنه لم يخل عليها بالنصح أبداً، وتكفل عماد باستخراج أوراق رسمية باسم جديد لها، مستخدماً نفوذ خاله ومهنته هو كمحامي، كذلك جلب لها خبير ومتخصصة فعلمتها كيف تستخدم مستحضرات التجميل بشكل يجعلها تبدو أكثر جمالاً وأناقة وطبعاً.....أكثر اختلافاً.

لكن الأهم من كل هذا هو كيف ستصل إليه؟ ساعدها عماد وجهاد كذلك، في الحصول على معلوماتٍ شاملة، بعد بحثٍ موسع طال جميع أفراد عائلة الصايل، والدته نازك سيدة مجتمع همها الأكبر مكانة عائلتها ونفوذها، نورا شقيقته الكبرى مهندسة معمارية، أما بيسان الصغيرة، والتي تدرس في كلية علوم الحاسب الآلي والمعلومات، كانت الأوفر حظاً، خاصة أنها تعشق الصحافة رغم أنها تدرس اختصاصاً مغايراً، فهي تملك مدونة على الإنترنت مع عدد لا يستهان به من المتابعين.

بعد قرابة أسبوع من التجهيزات والاستعداد، أحضر عماد فرصتها الذهبية، كانت المجلة تطلب صحفيين وموظفين جدد، وهذا سيوفر عليها أسابيع إضافية، استحصل لها عماد على شهادة صحفية مزيفة، قدّمت أوراقها وقد تجاوزت امتحان القبول بالمجلة بمجدارة، وها هي منذ تعيينها قابعة هنا لا تفعل الكثير. ولم تقابله حتى لمرة واحدة.

رنين هاتف مكتبها انتشلها من شرودها في ذكرياتها، كانت السيدة رجاء مديرة مكتب ماجد تخبرها بإلغاء اسمها من قائمة المرشحين للذهاب إلى المؤتمر بسبب عودة أحد الصحفيين القدامى...

أغلقت الهاتف تزامناً مع دمعة سقطت على وجنتها رغماً عنها، آلتها العدسات قليلاً فأغمضت مقلتيها الزرقاء، كانت هذه أفضل فرصها للقاء

به، بعد عناء الانتظار لشهرين كاملين، أما الآن فهي مضطرة للانتظار أكثر، على ما يبدو.

صوت كعبيها العالي أجبر جميع موظفي هذا الطابق ليرفعوا رؤوسهم لرؤية صاحبتهم، بملابسها التي بالكاد تسمى ثياباً، ضيقة لتلتصق على جسدها كجلدٍ ثانٍ، وشفافة للغاية وقصيرة، شعرها المهتاج المصبوغ بالأحمر الناري يتطاير خلفها بعدم انتظام.

دلفت سمية إلى مكتب ماجد متخفيةً والدتها دون حتى إلقاء التحية عليها، نفخت السيدة رجاء بضيق حقيقي من ملابس ابنتها المخجلة وتصرفاتها المخزية كذلك، أخذت حسبها الله وهي تردد بعض الأدعية لهداية ابنتها..

فتحت الباب لتدخل بخيلاء واثق لتتجه صوب ماجد، الذي رفع رأسه إليها لجزء من الثانية، ثم أعاد نظره إلى الأوراق أمامه وقبل أن تصل تحدث إليها ببرودٍ قاسٍ: اثبتى مكانك.

أطاعته قدماها قسراً فتجمدت حيث سمعت كلماته، بقي لشوان يدون شيئاً ما على الأوراق أمامه، ثم أعاد ظهره للخلف وهو يرمقها بنظرة شابهت نبرته الساخرة: ماهذه الثياب التي ترتدينها آنسة سمية؟؟

ابتسمت بثقة مفرطة، رافعةً يدها لتضعها على خصرها متمائلةً بجسدها ولتجيب بغرور: هل أعجبتك؟؟

ابتسم لثانية مما جعلها تنتشي فرحاً، اختفت ابتسامته لتختفي خاصتها أيضاً مع كلماته اللاذعة: طبعاً، إنها تصلح لعاهرة في ملهى ليلي، وليس لصحافية في مجلة محترمة.

ازدردت ريقها بخزي مع إهانتها، لكنها ردّدت بكبرياء: لكن مثل هذه الشيا ب دائماً ما كانت تعجبك، صحيح؟؟
شيخ ابتسامه ساخرة ارتسمت على محياه متحدثاً بنبرة ذات مغزى: صحيح، في غرفة نومي.

زاد غيظها من بروده في تعاملها معها، وكأنه ليس ذات الشخص الذي يرتمي في حضنها ليلاً ينشدها راحته، لكن، ولقصر مدى رؤيتها، تعتقد أنه يطلب راحة جسدية، فتفعل كل مافي وسعها للترويح عنه، في علاقة محرمة في جميع الأديان، أما هو فقد كان ينشد راحة نفسية، راحة تبرئه من ذنبه، وتدع روحه المعذبة لتتحيا بسلام.

تحدث ليخبرها بينما يعود لينحني على الأوراق: ستذهبين مع الوفد إلى المؤتمر كبديل عني.

فغرت فاهها بدهشة بائنة لتسأله باستغراب: لماذا؟؟ أليس من المفترض أن.....

قطعت سؤالها عندما حدجها بنظرة مفزعة، وهي تعرف جيداً ماخلف نظرتها تلك، كان يحذرهما من تجاوز حدودها، أعاد بصره إلى الأوراق قائلاً بجفاف: بإمكانك الانصراف.

ضغطت على شفيتها بقوة لتقول بهسيس مُغتاظ: حاضر.
استدارت لتغادر تدب الأرض بكعبها بغضب، رمى قلمه ليزفر باختناق
معيداً ظهره ليسنده على كرسيه، ذلك جبينه بتعب وهو يشعر برأسه يكاد
ينفجر من فرط الصداع، فلم يستطع النوم ليلة أمس كالعادة، لكنه اليوم
يشعر باقتراب حدوث أمر ما، ولا يعلم إن كان أمراً سيئاً أم جيداً.
وقف من مكانه ليطالع الموقف المخصص لسيارات موظفيه من النافذة،
حتى تأكد من رحيل سمية برفقة الوفد الصحفي، شعر بالضيق من بقائه
بين جدران المكتب، فقرر أن ينزل إلى الحديقة الصناعية الملحقة بمبنى
المجلة في الأسفل، وكان يدخل إليها من باب معزول لا يراه بقية الموظفين.

كان للحديقة الصناعية بابٌ واحد من المبنى الرئيسي للمجلة، وهي إحدى
التعديلات التي قام ماجد بإضافتها إلى المبنى، قام بشراء قطعة الأرض التي
تجاور المجلة ثم فرشها بعشب صناعي، وضع فيها أيضاً أشجاراً حقيقية
موضوعة في أحواض خشبية تشبه جذوع الأشجار، فتظن أن الحوض هو
جذع الشجرة الحقيقي، كما أضاف أيضاً البعض من أحواض الأزهار
المتناثرة هنا وهناك وقد غلب عليها اللون الأبيض.

لم يكن أغلب موظفيه يعرفون بشأن الباب المؤدي إلى تلك الحديقة، ولم
يكونوا ليجرؤوا على الخروج إليها أثناء الدوام حتى أن عرفوه، لذا كان

يمشي بأريحية معتقداً بأنه لوحده، أحنى رأسه بثقل واضعاً كلتا يديه في جيوب بذلته الرسمية، عندما لمح خيلاً جالساً هناك مستنداً بظهره إلى أحد الأحواض، ضيق عينيه باستغراب واقترب من الخيال، ثوانٍ حتى انفرجت شفاته بدهشة، إنها فتاة !!!

دفنت وجهها بين راحتها بامتعاض، تعلم أن مسألة انتقامها قد تأخذ وقتاً لكنها ليست من النوع الصبور بطبعها، زفرت بضيق وهي تشعر بالاختناق، لا عمل لديها لذا آثرت أن تخرج من مكتبها علّها تنفس عن غضبها، لم يكن لديها أصدقاء في المجلة فظلت تمشي في الممرات المتصلة في الطابق السفلي حيث مكتبها، حتى قادتها قدمها إلى سلم صغير في نهايته بابٌ يبدو أن لا أحد يعلم به، فتحت الباب ليطالعها منظر حديقة صغيرة تسحر العيون، رغم استغرابها من وجود الحديقة خلف باب سري، لكن عقلها المتخبط لم يسمح لها بالتفكير في الأمر كثيراً، دلفت إلى هذه الجنة الصغيرة، كان تصميمها مريح للعين كما النفس، مشت بخطوات متعبة باتجاه أحد الأحواض الذي كان بشكل جذع شجرة لتسند ظهرها إليه، مررت يديها بين خصلات شعرها المستعار والذي كان باللون الأشقر الكستنائي، أرجعت رأسها للخلف وأغمضت عينيها تفكر في القادم من الأيام، كانت تقضي خطتها بالاقتراب من ماجد قدر المستطاع ثم قتله دون

أكثرنا للعوالم، رغم محاولات جهاد الكثرة لإثباتها عما اعتزمت له لكنه لم يتمكن من إقناعها بالعكس.

_ من أنت؟؟

فتحت عينيها باتساع عند ما اقتحم صوته الذي لا تنساه خلوتها، تسارعت أنفاسها بدهشة عظيمة، لكن أثر المفاجأة لم يظهر على محياها، فبرعت في ضبط انفعالاتها، لقد ظنت أنه غادر مع الوفد لكن يبدو أن ظنها قد خاب، للمرة الثانية.

ازدردت ريقها بتمهل وأدارت رأسها صوبه ببطء شديد، لا تدري لم ظلت تنظر إليه للحظات طوال، فيما ماجد قد أجفل حينما رأى ملامحها، كم شابهت تلك التي يقضي ليله يفكر فيها، لولا أنه أكيد من وفاة نادية لأقسم أنها تجلس أمامه الآن، لكن مستحيل!! فنادية ذات شعر أسود وعيون ذهبية، أما هذه فكانت مقلتيها زرقاء وشعرها... أشقر.

استعادت رباط جأشها من فرط المفاجأة لتتحدث بنبرة ثابتة: ومن تكون أنت؟؟

ضيق عينيها باستغراب، فتاة في حديقته، إذاً من المؤكد أنها موظفة لديه في المجلة، فكيف بها لا تعرف رب عملها؟؟

تساءل باستنكار طفيف: ألا تعرفين من أنا؟؟

أعادت أنظارها إلى الأمام مبتعدة عن تأثير عينيها قائلة بلا مبالاة مصطنعة: لا، ومن تكون يا ترى؟؟

لم يكن نكران معرفته عشوائياً منها، بل في الحقيقة كان خطوة ذكية نحو هدفها، تماماً كما حدث مع نادية عندما تجاهلت وجوده في الكلية من قبل، يبدو أن التاريخ سيعيد نفسه، لكنها هذه المرة ستسبقه هي بخطواتها. تنفس بعمق ليردف بانزعاج طفيف: هل ستخبريني باسمك وما الذي تفعلينه هنا؟ أم أناذي على عناصر الأمن؟؟

ابتسمت قائلة بتهكم دون النظر إليه: وما تهمني؟ شدّ ظهره لينتصب في وقفته فبدأ أكثر ضخامة وطولاً وهو يجيب: التعدي على أملاك خاصة.

ادّعت البرود ناظرةً إليه بملل: وهل هي أملاكك؟؟ رمقها بنظرة مطولة جعلت خافقها يهدر بقوة وعنف، ودماؤها تفور وتغلي، لكن ذلك كله أجادت إخفاءه ببراعة، أجفلت عينيها للأسفل لتهرب من سحر تلك الخضراوين عليها، تنفست بعمق قبل أن ترفع جسدها عن العشب لتغدو واقفةً أمامه، فبان قدّها المياس وتمكن من تمييز رائحة عطرها المميز، والذي كان الياسمين المعتق، نفضت ثيابها ويديها من العوالق من الأوراق اليابسة، استدارت صوبه لتقابله قائلة بعدم اكتراث مختلق ونبرة عادية: سأترك المكان لك.

مشّت لتعود من حيث قدمت، برعت في تمثيل الهدوء والثقة في خطواتها المتهمة، رغم أن فؤادها يكاد يطفر من بين ضلوعها هلعاً، ما إن خطت داخل الباب المنزوي حتى استعجلت في خطواتها بهيئة أقرب إلى الركض،

حتى دلفت مكتبها لتغلق الباب وتسند جبينها عليه، وما تزال تلهث بخفة، ولا تعلم كيف تفسر ما يغزوها من مشاعر وأحاسيس متضاربة في هذه اللحظة.

أغمضت عينيها بقوة بعدما آلمتها العدسات بسبب اللهب الحارق الذي تدفق في مآقيها، لماذا تبكين الآن؟؟ أليس هذا ما أردته؟؟ الحقيقة لا، كان هذا أكثر مما أرادت بكثير، لقد تمكنت من جذب انتباهه من اللقاء الأول بادعائها عدم معرفته، هي متأكدة من هذا، لكن هناك شيء خاطئ، خدرٌ يغزو جسدها كما عقلها كدبيب النمل، تباً لهذا القلب الخائن، كيف له أن يقرع بسرعة هكذا؟؟ ما الذي يحاول أن يخبرها إياه؟؟ هل اشتاق إليه؟؟

انتفضت كمن لدغ وصوت لهاثها يُسمع، عندما مرت تلك الكلمة في خاطرها، حركت رأسها للجانبين بإنكار، لا مستحيل، لن تشتاق إليه وتسامحه أبداً، هي تكرهه، نعم تكرهه.

حاولت إقناع نفسها بهذه الفكرة، رغم أن ساكن يسارها يخبرها بعكسها تماماً.

مازال على وقفته شاردًا في خيال تلك الحورية الجميلة، ترى من تكون تلك الفتاة، أهي من موظفاته؟؟

انتبه لتوه لغيابها خلف الباب، حثّ خطواته خلفها لكنه لم يجدها، ولم يعرف إلى أي ممرّ اتجهت، ظلّ لشوان عاقداً حاجبيه بنظر في اتجاه الممرات الثلاث، بهتت ملامحه ولم يعرف كيف سيجدها، وهو حتى لا يعرف اسمها، فكر في السؤال عنها، لكن آخر ما قد يريده هو إثارة جلبة داخل مجلته، تهدل كتفاه بخيبة، ونفخ هواءً مثقلاً خرج من صدره، قطب جبينه ليعود صاعداً إلى مكتبه، لكن عقله لم يكف عن التفكير فيها لثانية، لديه العشرات من الموظفين والصحفيين في المجلة، فكيف سيعثر عليها دون معرفة اسمها؟؟

لكن من الواضح أنها جديدة هنا، فجميع موظفيه القدامى يعرفونه حتى أن لم يكن يعرفهم، وقف عند هذه الفكرة أمام مكتب السيدة رجاء، التي قابلته ببسمةٍ شاحبة اختفى رونقها، انحنى صوب الطاولة ليسند جسده بيديه ثم سألها: سيدة رجاء، كم موظفاً تم قبولهم في آخر مرة؟؟ دون تأخير، أجابت باحترام: لقد تم تعيين تسعة موظفين باختصاصات مختلفة، كذلك تم تعيين ستة صحافيين.

اعتدل في وقفته وهو يحرك رأسه إيجاباً بتفهم، الاحتمال الأكبر أن تكون إذاً من الموظفين الجدد، ارتسمت على ثغره بسمة خبيثة، مخبراً إياها بثقة: إذاً، اطلبي اجتماعاً خاصاً للموظفين الجدد، أريد أن أجتمع بهم خلال ساعة واحدة.

استدار داخلاً إلى مكتبه تحت نظرات رجاء المدهوشة، هذه المرة الأولى التي يطلب بها ماجد اجتماعاً بموظفيه، خلا الاجتماع الأول الذي عقده في بداية توليه منصب مديراً للمجلة بعد والده.

دلف جهاد إلى مكتبه ليفاجأ بوجود بيلا جالسة بانتظاره هناك، ثنى حاجبيه بريية ليسألها فيما هو يلتف حول الطاولة: آنسة بيلا؟ هل هناك من خطب؟؟

ابتسمت الأخيرة بخفة لتجيبه بينما ترفع ذراعها وتسندها على الطاولة: في الحقيقة جهاد نعم، سيتم نقلك.

رمى الملف الذي كان بين يديه على الطاولة، وظل لشوان واقفاً يستوعب كلمتها الأخيرة، تساءل من جديد بعين ضيقة: نقلي أنا؟؟ أشارت له بالإيجاب دون حديث، خفق قلبه بخوف طفيف، يخشى أن أحداً قد شكك به وقد رغبوا في إبعاده، تحكم بنبرته القلقة ليسألها فيما يجلس على كرسيه: إلى أين؟؟

ابتسامة واثقة ارتسمت على ثغرها لتجيب ببساطة: ستصبح مديراً لمكتب والدي.

اتسعت عيناه بصدمة ودهشة في آن، مديراً لمكتب جميل؟؟ حتماً هذا أكثر مما يتخيل، انتبه من شروده على استرسال بيلا في حديثها: لقد أحال والدي مدير مكتبه القديم إلى التقاعد، لذا تمّ تعيينك بديلاً عنه. ابتسامتها

معدية فانتقلت إليه، ليسألها بمشاغبة عابثة: ومن الذي رشحي لهذا المنصب يا ترى؟؟

تضرج وجهها بحمرة الخجل رغم شخصها الجريء، أجفلت عينيها للأسفل وأجلت حلقتها، لتجيب بتوتر وتقطع: لا يهم أبداً، من الذي رشحك.... المهم أنك قد تعينت وانتهى،

تنفست بقوة لترفع رأسها صوبه مضيفة: هيا الآن، اجمع أشياءك واتبعني. خرجت عقبها بسرعة كمن يحاول الهروب من أمر مخجل، شيعها بعينه وعلى ثغره ابتسامة صافية، يشعر بفؤاده يقفز طرباً كلما رآها أو اقترب منها، أو حتى التفكير بها، كذلك يشعر بالاهتمام الزائد منها، تيقن خلال الأشهر المنصرمة من ابتعادها بشكل كلي عن أعمال والدها غير الشرعية، مما سمح لنفسه بالتوغل في غرامها أكثر.

ربما لم يتمكن بعد من إمساك دليل على جميل يكفي لإلقاء القبض عليه، وجهاد ليس مستعجلاً فمصيره الوقوع يوماً، إلا أن ما ينغص عليه مهمته هو خوفه من موقف يبلا لو عرفت حقيقة والدها.....

بعد ساعة واحدة، كان يجلس في الغرفة المخصصة للاجتماعات، بانتظار دخول تلك الفاتنة التي سلبت لبه، حافظ على ملامح باردة لا يعرف ما خلفها، مراقباً دخول الموظفين الجدد.

مذ أخبرتها رجاء بقصة الاجتماع المفاجئ، وقد وقعت وسط صراع محترم، تعرف أن هذا الاجتماع لأجلها هي، لأجل أن يتعرف عليها، إذا فقد صدق حدسها بالفعل ونجحت في جذب انتباهه، وهذا يعتبر خطوة مهمة في مخططها، إذاً لماذا هي خائفة؟؟ أليس المفترض أن تكون سعيدة لاقتربها خطوة أخرى نحو هدفها؟؟ وسلبه حياته كما سلبها حياتها وروحها؟؟

لا تعلم بالفعل ما سرّ الصراع الذي تعيشه داخلها، لكنه غير مريح البتة. حملت معها قلماً وبعض الأوراق البيضاء تحسباً، سارت بخطوات ثابتة حيث دلتها رجاء، وقفت قبل أن تدخل، تنفست بعمق لتغمض عينيها لبضع ثوان، تكاد تسمع صوت خفقاتها الصاخبة، ضبطت تعابيرها الواثقة، ورسمت ابتسامة رسمية على ثغرها الصغير، ثم طرقت الباب لتدلف إلى الداخل، وقد كانت آخر الواصلين.

اعتدل في جلسته مع دخولها، اشتدت قسماته وهو يتفحص وجهها الناظر إلى الأمام ذي الملامح الجامدة، ومشيتها الواثقة، ظلّ مثبتاً أنظاره عليها حتى جلست على كرسي ما، حيث فصلها عنه سبع كراسي أخرى، نظمت أوراقها أمامها وأجادت رسم ملامح ثابتة واثقة، رغم تدفق الدم الهائل في أوردها، وصوت دقاتها التي تكاد تصمّ أذنيها، ودون الالتفات إليه ولو مرة واحدة.

عقد كفيه ببعضهما بعدما تأكد من اكتمال العدد المطلوب، أجلى صوته موزعاً أنظاره بينهم متحدثاً بثقة مفرطة: حسناً أيها السادة، أولاً أنا ماجد الصايل، صاحب هذه المجلة ومديركم المباشر.

وجه أنظاره إليها مضيفاً بعبث: أهنالك من لا يعرفني؟؟

تعلم أنه يقصدها، وتعلم أن تجاهله سيصيبه في مقتل، وهذا ما كان. تابع حديثه معيداً ظهره للخلف: الحقيقة لقد عقدت هذا الاجتماع لسبيين، الأول أن أعرفكم إلى نفسي لتعرفوني.

بدت كلماته مقصودة سكت لشوان يعاين العيون التي تناظره باهتمام باستثنائها هي، وهذا أشعره بعدم اهتمامها به أو بمكانته، فأضاف: والثاني، أنني أودّ الاستماع منكم على بعض الأفكار الجديدة، والتي قد تفيد المجلة في زيادة قراءها.

ساد جوٌّ من الهرج والمرج الخفيف في الغرفة، رفع أحدهم صوته ليخبر ماجد: سيدي، أقترح أن نقيم مسابقة ترفيهية.

حرك رأسه بتفهم، فيما تحدثت صحافية أخرى: بإمكاننا إضافة فقرة خاصة بتربية الأطفال، أو التعامل مع المراهقين.

تعددت الأفكار المطروحة، فيما كانت عفراء تدون شيئاً ما على الأوراق أمامها، غير آبهة بزوج من الغابات الخضراء التي تطالعها بتدقيق.

أنهت ما كانت تكتبه، لتعيد ظهرها للخلف وعلى ثغرها ابتسامة صغيرة، ثم صاحت بهدوء وثقة: هراء.

سكت الجميع فجأة، ليستمعوا إلى تلك التي نطقت للتو، وقد اعتقدوا بأنها بكماء!!

زوى ماجد مابين حاجبيه، وضيق عينيه ليرنو إليها متسائلاً: هلاً أوضحتي مقصداً يا آنسة...؟؟

سكت بطريقة موحية فعلمت أنها اللحظة الحاسمة، حسناً تأهبي، تنفست بعمق لتلتفت صوبه محببة ببسمة واثقة: عفراء يا سيدي، عفراء جاسر. حرك رأسه بتفهم ليحثها على المضي في حديثها، فأضافت بنبرة هادئة: مع احترامي لآراء زملائي كافة، لكنني لا أجد في مقترحاتهم ما هو جديد، ويجذب القراء.

ساد الهرج من جديد، والجميع يستنكر حديث تلك المتطفلة على المهنة برأيهم، لم تأبه برأيهم كثيراً، والحق يقال أن ماجد أيضاً لم يكثرث، فضرب على الطاولة صائحاً بهدوء وحسم: فليصمت الجميع. ران الصمت في القاعة، ليسألها ماجد: إذا هل لديك أفكار أكثر فائدة يا آنسة... عفراء؟؟؟

لفظ اسمها بتلذذ شتتها لثانية، قبل أن تتمالك نفسها لتخبره ببسمة الواثقة: طبعاً، أقترح أن ندخل زاوية جديدة في قسم الترفيه، عبارة عن بعض الحكايات.

ابتسامة ساخرة ارتسمت على محياه محركاً رأسه للجانبين باستخفاف، مردفاً بنبرة هازئة: حكايات؟؟ تقصدين مثل حكايات ما قبل النوم للأطفال؟؟

فردت كتفيها لتبدو أكثر ثقة وهي تجيب: لا، بل حكايات للكبار، عن أساطير قديمة وخرافات بعيدة، بأسلوب شيق.

ضيق عينيه وقد حازت على اهتمامه، فتساءل مجدية: مثل ماذا؟؟

رفعت كتفيها لتجيب باعتيادية: مثل خرافة سيدة الزرنبخ.

رفع حاجبه الأيمن مُعقباً بدهشة وضحت في نبرته: سيدة الزرنبخ؟؟ ومن تكون؟؟

كتفت يديها على الطاولة أمامها، لتتحدث: إنها خرافة قديمة، عن قرية نائية، بعيدة عن ضجيج المدينة، كان رجالها يمارسون سلطتهم الذكورية على نساؤها، يضربوهن، يعذبوهن، ويأخذوهن قسراً، إلى أن جاء يوم، كانت الحرب تدور رحاها على أطراف البلاد، التحق الرجال جميعهم إلى صفوف المقاتلين، لحماية الوطن والذود عنه.

رغمًا عنه كان ينجذب للاستماع إليها، أي نوع، من الأساطير قد تكون تلك؟؟

تابعت عفراء بإسهاب: بعد غياب عامين، كانت النساء قد تنشقت عبير الحرية من استبداد الرجال، عادوا أخيراً، لكنهم كانوا أشد غلظة وأكثر تنمرًا، حتى ضاقت النساء ذرعاً بتلك الخشونة، وقررن أخيراً الالتجاء إلى سيدة حكيمة، كانت تسكن منزلاً منعزلاً عن القرية، وهناك اجتمعن مع تلك الحكيمة، وأعطتهن الحل.

تبادل الحضور نظرات مترددة فيما بينهم، عندما رأوا اهتمام ماجد بحكايتها، لكن لم الاستغراب؟؟ فهم أيضاً منجذبون إلى هذه الحكاية بانتظار نهايتها.

أضافت عفراء بثقة متزايدة عندما لاحظت نظرات الإعجاب تتقاذف من عيونهم: لقد أخبرتهن السيدة الحكيمة عن طريقة لاستخدام الزرنخ، في طعام رجالهن.

شهقات متفاوتة صدرت عن الحضور، بينما كان ماجد منجذباً لها بكل حواسه بشكل آثار استغرابه هو، فتساءل: وما الذي حدث بعدها؟؟؟
ابتسمت بمكرٍ مجيئةً بتلاعب: وهل يهتمك حقاً معرفة ما حدث؟؟

تلاحم حاجبيه بريبة، إلى أين تريد الوصول هذه الفتاة؟؟
وكن سمعت سؤاله أجابت ببساطة: سيد ماجد، ليست القصة هي المهمة، بقدر أهمية الأسلوب الذي نتبعه في سرد تلك القصة، كلما كان أقوى كلما زاد نجاحها.

أعاد ظهره للخلف، حرك كرسیه برتابة وهو يرمقها بتفحص، شرد في لون عينيها الغريب، تلك البحيرتان أسرته، لطالما كان بارعاً في قراءة العيون، أما الآن فيشعر بأن بينه وبينهما حجاب.

حاولت قدر الإمكان الحفاظ على أعصاب باردة وملامح جادة واثقة في آنٍ، شعرت بعينيها الخضراء تحاول قراءتها، أو ربما سحرها والتأثير فيها، لكن

لا، ليس هذه المرة، هذه لحظتي أنا، ومخططي أنا، وأنت لن تكون أكثر من بيدقٍ في لعبتي.

زَمِّ فمه بتفكير قبل أن يتشدد بـ: إذاً، أقترحين أن يتم نقلك إلى قسم الترفيه؟؟

ارتفعت زاوية فمها ببسمة مأكرة محببة بكل ثقة: بل أقترح أن أترأس أنا هذا القسم.

لا ينكر أنها جريئة، وهذا أعجبه، همهمات متناثرة من زملائها حاضري الاجتماع سمعتها بوضوح، لكنها لم تحرك عينها عن عينيه لسبب مجهول من كليهما، انفرج ثغره عن إجابة خبيثة: سأقبل، شرط أن ترفعي نسبة متابعي المجلة إلى ثلاثين في المئة..... خلال شهر واحد.

اختفت ابتسامتها الصغيرة عندما سمعت المدة والرقم، إنه يتحداها رسمياً، احتقنت أوداجها وهي تشعر بأجراس الهزيمة تقرع داخل ثنايا عقلها. ابتسامة مغترة ظهرت على شفتيه، غابت فوراً أن نطقت إجابتها: أقبل. لم يصدق أنها قبلت التحدي، ثلاثون في المئة هي زيادة كبيرة مقارنةً بتلك المدة القصيرة، حتماً أنها سُجاعة للغاية.

هذه الفتاة تثير فضوله، لكنه يشعر بأمر ما تخفيه، خطرت على ذهنه فكرة جهنمية لمعرفة ما خلفها وعزم على تطبيقها فوراً.

أخبرها بمجمود قبل أن يهَبَّ واقفاً: جهزي نفسك، سيتم تجهيز مكتبك هنا للانتقال في الغد.

دخلت مكتبها القديم تمشي ببطء شديد، أغلقت الباب لتضع الأوراق من يدها على الطاولة، وقفت تنظر حولها لبضع ثوان، قبل أن تقفز فجأة وتبدأ بوصلة ضحك كالمجانين، كتمت ضحكتها بيدها وتنفست بارتياح، لكن مهلاً، لم كل هذه السعادة؟؟ ما الأمر عفراء؟

تجهم وجهها بغتة محاولة التنفس بهدوء وروية، سعادتها فقط بسبب اقترابها خطوة إضافية من الهدف، نعم هدفك عفراء، إياك ونسيان هذا.

عاد ماجد إلى منزل عائلته مساءً، سار في الممر الطويل والمزين بالأشجار بتراصف بديع، والمؤدي إلى البوابة الكبيرة للقصر الفخم، تزامنا مع ظهور صهيب من خلفها برفقة نورا، تجمدت خطواته لثانية قبل أن ينزوي مختبئاً خلف إحدى الأشجار، ظلّ منتظراً حتى دخلت نورا بعدما ودعت صهيب، سار الأخير في الممر قبل أن يشعر بيدٍ قوية تطوق ذراعه لتجذبه خلف الشجرة، لم يكن بحاجة الكثير ليعلم أنه ماجد.

ابتسامة باردة ارتسمت على ثغره عندما سمع سؤال ماجد: ما الذي تفعله هنا؟؟

أخفض نظره فيما هو يستدير ليقابل وجه الآخر المحتقن، عبث بطرف إبهامه على شاربه الخفيف مجبياً بسخرية: هل هذا استقبال يليق بصهر المستقبل، صديقي؟؟

جزّ على أسنانه بغيظ، شدّد ضغطه على ذراع صهيب ليصيح به بغلظة
وملامح محتدة: سألتك صهيب، ما الذي تفعله هنا؟
نفض يده عن ذراعه بقسوة، ليجيب ببرود فيما هو يعدل قميصه الأسود:
لقد كنت في زيارة إلى خطيبتي، سيد ماجد.
نطق آخر كلماته بسخرية باردة، مما جعل صدر الآخر يعلو ويهبط، حاول
تهدئة أنفاسه الثائرة، ثم تحدث بعقلانية: لماذا تفعل هذا صهيب؟ أنت لا
تحب نورا، كما أنها لم تؤذك يوماً، فلماذا تريد أذيته؟؟
تحولت ملامح الأخير إلى الشراسة ليردف بحدة: بالفعل، أنا لا أحب نورا،
ولن أفعل أبداً، أتعلم لماذا؟
اقترب منه خطوة إضافية، ليضيف بهمس حادٍ: لأنها شقيقتك، ونفس
الدماء القذرة تسري في عروق كلّ منكما.
تعالى صوت أنفاسه مجدداً، ليتحدث من بين أسنانه: أنت تكرهني أنا، فما
ذنبها هي؟؟
انقلبت عيناه إلى جمرتين من نار معقياً بصياح: وما كان ذنب نادية؟؟
ران الصمت بعد تلك الكلمة، فقط صوت تنفسهم العالي من يسمع، ابتلع
ماجد ريقه بمرار بعدما ذكره بتلك التي لم ينسها أصلاً، ليقول بنبرة حاول
جعلها ثابتة: أنا أحذرك صهيب، إياك وأن تؤذي نورا.

خطاه ليباعد عنه خطوتين، قبل أن تتوقف قدماه جبراً بعد أن سمع كلمات صهيب المُقلقة بنبرة هادئة بشكل مخيف: لقد حذرتك قبلاً بالألا تؤذي نادية، لكنك لم تستمع إلي.

كانت ظهورهما متقابلة، لكن كلاً منهما استطاع الشعور بتلك الأحاسيس المتضاربة التي ضربت الطرف الآخر، اغرورقت عيناها بالدموع لنفس السبب اتجاه ذات الشخص، رفع ماجد رأسه ليتنفس بصعوبة ثم قال بهدوء غريب ونبرة نادمة: لقد كانت خطأ.

ابتسم الآخر بتهكم ليعقب: خطأ؟؟ كأنك تتحدث عن كسر كوب من الزجاج في مطبخ منزلكم؟؟

استدار ليقابل ظهر رفيقه مضيئاً بحرقه: لقد كسرت نادية ماجد، كسرتها وتسببت بقتلها.

آلمته كلماته ليس لأنها الحقيقة فقط، بل لأنه يلوم نفسه في كل ليلة مستخدماً الكلمات ذاتها، لم ينبس بحرف وهو ينسحب داخلاً إلى القصر، تاركاً صهيب خلفه يطالع مكان وقوفه بشيءٍ من الحزن والتأثر، كلما تذكر ذلك اليوم.

Flash Back

كان صهيب يتقَدُّ ناراً كلما تذكر فعلة ماجد مع نادية، وأنَّ الأمر بسبب ياسر الحقير، إلا أنه لم يقابل ماجد أو يراه منذ يومها، لكن صمام أمانه انفجر ليلة سماع خبر وفاتها على أحد المواقع الإخبارية، كم حاول رؤية ماجد لكنه كان حبيس غرفته، كذلك الحرس لم يسمحوا له بالدخول.

كان ماجد قد خرج لتوه إلى شرفة غرفته محاولاً استنشاق بعض الهواء النظيف، عندما لمح صهيب يتجادل مع الحرس عند بوابة القصر، رغم استرابته من قدوم صهيب إلى منزله ذلك اليوم، لكنه لم يفكر مرتين وهو يقفز عن الدرج، ليحدث رئيس الحرس من هاتف خاص ليأمره بإدخال صهيب.

ما إن دلف الأخير إلى القصر بأنفاس متلاحقة حتى عاجل ماجد بلكمة مفاجئة أطاحت به أرضاً، جثى فوقه ليكيل له بعض اللكمات، لكن الحرس كانوا أسرع منه، حيث سحبوه بعيداً عن سيدهم وحاصروا صهيباً بين أجسادهم الضخمة، لكن هذا لم يردعه من توجيه بعض الشتائم والكلمات النابية بحق ماجد، الذي تحسس طرف فكه ليتفحص خيط الدماء الرفيع إثر لكمة الآخر، رفع رأسه إلى صهيب الذي كان يصرخ به: أيها الوغد الجبان، لقد قتلتها، أيها الحقير الغبي.

تسارعت أنفاسه بغضب وكأن هذا فقط ما كان ينقصه، أن يأتي من يزيد اللوم عليه!!

مسح خيط الدماء ليحدث صهيب من بين أسنانه، مدافعاً عن نفسه: أنا لم اقتلها.

صاح الآخر محاولاً التملص من الحراس ليصل إليه: بل أنت أيها الوغد، بسبب فعلتك الحقيرة كانت في تلك المشفى.

لم يجبه فقد كان محقاً، فأضاف الآخر وقد بدأت مقاومته تحبو رويداً وصوته بدا محتقناً: لقد أحببتها بحق، كنت أحلم بحياة نظيفة معها، لكن بسببك الآن أحلامي ضاعت.

راقب ماجد دموع صهيب الصادقة، وشعور غريب يضرب صدره، ليس ندماً فقط، بل ذبذبات عنيفة تخبره بأن لا يحق لأحد الحديث عن ناديته بتلك الطريقة سواء.

نفذ صهيب أيدي الحراس عنه، فابتعدوا عنه بحذر متأهبين لأي حركة تصدر عن هذا الثائر، نطق صهيب بنبرة ثابتة قوية، رغم أن شفاهه تهتز من فرط التأثر: سيأتي يوم لأردّ لك الصاع صاعين ماجد، ولن أرحمك ساعتها.

بدا تهديده فارغاً واهياً حتى بالنسبة له، فمهما بلغ نفوذ عائلته وثرائها، لن يأتي أمام عائلة ماجد شيئاً يُذكر، لكن، وكأن القدر استجاب لنجواه، فيما كان خارجاً من القصر يمسح عبراته، التقى بنورا داخلية، ترجلت من

السيارة بسرعة عندما لمحت حبّ طفولتها مستنداً على شجرة قريبة من البوابة، سارت نحوه بخطوات راكضة صائحة: صهيب. مابك؟؟ رفع رأسه إليها لجزء من الثانية ثم أخفضه، ازدرد ريقه ماسحاً آخر دمعة تكونت عند زاوية عينه، ليجيبها بلا مبالاة: أهلاً نوراً، اطمئني أنا بخير. رفع أنظاره مجدداً ليقابل عينيها العسلية الواسعة، هاتفة به بقلق: لا لست بخير، أخبرني، هل تعاركت مع ماجد؟؟ ما الأمر؟

لم تحفّ عنه تلك البحة المتأثرة في نبرتها القليقة، ولمعة عينيها وهي تنظر إليه بتفحص، لطالما قرأ في عينيها سابقاً لمحة حبّ نحوه، لكنه كان يعتقد أنها مشاعراً مؤقتة أو مراهقة، إلا أنه وعلى ما يبدو فقد كان مخطئاً، ونورا تحمل مشاعراً صادقاً صادقه ناحيته، لمعت عيناه بخبث إذاً لا بأس باستغلالها ليعرق قلب ماجد كما فعل هو معه.

لم تصدق نورا عندما حدثها صهيب في اليوم التالي متذرعاً بحاجته إلى صديقة لتستمع إليه، بسبب وحدته الدائمة ومشاكله الكثيرة مع عائلته، ولم تطل مدة الصداقة المزعومة تلك، ليحملها على أجنحة الأحلام بعدما اعترف لها بحبه وطلب يدها، كانت تصدق أن أحلامها قد بدأت تتحقق، وأن صهيباً حبيب الطفولة قد طلبها للزواج، أسرعت لإخبار نازك التي وافقت على خطبتها لصهيب فوراً بلا تأخير، فعائلة صهيب من الطبقة العليا وتليق لعائلة الصايل الموقرة، رغم معارضة ماجد في البداية متعللاً بأنها تكبر صهيب بعام واحد ويخشى ألا يتفقا، لكن وكالعادة، لم

يستطيع معارضة نازك هانم في قرار اتخذته، إلا أن حفل الزفاف تم تأجيله بسبب وفاة رفعت.

أفاق صهيب من ذكراه المريرة، على دمعة حارقة خطت على وجنته، مسحها بعنف مغالباً شعورٍ مختلطٍ بالندم، وآخر لم يعرفه بعد، لم يكن لنورا ذنب فيما فعل شقيقها، فلماذا يأخذها بذنب غيرها؟؟
إنه من الإجحاف بحقها معاقبتها على خطأ سواها، وهي السمراء الرقيقة ذات الابتسامة الوردية التي لن تليق بأنثى غيرها.

دلفت إلى الغرفة التي أرشدتها إليها رجاء، حاملةً في يدها علبة كرتونية صغيرة فيها أشياءها القليلة، وضعتها على الطاولة ثم وقفت تنفحص المكتب الجديد ببسمة صغيرة، لوهلة شعرت بأنها ليست وحيدة، هناك من ينظر إليها، رغم أن لا أحد معها في الغرفة، رفعت يديها لتضعها على خصرها وتلاحم حاجبيها بريبة، زفرت من أنفها بضيق ولم تجد شيئاً مريباً، سرعان ما هداها تفكيرها إلى الحل.

سارت باتجاه الباب لتغلقه وزر الإنارة لتطفئه، ثم توجهت صوب النافذة لتقوم بإسدال الستائر حتى استحالت الغرفة سواداً قاتماً، أدارت عينيها في زواياها مجذر، لاحظت خطأً رفيعاً باللون الأحمر يخرج من ثقب درج الخزانة المكتبية التي تقابل طاولتها.

سارت نحو الخط لتفحصه، فتحت الدرج لتلاحظ آلة صغيرة باللون الأسود تكاد لا تُرى مخفية في ذلك الثقب، حسناً إنها ممتنة للأفلام الأجنبية التي كانت تتابعها، فقد عرفت أنها عبارة عن كاميرا مراقبة خفية، ابتسمت بسخرية، طبعاً لن يكون ماجد الصايل لو لم يفعلها!!

عادت خطوة للخلف بعدما أغلقت الدرج، لتقف قبالة الخط الأحمر، أمالت رأسها لليمين ثم اليسار، ابتسمت بمكر وهي ترفع أصابعها السبابة والوسطى لتضعها على طرف جبينها بتحية، كمن يرسل رسالة مأكرة إلى من يراقبها.

كان ماجد يراقبها منذ دخولها، كانت فكرته تقضي بوضع كاميرا خفية في مكتبها، لكنه لم يحسب حساب أن تكون بهذا الذكاء، حركاتها تجذبه إليها أكثر رغماً عنه، ابتسم باتساع عندما رأى تحيتها، حولها هالة من الضوء الجاذب جبراً، أعاد ظهره للخلف وهو يرمق وجهها الفاتن بتفرس، لماذا تعلق بها بهذا الشكل العجيب؟؟ حتماً إنها فتاة مختلفة.

نفخ بضيق مغلقاً عينيه، ويدلك جانبي رأسه بأصابعه عندما أته طرقات خفيفة على الباب وقد عرف صاحبته، دلفت سمية مرتدية ثياباً فاضحة لثنايا جسدها أكثر من ملابس يوم أمس، لم يفتح عينيه بعد وهو يستمع إلى صوت ارتطام كعب حذائها الباهظ بالأرضية اللامعة بدلال، شعر

بأنفاسها تقترب من رقبتة، ففتح مقلتيه ليبتعد برأسه عنها صائحاً بتحذير:
سمية!

رغم خيبة أملها لكنها تصنعت عدم المبالاة، لترسم على ثغرها الملطخ بحمرة صارخة ابتسامة حاولت جعلها لطيفة لكن خيل إلى ماجد أنها كابتسامة أفعى، امتدت يده إلى حاسوبه المحمول حيث كان التسجيل على مكتب عفراء، ليفتح مقالاً كان يكتبه ودون ملاحظة سمية، جلست فوق طاولته، انحنت صوبه بجسدها لتظهر مفاتنها بشكل مغرٍ، قائلة بصوت مشبع بالاغراء: لقد انتظرتك ليلة أمس، لماذا لم تأت؟؟
لم يتأثر بمحاولتها اللعوب وأسلوبها الرخيص، ركز نظره إلى الشاشة قائلاً بحفاف: لم أكن متفرغاً.

قربت قدمها العارية لتلصقها بقدمه، حيث كانت أمام الحاسوب وضمن نطاق رؤيته لتعقب بدلال: ولماذا لم تخبرني؟؟
رفع بصره إليها مع حاجب مرفوع وتحذير بعدم تجاوز خطوطه الحمراء قرأته داخل مقلتيه ببراعة، ازدردت ريقها بفرع وهو يخبرها بنبرة صارمة: هذه الحركات ليست هنا سمية.

وقفت لتعدل ثيابها فيما تابع ماجد: والآن ارحلي إلى مكتبك لو سمحتي.
شعرت بالغیظ وأن هناك أمر ما لا تعرفه، ولا يجب أن تظل جاهلة به طويلاً، لم يتغيب لليلة واحدة عن لقائهما المحرم، وهذا ما جعلها ترتاب في أمره.

مشت ناحية الباب لكنها توقفت عندما ناداها: سمية؟؟

التفتت صوبه بابتسامة عريضة، خبت وهي تستمع إلى صوته البارد وكلماته المهينة: في المرة القادمة ارتدي ثياباً أكثر احتشاماً، فأنت في مجلة محترمة ولست في بيتٍ للدعارة.

أخبرها بتلك الإهانة وهو منكبٌ على حاسوبه متظاهراً بالكتابة عليه، رغم هذا يكاد يرى وجهها الذي تحول إلى حبة طماطم، رغم كل ألوان الطيف التي تغطيه.

سمع إغلاق الباب ليزفر باختناق رافعاً رأسه للأعلى، نظر إلى الحاسوب من جديد وهو عاقد الجبين، وجد نفسه يعيد ضبط الكاميرا إلى مكتب تلك الفاتنة، لكنه لم يجدها، تسارعت خفقاته كمن ضاع منه شيء، ولا يشعر بنفسه إلا وهو يهبط واقفاً قاصداً الذهاب إليها، وهو لا يفهم لماذا يفعل هذا.

خرجت من مكتبها الجديد، والذي كان في نفس الطابق المتواجد به مكتب ماجد، دلفت إلى مكتب السيدة رجاء لتسألها عن أسماء الصحفيين المتواجدين معها في قسم الترفيه، وقفت أمام الطاولة الخشبية ببسمتها الواثقة ليصدح صوتها الرنان: صباح الخير سيدة رجاء، كيف حالك؟ رفعت السيدة الخمسينية رأسها إلى عفراء، محببة برضا: 'أنا بخير يابنتي، أخبريني كيف أساعدك؟؟'

كادت أن تخبرها بطلبها، قبل أن تسمع صوت فتح الباب من خلفها، التفتت بملامح مرتاحة تحولت إلى صدمة عندما رأت سمية لتوها تخرج من عند ماجد، ذهول واجم سيطر عليها وكانت قد نسيت أمرها، تقريباً. ازداد تدفق الدماء داخل عروقها، وعقلها الإجرامي بدأ بالظهور مجدداً، ليحرضها على الإمساك بعنقها حتى تموت خنقاً، سرعان ما عاد - عقل الرحمن كما يقال- ليحاول تهدئتها، حسناً هذه السمية بحاجة إلى عقاب فريد من نوعه.

تقدمت سمية من والدتها تسألها بأنفة: أمي، هل حدث أمر ما هنا لم تخبريني به؟؟

قطبت السيدة رجاء جبينها بعدم فهم لتضيف الأولى بتوضيح هامس: ماجد قد تبدلت معاملته معي منذ الأمس، فهل حصل ما لا أعرفه؟؟ كانت تتحدث غير مدركة لتلك العيون التي تراقبها بمشاعر مختلطة، وقبل أن تهتم السيدة رجاء بالجواب، فُتح الباب للمرة الثانية، ليظهر هذه المرة ماجد بتعابير شبه قلقة، لكنه أجاد وضع قناع البرود على محياه عندما لاحظ وجود سمية، لكن لحظة واحدة !!

لماذا كان قلقاً أصلاً من اختفائها؟ لم تتعرف عليها سوى بالأمس، فما الأمر ماجد؟؟

وضع كلتا يديه في جيوب سرواله القماشي ليتحدث بترفع: لم هذا التجمع هنا؟؟

كانت سمية أول من أجاب، بنبرة دلال مختلفة عن تلك التي حدثت والدتها بها قبل لحظة: لا شيء عزيزي، لقد كنتُ أسأل أُمِّي عن أمرٍ ما.

عزيزي؟؟ ابتسمت بسخرية وقد عرفت الآن سر تواجدها هنا وملابسها المخجلة، الوغد إنه على علاقة ما بها! الآن عرفت ما هو الثمن الذي تلقتة لتببعها وتشهد ضدها في المحكمة.

حجج سمية بنظرة مميتة، قبل أن يتجاهلها موجهاً حديثه إلى عفراء بنبرة دافئة: هل هناك مشكلة ما آنسة عفراء؟؟

نقلت سمية أنظارها إلى المقصودة، رغم أن عفراء لم تكن تنظر إليها، لكنها تمكنت من تمييز ملاحظتها التي شابته في بعضها ملامح نادية، مع اختلاف لون الشعر والعيون.

أجابت عفراء بنبرة حيادية، متجاهلة نظرات سمية القاتلة: لا أبداً سيد ماجد، فقط أردت سؤال السيدة رجاء عن أمرٍ ما.

حرك رأسه بتفهم، رفع يده ليعبث بشعره، ثم تحدث ببعض التردد: حسناً، هلا تفضلتي إلى مكنتي؟ أريد التحدث معك في أمرٍ هام.

رغم استغرابها من طلبه، لكنها تصنعت الهدوء وأومأت برأسها موافقة، مشت نحوه بخطوات ثابتة حتى دلفت إلى الغرفة، وعقلها يجدها بقسوة، إنه ماجد فلا تنسي، لن يفعل شيئاً دون سابق تخطيط، نفضت رأسها لتحاول إقناع نفسها: ربما هي فرصة جيدة لسؤاله عن أمر الكاميرا.

ظلت سمية واقفة تشاهد حتى أغلق الباب، وشعور بعدم الراحة سيطر عليها، هذه العفراء جميلة، رقيقة، وتجذب الأنظار، بدت لها كمن تتودد إلى ماجد لتطيح بها، كورت قبضتها بغل، لا، لن أتنازل عن موقعي بهذه السهولة، ليس بعد كل ما قدمته له يخرجني من حياته بهذه البساطة، يجب أن تعرف عن عفراء كل شيء، استدارت لترشق والدتها بتأفف، هذه العجوز لن تمنحني الكثير، لكن لا بأس، فهناك من يستطيع مساعدتي.

استدار حتى جلس على كرسيه، ولا يعرف حقاً لماذا دعاها إلى مكتبه، ولا كيف سيبرر طلبه، هو فقط أراد رؤيتها دون وضوح الأسباب، انتبه لكونها ما تزال واقفة، فتحدث قائلاً بهدوء: تفضلي اجلسي.

جلست على الكرسي مغالبةً شعورها بالخوف بعد إغلاقه للباب، ربما لن يؤذيها هنا، لكن تواجدها معه لوحدهما وفي غرفة مغلقة مخيف، بل لنقل مرعب لها، ازدردت ريقها لترفع رأسها إليه متسائلة بهدوء مفتعل: هلا أخبرني ما الأمر سيد ماجد؟؟

ثنى حاجبيه ليسألها فور تذكره: لماذا لم تسأليني عن أمر الكاميرا؟؟
ادّعت المفاجئة لتردف: لماذا أسأل، أليست كل المكاتب فيها كاميرات مراقبة؟؟

قطب جبينه باستغراب من تعاملها مع الأمر ببرود، لكن إجابتها المدّعية أراحته من عبئ التبرير، فقال بادّعاء هو الآخر: أها، طبعاً جميع المكاتب فيها كاميرات، لكن ليس الجميع على معرفة بها، فكيف كشفتها؟ ابتسمت بسخرية لم يلحظها وقد علمت بأنه كاذب، رفعت كتفيها لتجيب بلا مبالاة: لا أعلم، فقط شعرت بأن هناك من يراقبني.

كتف يديه أمامه ليسأل بعث: وهل أنتِ عادة حساسة إلى هذه الدرجة؟؟ ثبّت عينيه على مقلتيها فيما بدت هي كمن يفكر لكنها في الحقيقة كانت قد شردت هي الأخرى في مآقيه الآسرة، انتبهت لنفسها لتخفض رأسها ثم اصطنعت الهدوء محجبة: لا أعلم.

إجابة غامضة ولكنها عميقة فزادته انجذاباً لها دون أن تدري، ثوان أخرى مرت قبل أن تستقيم واقفة تطلب الإذن بالمغادرة، ليعود هو إلى مراقبتها عبر الكاميرا، أما عفراء فقد كانت خطواتها محسوبة أمامه بدقة.

مرت عدة أيام، حرص خلالها جهاد على اكتساب ثقة جميل، فكان نشيطاً منظماً في عمله بشكل يبعث على الإعجاب، مما أعجب الأخير حقاً، أما عن علاقته بببلا فكانت في تقدمٍ مستمر، لكن أياً منهما لم يعترف للآخر بما يعتمل داخله من مشاعر غرام ولید.

خرج جميل منذ بعض الوقت للقاء صديق قديم خارج الشركة، بيلا في اجتماع هام مع شركة أخرى، لذا فهي فرصته الذهبية للبحث داخل مكتب جميل عن أية أوراق مفيدة.

دلف إلى الغرفة الكبيرة، والتي لم تكن مزودة بكاميرات مراقبة كحال مكاتب بقية الموظفين، كما أن تصميمها مريح للعين، الطاولة الخشبية الكبيرة ليست مزدحمة بالأوراق والملفات، وهناك قبالتها على الحائط عُلقَت شاشة كبيرة تكشف الكاميرات الموضوعة على مداخل الشركة، وخلف الطاولة نافذة زجاجية، أو حائط زجاجي بمعنى أدق، صورٌ كثيرة وكبيرة نسبياً تخص جميل احتلت الحائط الآخر، الشيء الذي لفت اهتمامه حقاً كان وجود عمود ضخّم وسط المكتب لا مبرر لوجوده سوى لغاية جمالية، هكذا حاول جهاد أن يقنع نفسه.

فتش بين الأوراق القليلة على أي ورقة تدل على صفقات جميل المشبوهة في شركته الظل لكنه لم يصل إلى شيء، وقف موجهاً أنظاره إلى صور جميل على الحائط، قد يجد خلفها خزانة ما، لكنه أيضاً لم يجد أي شيء، لا يعقل ألا يمتلك جميل خزانة سرية في مكتبه، لكن أين؟؟

خطرت على باله فكرة قد تبدو غريبة، لكنه مع رجل مثل جميل لم يكن ليستبعد أي احتمال، طرق بيده على بلاط الأرضية ليتأكد إن كانت الخزانة تحتها، لكنه أيضاً وصل إلى طريق مسدود، نفخ بضيق عائداً إلى الطاولة محاولاً تخمين مكان الخزانة، عندما لاحت منه نظرة إلى الشاشة الكبيرة،

ليرى جميل قد وصل بسيارته للتو، عائداً إلى الشركة برفقة رجل لم يتبين
 جهاد ملامحه، اتجه الرجلان إلى المصعد الخاص بجميل وضيوفه فقط، أسرع
 جهاد ليتأكد من ترتيب المكتب كما كان، ثم أسرع بخطاه خارجاً إلى
 مكتبه، جلس هناك مصطنعاً الهدوء، لم تمر سوى لحظات حتى دخل جميل
 برفقة ضيفه، رفع جهاد رأسه ثم وقف من فرط المفاجأة ليصدم بوجود
 فاروق، والذي كان يمشي محاذياً لجميل ويبدو أنهما يتحدثان في أمر جلل،
 رنين هاتف فاروق قاطع حديثهما المهم ليستأذن داخلاً إلى المكتب
 ونظرات جهاد المتفاجئة تتبعه بذهول، وقف جميل أمام مكتب جهاد قائلاً
 بأمر: لو سمحت جهاد، لا تحول إلي أية اتصالات، وأخبر كل من يسأل عني
 أنني في اجتماع هام.

تصنع ابتسامة رسمية على محياه ليومئ لمديره بالموافقة، ثم تبعه حتى دخل
 هو الآخر، وجملة أستاذه عدنان ترن في أذنيه ((فاروق خطر وقذر للغاية،
 فلا تستهن به أبداً))

أسقط جسده على الكرسي، وفي عينيه وميض غامض، إذاً فاروق متورط مع
 جميل بشكلٍ أو بآخر.

تجنبت رؤية سمية أو الاختلاط بها، وقد أعدت لها في قرارة نفسها عقاباً لا تعتقد أن الأخيرة قد تنساه، كذلك، ومع عناد خافقها معها، حادّث أحد الشبان، والذين تعرفت عليهم من أحد مواقع التواصل الاجتماعي بعد بحث مطوّل، لتشتري منه مسدساً غير مرخص، بعد نيتها المبيتة بقتل ماجد، بعد معرفتها بأن أياً من جهاد أو عماد لن يساعدها في جلب السلاح.

حملت المسدس بين يديها لتتفحصه، وكأن فيه الإكسير العجيب لشفاء فؤادها المدمى، لم يكن جلبه بالأمر الهين أبداً، لكن ما إن أظهرت مالها حتى أصبح الجميع طوع بئانها، دفعت معظم الأموال التي حصلت عليها من بيع منزلها في سبيل الحصول عليه، لم يكن سهلاً عليها أن تطلب من جهاد عرض المنزل للبيع، لكن حياتها ستبقى في الظلام ما لم تشف غليلها، فجأة قفز وجه والدتها ليحتل تفكيرها، آه يا أمي، لو أن أحداً ينصفي من هذا الصراع القاتل داخلي، القلب يريد، لكن العقل يأبى.

أعادت المسدس إلى حقيبتها الكبيرة في جيب سريّ، ثم توجهت إلى المجلة لتبدأ دوامها، بعد ليلة طويلة من الصراعات اللا متناهية.

قلبها ينبض بسرعة رهيبية، بمزيج مختلط من المشاعر أبرزها الهلع ولا تدري السبب الحقيقي لها، واقفة على باب مكتبه لتتنفس بعمق قبل أن تطرق الباب بتردد، ليأتيها صوته يدعوها للدخول، دلفت للدخل بخطوات مترددة، راسمة قناع البرود والثقة ببراعة.

سمع خطوات أنثوية في مكتبه، رفع رأسه عن شاشة هاتفه بغتةً عندما زكمت رائحة عطرها المميز حواسه كلها، ابتسامةً سعيدة لم يعرف سببها، ارتسمت على ثغره، ليدعوها للجلوس.

لكنها وقفت أمام الطاولة الخشبية باحترام لتقدم الأوراق في يدها إليه قائلة ببرود مصطنع: هذه أول حكاية سيتم نشرها هذا الأسبوع، يلزمها موافقتك فقط.

للحظات مرت لم يرفع يده ليأخذ الأوراق منها، بل شرد في فتنها المتمثلة في محياها الغزلائي، انتبهت لشروده بها فأصابتها خفقة عنيفة أجبرتها على إخفاض أنظارها خشية أن يقرأ ارتباكها، اتسعت ابتسامته أكثر، إنها رقيقة وخجولة رغم الجراءة التي تدعيها.

انتفض من مكانه فجأةً ليحمل هاتفه مخاطباً إياها: أحضرها وتعال معي. رفرفت بأهدابها وهي تراه يلتف حول الطاولة متسائلة باستغراب: إلى أين؟ وقف أمامها وهو حقاً لا يعي سرّ ما يفعل، فأجاب بتلاعب: أنا جائع، وأريد تناول الطعام.

لم تظن إلى مقصده فتحدثت بعفوية: حسناً وماذا سأفعل أنا؟؟ بإمكانك الاطلاع على الأوراق وبعد عودتك تبلغني برأيك؟

قهقهه بمشاغبة لظرافتها، فشردت هي في ضحكته الرنانة، لطالما كانت تعشقها ولا زالت، تنهدت بحسرة لتخفض رأسها وهي تعلم أنه رغم ما فعله بها، ما يزال قابلاً هناك، في فؤادها، وهذا ما يزيد جلدتها لذاتها.

(آهٍ فقط، لو أننا نتحكم في تلك العضلة المتفردة العاصية، لكان كل شيء بخير)

ما الذي حدث عفراء؟

لا تعلم حقاً كيف طاوعته وحضرت معه إلى المطعم المقابل للمجلة، جلست حيث أشار لها، على طاولة قريبة من الواجهة الزجاجية، وضعت الأوراق لتجلس وعقلها لا يكف عن جلدتها على فعلتها، والتي رآها عقلها ضعفاً.

تحدثت بتردد: سيد ماجد أنا حقاً لستُ جائعة، فأرجوك....

رفع يده في وجهها لتخرس فوراً ويعقب هو: بل أرجوك أنت عفراء، أولاً هذا وقت الغداء وأكد ستكونين جائعة، ثم لا داعي لأن تنادينني بسيد خارج العمل، ناديني ماجد فقط.

أزدردت ريقها بتوتر وهي تحاول الحديث: ولكن...

حدجها بنظرة عين مُصرّة، وترتها نظرتة فأومأت له بالإيجاب بضعف فابتسم بمكر قائلاً: سمعيني إياها.

بابتسامة خجلة همست: حاضر، ماجد.

قابلها بابتسامة جذلى وشعور بالارتياح قد سيطر عليه، لكنه لاحظ أنه أربكها فحوّل عينيه عنها صوب الشاشة الكبيرة المعلقة في منتصف المطعم، والتي كانت تعرض إعلاناً عن مسلسل أجنبي مشهور، حرّك رأسه

للجانبيين باستخفاف فيما يخفض أنظاره متمماً بصوتٍ مسموع: يا للعقول
الفارغة!!

استغربت مقاله، فرفعت رأسها إليه بجبين مقطب: ما الذي تقصده؟؟
أشار خلفها بلا مبالاة: أتحث عن هذا المسلسل الذي شغل عقول الجميع
هذه الأيام.

التفتت خلفها لترى الإعلان فلم تعرف المسلسل، أعادت نظرها إليه
بتساؤل: وعَمَّا إذاً يتحدث هذا المسلسل؟

ثنى حاجبيه باستنكار طفيف: أحقاً لم تتابعيه؟
أشارت له بالنفي فزادت دهشته مردفاً: أيعقل؟ أكاد أجزم أن لا فتاة ولا
شاب في هذه البلد لم يتابعه، فكيف لم تشاهده أنت؟

ابتسمت بخفة قائلة: لا أعلم حقاً، ربما لأنني لا أجد وقتاً، المهم ما قصته؟
ابتسامتها معدية، فانتقلت إليه، لكن وجهه تجهم ليخبرها بغصة لم
تفهمها: إنه يتحدث عن شابٍ ما اعتدى على فتاة يجبها تحت تأثير المخدر.

شحب وجهها تزامناً مع كلماته ومعناها، حاولت تركيز أنفاسها التي بدأت
تتسارع، خشيت أن تنفلت أعصابها منها، فكورت قبضتها اليمنى
وأخفضتها تحت الطاولة لتعصرها بقوة، محاولة التنفس بهدوء وروية كما
علمها طبيبها، وأهدابها ترمش بسرعة، لم ينتبه إلى ما أصابها فأضاف:
اضطرت الفتاة للزواج به حفظاً لشرف عائلتها وتجنباً للفضيحة، بعدها بدأ
الشاب بمحاولة التقرب منها للتكفير عن خطئه علّها تسامحه.

أخفضت أنظارها لتجزّ على أسنانها بقسوة، مغالبةً دموعاً تشكّلت على جانب عينيها، لاحظ ماجد تبدل تعابيرها فتساءل باستغراب: ما بك عفراء؟ اغتصبت ابتسامة فاترة على محياها، لترفع رأسها إليه مجيبة بنبرة حاولت جعلها طبيعية: لا شي، أنا فقط أعتقد أنه من السخف أن يأمل الشاب بالمساحة.

زادت العقدة بين حاجبيه ليتساءل بشك: ماذا تقصدين؟؟ اختفت ابتسامتها الصغيرة، كتفت يديها على الطاولة أمامها، واقتربت بجسدها نحوه قليلاً، وبجراحة لا تعرف مصدرها، قالت بصوت عميق وهي تحدّق بعمق عينيهِ الخضراء: لا أعتقد أنّ المرأة المُغتصبة قد تسامح من آذاها وكسرها.

رفع حاجبيه بدهشة لتردف: أتعلم لماذا؟؟ حرك رأسه للجانبين دون حديث، فأضافت بهمس خافت مُشددة على كل حرف: لأنه ببساطة، ما كُسرَ لا يلتئم، ومن مات لا يُبعث من جديد. لاحظ ألماً حقيقياً في نبرتها، ودموعاً تشكّلت داخل عينيها فسألها بتفريس: تنكمين كأنك عايشة هذا الموقف حقيقة؟؟ انتبهت لنفسها فرسمت ابتسامتها المُدعية وهو تعود بجسدها للخلف، قائلة بنبرة مهتزة رغم محاولة ثباتها: لا طبعاً، لكنني قرأت عن الكثير من هذا النوع، وأيضاً عايشت البعض منها.

خرجت جملتها الأخيرة منها سهوًا، فعاد ليسألها مجددًا لم أفهم؟ ما قصدك؟؟

تنفست بعمق وتسيطر على توترها بعد جملتها تلك، متممة كاذبةً صادقة في آن: لقد كانت لدي صديقة متزوجة منذ أربع أعوام تقريبًا، اختلفت مع زوجها في أمر ما، فضربها وتركها وحيدة، وعندما جُنّ الليل أتاها، ليطلب منها حقه الشرعي.

طالعها بنظرات غير مفهومة، فيما تابعت هي بفراغ ولم تزل عيناها مثبتة داخل مآقيه: عندما رفضت انقضّ عليها كالوحش الكاسر، حاولت مقاومته فكثّف يديها إلى السرير، حاولت الصراخ فكَمّ فمها و...

ابتلعت غصة شقت صدرها لحدثها قبل أن تردف: واغتصبها بوحشية. نفرت دمعًا لم تشعر بها على خدها، رفر ف بعينه دون أن يحيد بنظراته عنها، يكاد يقسم أنها عايشة مثل تلك اللحظة مثله تمامًا! خاصة وهو يرى شلالات دموعها متلاحقة على وجنتيها، استمع إليها لتتابع بنبرة هادئة، لكنها متألمة حدّ الهلاك: لم يأبه بتوسلاتها وصراخها، اعتدى عليها ثم تركها كما هي، منبوذة، مقهورة حتى الصباح، ثم بدأ يومه كأن شيئًا لم يكن.

تساءل بجمود مفتعل وهو يتأمل ملامحها المتألّمة: ألم يعتذر منها؟ أو على الأقل يحاول إصلاح ما فعل؟

ابتسامه ساخرة اقتحمت تقاسيمها قائلة بحركة طفيفة: لا، لم يعتذر بل على العكس، كان يحملها اللوم قائلاً: أنها من دفعه لفعل هذا. ألمته نبرتها كأنها تتحدث عنه هو، فسأل مجدداً بهدوء مختلف: وماذا حدث بعد ذلك؟

وبنبهة غادرتها الحياة، كأنها جثّة بلا روح أجابت: مرت فترة لم تستطع تجاوز الأمر، فلدجأت إلى طبيبة نفسية، لكن الطبيبة لم تتمكن من مساعدتها على تخطي الأمر، لم تَظُل المدة حتى انتحرت. رمشت عينه بتأثر، عقد حاجبيه دون أن يحزر نظراتها، محاولاً السيطرة على رجفته القاتلة، نبرتها المتألّمة اخترقت روحه، ولا يدري لِمَ قفز وجهه نادية أمامه في تلك اللحظة، ربما للشبه الكبير بينها وبين عفراء الجالسة أمامه الآن، تذكر أمر وفاتها، أيعقل أنها فعلت ذلك وقتلت نفسها عمداً؟؟ بينما انتبهت لنفسها أخيراً، تنفست بعمق وهي تسحب أحد المناديل الورقية من العلبة فوق الطاولة، لتعيد ظهرها إلى الخلف لتردف: أنا أعتر، لقد تذكرتُ صديقتي.

ابتسم بخفة هامساً: لا عليك، أنا مسرور لأنني على قدرٍ من الثقة لديك، لتحكي لي عن صديقتك تلك.

ازدردت ريقها بتوتر وهي تلمس عبراتها، كادت أن تكشف نفسها أمامه، فيما أخفض نظراته لثانية قبل أن تتسع ابتسامته مردفاً بصدق: أتمنى أن أستمع إليك دائماً عفراء، فأنا أحب أحاديثك

طالعه بغموض لفترة وجيزة، قابلها بنظرات صادقة واضحة، ابتسمت بلطافة لتردف: حسناً لقد أخذنا الحديث ولم نقرأ شيئاً. أخفضت أنظارها إلى الأوراق وهي لا تكاد تفقه منها حرفاً، فقط أرادت الهرب من تأثير عينيه، قبل أن يكشفها، حضر النادل ليأخذ طلبهما فقال ماجد بتهذيب نبيل: دعيني أطلب لك. لقد أنقذها في الحقيقة، فهي لم تكن في حال يسمح لها بالتركيز في أي شيء.

ركنت سمية سيارتها أمام مبنى المجلة، تراجع تلك المعلومات التي زودها بها الرجل الذي كلفته للاستقصاء عن عفراء، كانت المعلومات عنها قليلة جداً وشحيحة، فتاةً يتيمة خرجت من إحدى دور رعاية الأيتام، تعيش وحيدةً في منزلٍ مُستأجر، لا أقارب ولا معارف، وحتى بلا أصدقاء، غريبٌ أمر هذه الفتاة!

طرقت بأصبعيها على المقود، خطر لها أن تتودد إلى عفراء وتصادقها، لتكشف نواياها إن كانت تخطط لجذب انتباه ماجد أم لا. ترجلت من السيارة، وفيما هي ترتب ثيابها الضيقة، لاحت منه نظرة ناحية الواجهة الزجاجية للمطعم المقابل للمجلة، فغرت فاهها وهي ترى ماجد جالساً هناك برفقة تلك الحبراء، لم تفكر مرتين وهي تحث خطاها نحوهما، محاولةً بشتى الوسائل ضبط أعصابها.

قدم النادل ليرتب أطباق الطعام على الطاولة، حملت عفراء أوراقها لتفصح مجالاً للأطباق، وقبل أن ينتهي تفاجأ كلاهما بجلوس سمية معهما إلى الطاولة قائلة ببساطة: ياه، لقد وصلت في الوقت المناسب، فأنا جائعة للغاية.

التفت صوب ماجد لتضيف بمكر خبيث: يبدو أن حماي تحبني. لو كانت لنظراته من طاقة لأردتها قتيلة على الفور، فيما شعرت عفراء بغيرة الأخرى منها، كما اجتاحتها رغبة بالتقيؤ لمجرد وجودها بالقرب من سمية، وقفت فجأة لتستأذن بالمغادرة، ليقف هو الآخر قائلاً باستنكار: لكنكِ لم تتناولى طعامك بعد عفراء!

حافظت على ملامح باردة وهي تجيبه برسمية زائدة: لستُ جائعة سيد ماجد.

زفر بضيق، ها قد عادت إلى الرسميات بينهما، وهذا آخر ما يريده الآن، راقبها بحسرة حتى خرجت من المطعم، جلس ليلتفت نحو الأخرى المبتسمة بمكر، نظرات مغلولة شملتها ليجزّ على أسنانه بحنق هاتفاً: ما الذي أتى بكِ إلى هنا سمية؟؟

تبسمت بسخف لتجيب ببراءة مُختلقة لا تليق بها: كما أخبرتك، أنا جائعة. زفر بضيق وهو مدرك لنواياها تمام الإدراك، أمسك بها من ذراعها ليحدثها بحدية من بين أسنانه المتلاحمة: أنا أعرفك جيداً سمية، هناك ما تخططين له، فما هو؟

رغم تألمها من قبضته القوية، إلا أنها أجابت بتحدٍ: أنت أخبرني ما مخططك ماجد؟ ما الذي تفعله مع هذه الفتاة هنا؟ في هذا المطعم وقبالة المجلة؟

علمَ إلّا مَ ترمي، فارتحت يده عن ذراعها العاري عندما لم يجد في جعبته جواباً مقنعاً، كيف يجيبها إن كان هو نفسه لا يعرف؟؟ أدركت من صمته أنها ضربت هدفها وبدقة، وأن هناك مشاعراً وليدة منه ناحية تلك العفراء، وهذا ما لن تسمح بتطوره أكثر.

اكتسبت تعابيره قتامة غليظة، ليقف في اللحظة التالية، أخرج بضع وريقات مالية ليرميها بجانب طبقه الذي لم يمسه، ثم خاطبها بنبرة تحذير لم تخطئها أذنيها: ابتعدي عن عفراء سمية، ميتاً لك.

خرج عقب كلماته تلك، والتي أشعلت مقلتي سمية بحقدٍ غير مسبوق، ابتسمت بشراسة لتهمس لنفسها بتهديد مراقبة دخوله إلى مبنى المجلة: لا سيد ماجد، لستُ أنا من تأخذني لحماً لترميني عظماً، لستُ بهذه السهولة، وسنرى.

تنفست بعمق وهي تعود بذاكرتها قرابة العام، خاصة تلك الليلة التي عرفت بها بقضية ماجد ونادية.

Flash Back

جلست سمية برفقة شقيقها يتابعون التلفاز في الصالة، فيما كانت هي شاردة في أمر ماجد، لقد مَنَّتْ نفسها بالأمس بليلة لا تُنسى بين أحضانه المحرمة، لكنه لم يتصل بها، ولَمَّا تأخر عليها اتصلت به لكنه لم يجب، ترى ما الأمر؟؟ هل حقاً يحب نادية ولن يرتضي بخيانتها؟؟ هيبُ حقدٍ فتك بها ليوغر صدرها ضد نادية الخبيثة، كيف تمكنت من إيقاعه في شباكها اللعينة؟ حقاً لا تدري.

اسمه الذي تردد في التقرير الإخباري انتشلها من تفكيرها الرزيء، صوبت أنظارها إلى شاشة التلفاز لتتابع التقرير حول قضية ماجد، لم يمنعها تأخر الوقت من تبديل ملابسها البيتية بأخرى، لتخرج بأسرع ما يمكنها، متجهةً إلى قصر آل الصايل.

وصلت إلى هناك بعد نصف ساعة كاملة، طلبت من أحد الحراس إيصالها إلى ماجد لكن الحارس رفض، فنشبت مشادة كلامية بينهما، قطعها وصول فاروق إلى القصر هو الآخر، لفت نظره وجود تلك الفتاة في هذا الوقت المتأخر، فتقدم أحد الحراس ناحية فاروق، سأله الأخير فأجاب الحارس بإصرار سمية على مقابلة ماجد، شكَّ في أمرها فأشار إلى الحارس بأن يتبعه مع سمية.

فغرت فاهها بدهشة عارمة، وزاغت أنظارها وهي تتأمل جمال الصالة المزدانة بأفخم التصاميم الهندسية، وقطع الأثاث الفاخرة، والتي لم ترَ مثيلها سوى في الأفلام والمسلسلات الأجنبية، قطع تأملها طرق كعب أنثوي فوق الأرضية الكريستالية ورائحة عطر نفائفة، وجهت أنظارها إلى نازك هانم، فغرت فاهها من جمال السيدة، لطالما كانت ترى صورها تحتل أغلفة المجلات كأجمل وجه في المجتمع المخملي لكنها على الطبيعة أمر آخر، خاصة بمظهرها الشبابي والذي قد يتغلب على سمية نفسها.

كان فاروق يراقب سمية بعيني الصقر، وبسهولة استطاع قراءة طمعها ونفسها الجشعة في نظراتها المتفحصة، وقفت نازك أمامها محافظة على مسافة معقولة، لتتحدث بازدراء: من أنت؟؟
ازدردت سمية ريقها لتجيب بهمس وتقطع: أنا.. أنا سمية صديقة ماجد.

نازك باستهزاء: صديقتي؟؟

تفحصت ملابسها الرثة نسبة إلى ملابسها هي فعلت أي نوع من الأصدقاء هي، فهتفت وهي تسير لتجلس على كرسي بجانب فاروق لتقول بأنفة وترفع: ولدي سليل حسب ونسب، وليس لديه أصدقاء على شاكلتك، فإن كنت تريدين المال تحدثي.

استشعرت نظراتها المزدرية ونبرة الإهانة الواضحة في نبرة حديثها، شعرت بالذل لثانية، قبل أن تقلب الأمر سريعاً في ذهنها، رفعت رأسها بكبرياء وجاهدت لترسم الثقة على وجهها لتخبر كلاهما: لقد كان لديّ موعد مع ماجد بالأمس.

تبادل الأخوين نظرات مستغربة، فيما أضافت سمية بمكر: لكنه لم يأت. لم يكن فاروق بحاجة الكثير ليقراً الخبث في عيني سمية، وعلم بالطبع ما الذي ترمي إليه، حسناً فليعترف، إن وجود شهادة سمية ضد ماجد قد تضره، أما شهادتها لصالحه ستنتهي القضية قبل أن تبدأ حتى، الفتاة فقيرة إذاً قدومها إلى هنا بهدف المساومة تحدث هو هذه المرة: ما الذي تريدينه لتشهدي بنقيض حديثك هذا في المحكمة؟

تبسمت بمكر وقد صدق حدسها، إذاً فقد اعتدى ماجد على نادية حقاً. وهم الآن لا يملكون دليلاً للعكس، حسناً عزيزتي افرضي شروطك، فأنّ الآن هي المسيطرة على اللعبة، كان أول شروطها أن يتم تعيينها في المجلة حتى قبل أن تنهي جامعتها، كذلك طلب بعض المال لن يضر.

خطت عفرأ لعقوبة سمية المثالية، فخرجت من المجلة باكراً بعد إنهاء عملها، توجهت إلى بيتها فاغتسلت، لتعود نادية مجدداً، بشعرها الليل الطويل وعيناها الذهبية، ومحياها الخالي من أي مساحيق تجميل، شهقت نفساً عميقاً، ثم خرجت من منزلها المستأجر، وهي تعرف طريقها جيداً.

وصلت سمية في وقت متأخر إلى شقتها الفاخرة في المبنى الذي تعيش فيه، بعد تركها لمنزل والدتها، ركنت سيارتها في المرآب المغلق، ترجلت منها حاملة حقيبتها ماكدات تلتفت حتى هربت الدماء من وجهها الشبيه بوجه البغاء لكثرة الألوان فيه، شحبت شفيتها لتقلب في لحظة إلى اللون البنفسجي حالما رأت نادية تقف أمامها، تقهقر جسدها للخلف وهي ترفرف بأهدابها، فيما كانت نادية تنظر إليها بنظرات فارغة، مخيفة، تشبه الأموات في برودها.

ارتجافة جليدية سيطرت على سمية عائدةً بجسدها للخلف، بينما تقدمت نادية منها بخطوات بطيئة ذات إيقاع منتظم، كان المرآب فارغاً إلا من سيارة سمية، مما جعل لخطواتها صدىً مخيفاً، بعث الرهبة في قلب سمية، نهج صدرها وهبط فزعاً، وشعرت بجفاف ريقها كمن يمشي في صحراء جرداء، ارتعشت شفيتها بهلع عندما وقفت نادية أمامها مباشرة، يفصلهما ثلاث خطوات فقط.

كالمسحورة، ثبتت عينيها على مقلتي نادية، اللتان استحالتا عتمة خالصة بكراهية، لم تنبس ببنت شفة، لكن وجهها فقط كان كفيلاً بجعل سمية تشعر بقلبها قد يقف بين ثانية وأخرى، طال هذا اللقاء ثلاث دقائق تقريباً، لكنها كانت أشق على سمية من سنوات، حتى أنقذتها أخيراً الدوامة السوداء التي سحبتها من فرط الخوف والتوتر، وآخر ما رأيته كان وجه نادية الغاضب.

كان جهاد في سيارة الأجرة، عندما تفحص حقيبته الجلدية، ليدرك نسيانه للملف الذي أحضره معه بالأمس لمراجعته، بأمر من جميل نفسه، والمشكلة أن الملف يجب أن يكون حاضراً في اجتماع اليوم، زفر بضيق ليخبر السائق بأن يعود أدراجه إلى منزله، لم يرغب بمحادثة والدته لاعتقاده بأنها قد خرجت إلى محلها.

قررت ميساء أن تأخذ اليوم إجازة، فلديها الكثير من أعمال التنظيف لذا لم تفتح محلها اليوم.

دلفت إلى غرفة ابنها، حاملة في يدها وعاء بلاستيكيّاً فيه بعض المياه والصابون، وبعض الخرق البالية للتنظيف، رتبت السرير ومسحت أطرافه الخشبية، ثم اتجهت إلى الطاولة التي تعج بالأوراق المتناثرة، وفيما هي ترتب الملفات فوق بعضها، سقطت بعض الأوراق من ملف أصفر اللون، تأففت وهي تجثو لتلملم الأوراق وتلوم نفسها، تبيست حركتها فجأة، عندما وقعت عيناها على آخر اسم قد يأتي بذهنها يوماً.

وصل جهاد إلى المنزل، ليفتحه بمفتاحه الخاص مسرعاً، لا يريد التأخر عن الشركة، ميز أنفه رائحة صابون الأرضية فعرف أن والدته ماتزال هنا، صاح يناديها فيما هو متجه إلى غرفته، ليتفاجأ بها جالسة على الأرض أمام طاولته الخشبية، تمسك في يدها ورقة ما، ميز شعار الشركة التي يعمل فيها على ظهرها، ثنى حاجبيه بريية لحالها الشارد هتف يناديها مجدداً لترفع

عينها إليه، وشحوب وجهها بدا كمن رأى شبحاً للتوّ، رفعت الورقة نصب
عينيه لتهمس بفمٍ جاف: ما علاقتك بهذا الرجل؟
زادت عقدة حاجبيه ليقرب منها متسائلاً بشك: أي رجل تقصدين أمي؟؟
بشفاه مرتجفة وصوت مبحوح أجابته برعشة: جميل زاهي، من أين تعرفه؟؟
عينها التي تكاد تمطر لم تطمئنه البتة، تفرس في وجهها محبباً بحذر: إنه
مدير الشركة التي أعمل فيها.

شهقت بهلع مع دمعة نفرت من عسليتها، مما جعل جهاد يستريب في
أمرها أكثر، خاصة عندما ضربت على صدرها عدة مرات هاتفةً بجزع: يا
ويلي، أرجوك يا بني قل غير هذا الكلام؟؟

تساءل بحدة خفيفة فيما هو يقترب منها: ما الأمر أمي؟ أخبريني كيف
تعرفين هذا الرجل؟؟

ضربت على رأسها بكلتا يديها، واهتزّ جسدها للأمام والخلف تتمتم
بكلمات لم يميّزها جهاد، شعر بنفسه كالأصمّ في حفل زفاف وأن أعصابه
على وشك الانفلات، انحنى صوبها ليقبض على ذراعيها صائحاً بها بغلظة،
لأول مرة في حياته: لماذا كل هذا الندب والنواح أمي؟ تحدّثي؟
ركزت عينها على وجه ابنها الغاضب، ارتجفت شفّتها وقد أيقنت، أن
ساعة الحقيقة قد أذفت.

جالسٌ في مكتبه منذ بداية الدوام، شاردٌ في شاشة حاسوبه يراقب حديثها مع إحدى الصحفيات العاملات في قسم الترفيه الذي ترأسته عفراء حديثاً كانت الفتاة تعلمها كيفية استخدام الحاسوب، وهذه ليست المرة الأولى لها، فعلى ما يبدو أنها ضعيفة في استخدام أجهزة الحاسوب المتطورة.

يعرفها منذ أسبوع واحد فقط، لكن فيها شيءٌ مميز، هناك ما يجذبها إليها دون أدنى مقاومة منه، وليس فقط لشبهها بنادية، لكن ما هو؟

يكاد يجزم أنها ساحرة مشعوذة، كيف لها أن تشغل باله وتؤرق ليله دون أي جهد يذكر؟ إحساس غريب يستشعره للمرة الأولى، لا يشبه مشاعره ناحية نادية؛ فإحساسه ناحية الأخيرة يشوبه الندم، أما عفراء فلا يعرف، لكن ساكن يساره ينتفض مع أقل حركة منها، حتى عندما تحرك خصلات شعرها المهفاهف الذهبي، بسيطةً متحفظة في كل شيء، حتى في ابتسامتها، يشعر كمن يعرفها منذ دهر، لكن، ومع كل هذا هناك نقطة معتمة، عيناها، لا يستطيع قراءتها أبداً.

هاتف مكتبه قاطع خواطره عنها، أخبرته السيدة رجاء بحضور شقيقته بيسان، أمرها بأن توجه بيسان إلى غرفة الاجتماعات ريثما ينضم إليها قريباً، عاد بأنظاره إلى ساحرته، ليلاحظ خروجها مع الفتاة التي كانت برفقتها.

عادت عفراء إلى مكتبها بعد تغيبها لدقائق، لتجد الباب مغلقاً، قطبت جبينها باستغراب فهي متأكدة من أنها تركته مفتوحاً، لم يكلفها الأمر سوى ثوان حتى انفرج ثغرها عن ابتسامة متهكمة، بالطبع ومن غيره؟

رسمت ملاحظها الواثقة، شهقت نفساً عميقاً زفرته ببطء، ثم أدارت المقبض لتدخل، وقد صدق حدسها تماماً، كان ماجد جالساً أمامها على كرسي منفرد أمام طاولتها، ادّعت المفاجأة لتهتف: سيد ماجد؟

طالعها بغموض لثوان، ثم وقف مقابلها بطوله الفارع وتعابير وجهه غير مقروءة، دقق النظر إليها بغرابة جعلتها تستريب في أمره، ازدردت ريقها بفرع، وألف خاطر وخاطر دار في خلدتها، هل اكتشف أمرها يا ترى؟ لكن كيف؟ لقد تولى عماد أمر أوراقها الرسمية ببراعة، ولن يستطيع أياً كان كشف زيفها، إذاً ما القصة؟

مرّت ثوان شعرت بأن خافقها سيتوقف عن النبض، هدوءه لا يُطمئن البتة، أخفضت نظرها بعيداً عن تأثير عينيه عليها، تباً له، ما تزال مقلته تؤثران فيها كما السابق رغماً عنها، هتف بها بجمود وصوت عميق أجفلها: ارفعي عينيك.

رفعت رأسها مجدداً وقد بان القلق عليها، رغم هذا تحدثت بثبات أجادته: هل هناك خطأ ما سيد ماجد؟

ضيّق عينيه ليخاطبها بغموض: لم لا أستطيع قراءة عينيك؟

لوهلة رفعت حاجبيها بتفكير مستغرب، ولم تفهم مغزى حديثه إلا عندما أردف: أشعر أن هناك حاجزاً غير مرئي بيننا، لماذا عفرأ؟؟

تنفست ببعض الراحة، لكن حديثه غريب فعقبت تسأله بهدوء مفتعل: وبماذا يهملك قراءة عيني؟؟

دون أن يحيد بنظراته عنها أجابها بصدق تحسسته في نبرته: أحتاج لأن أشعر بالأمان.

ازدردت ريقها بوجل ولم تفهم بعد مغزى حديثه، لتردف بفم ناشف: ما الأمر سيد ماجد؟ هل أخطأت في شيء؟؟

حرك رأسه بالإيجاب بشرود جعلها تتمنى زوالها حالاً، قبل أن ينطق: إنك تسحبيني نحوك جبراً دون إرادة مني.

شحب وجهها وقد عمل عقلها على تفسير حديثه، هل وقع في غرامها من أسبوع واحد؟ أيعقل؟ حسناً فلتعترف، لم تخطط أبداً لإيقاعه في حبها، لكن على ما يبدو أن القدر يلعب مجدداً، مع كليهما.

خفق قلبها بمزيج من الهلع والخوف و...السعادة؟؟ أليس غريباً أن تكون سعيدة لأن ماجد يحبها؟؟ أتها الإجابة جلية دون محاولة تزييف: لا ليس غريباً، فخافقها الأحمق الأهوج لا يزال يعاندها، وما زال معلقاً بجبال ذاك المخادع.

إحساس بالإهانة استشرعته عندما تدخل عقلها في الحوار، مستحضراً خداعه لها من قبل، تلقائياً شعرت بالدموع تغرق مقلتيها، لكنها حاولت التنفس بعمق قبل أن تنهار، ليس الآن وليس هنا.

تنهد بتعب ليخبرها: هناك اجتماع بانتظارنا، تعالي معي. لم تزل تلملم شظايا نفسها فجاهدت لتخرج صوتها قوياً دون تأثر: اجتماع ماذا؟

تحرك من أمامها دون إجابة، أغمضت عينيها زافرة بضيق سيبقى متكبراً، لم تجد بُدّاً من اللحاق به، والصراع ما بين المتضادين المتكاملين لما يزل محتداً، وهي المسكينة بينهما تائهة.

جلست بيسان تنتظر شقيقها في غرفة الاجتماعات، لم تزل تفكر في سبب طلب ماجد منها أن تأتي إلى المجلة، لاحظت وجود حاسوب محمول على الطاولة، ظنت بداية أن الحاسوب معطل، لكنها تعلم أنهم يملكون في المجلة أفضل الاختصاصيين في مجال الحواسيب، إذاً ما الداعي لحضورها هي؟

قاطع تفكيرها فتح الباب، ليظهر ماجد بوجه واجم، ومن خلفه بدرٌ ليلة اكتماله، ابتسمت رغماً عنها لرؤية تلك الفتاة والتي بادلتها بابتسامة صغيرة، جلس ماجد على رأس الطاولة، مشيراً إلى بيسان قائلاً بمجود:

عفراء هذه شقيقتي الصغرى بيسان، تدرس في كلية علوم الحاسبات، وستعلمك كيفية استخدام الحاسوب.

قطبت كلتا الفتاتين جبينهما بتفكير، لم تفهما ما قاله إلا بعد مرور بعض الوقت، تبادلتا بعض النظرات المتفاجئة لتكون عفراء أول من يحادثه، بمزيج من التوتر واللوم: لم يكن هناك من داعٍ لتزعج الأنسة بيسان سيد ماجد، فأنا....

قطعت حديثها عندما رفع يده في وجهها، ليقول بنبرة جادة: بل هناك أكثر من داعٍ آنسة عفراء، أن تعلمك شقيقتي أفضل من أن تُلهي زميلتك عن عملها.

عرفت إلآم يرمي بالطبع، خلاف بيسان التي تفاجأت من طلب شقيقتها، شعرت عفراء بالإهانة من تلميحه وظنت أنها فهمت ما يريد، هو فقط يريد إهانتها، البلهاء لم تفهم أنه فعلها قصداً، يريد أن يراها جالسةً أمامه حقيقة بدلاً من التطلع إليها عبر شاشة لعينة.

شعرت بيسان بتوتر الوضع بينهما، فحدثت عفراء بلطافة: لا مشكلة آنسة عفراء، سأكون سعيدة في مساعدتك على التعامل مع الحاسوب، تفضلي. لم تستطع عفراء أن ترفض، نظرت إلى ماجد بغيظ أعجبه، فابتسم لها ببلاهة ليزيد لهيبها، يكاد يسمع صراخ أسنانها من فرط ضغطها عليهن، دبّت الأرض كالأطفال لتجلس إلى جانب بيسان، التي فتحت الحاسوب المحمول أمامها، سرعان ما غاصت كلتاها في تفاصيل الدرس الأول،

استشعرت عفراء من خلاله ذكاء بيسان الواضح غافلة، أو أنها متغافلة
قصداً، عن خضراوين تتفحصانها بمشاعر لم يستطع بعد أن يجد لها مسمى.

سقط جهاد على الكرسي خلفه، وعيناه مفتوحتان على وسعهما، بعدما
أخبرته والدته بحقيقة جميل وقربته له، لا يدري حقاً حقيقة مشاعره في
هذه اللحظة، رمش عدة مرات قبل أن يسمع سؤال والدته النائحة أمامه:
جهاد، أرجوك حدّثني يابني، أنت تصدقني أليس كذلك؟؟

بدا حديثها استجداءً عنه سؤالاً، طالعتها بنظرات فارغة قبل أن يقول
بهدوء مخيف: لماذا لم تخبريني من قبل؟؟

ازدردت ريقها بوجل ولم تجد الإجابة المناسبة، طالعته بشفقة فيما انفجر
هو: أتعلمين ما الذي فعلته بي أمي؟

ارتجفت شفيتها تحاول الحديث من بين دموعها: صدقي أنا كنتُ أحاول
حمايتك جهاد، كنتُ أخشى أن تحمل في قلبك ضغينة تنغص عليك
حياتك.

حرك جهاد رأسه للجانبين بإنكار، ليهمس بخذلان قاتل وعيناه تُنذر
بأمطار قادمة: لا أمي، أنت لا تدركين حقاً ما فعلته بي.

ارتجفت شفته السفلى مضيفاً بنبرة مزقت نياط قلبه هو: لقد أحببتُ ابنته
أمي، عشقتُ أختي.

انتفض عقبها ليحث خطاه مسرعاً إلى الخارج، انتفض قلب ميساء بين ضلوعها هلعاً، استقامت من مكانها لتلحق به صارخة بتوسل: جهاد، انتظر أرجوك، لا تخرج بني أتوسل إليك....

فتح جهاد باب المنزل، نزل على الدرج بخطوات راكضة ليُفاجأ بوجود سائق سيارة الأجرة الذي نسي أمره، آتياً للبحث عنه، وقف الرجل عندما رأى جهاد ينزل عن الدرج ليرفع الحقيبة والهاتف في وجهه قائلاً بشيءٍ من الضيق: لقد نسيت حقيبتك وهاتفك يا أستاذ وقد تعطلت بما فيه الكفاية.....

لم يستمع جهاد إلى باقي حديثه، تركه حيث هو دون أن يأخذ أغراضه منه تابع مسيره المُستعجل ليضرب كتفه بكتف السائق، سمع صراخ والدته من خلفه لكنه لم يلتفت، كان يحاول الابتعاد، أو الهرب بمعنى أدق قبل أن تنفجر شلالاته.

التفت السائق إلى تلك السيدة التي نزلت خلف جهاد، بملابسها المنزلية وهيئتها الباكية، سقطت على الدرجة الأخيرة وهي تصرخ بابتهاج برجاء قلبٍ مفطور: جهاد، أرجوك اسمعني فقط، لقد كنتُ أحاول حمايتك.

لم يعرف السائق ما حقيقة المشكلة بينهما، لكنه تأمل ميساء التي انفجرت ببكاء مرير، ضاربةً رأسها على سياج الدرج الحديدي، فتيقن أن الأمر بينهما أكبر من مجرد مشكلة عائلية، وضع حقيبة جهاد وهاتفه بجانبها،

رمقها بنظرة شفقة قبل أن يستدير عائداً إلى سيارته ومصدر رزقه، ليتمتم في نفسه: البيوت أسرار.

تكاد تجزم أنها مُسّت بمسّ ما، كلما تذكرت ما رآته في الأمس، حضنت سمية رأسها بين يديها وقد بأن على وجهها الشحوب والتعب، تحاول إقناع نفسها بأن ما رآته ليس سوى خيالاً، فنادية قد ماتت وانتهى أمرها، لن تعود إلى الحياة فجأة، جسدها يصرخ ألماً بعد قضائها متمددة على أرضية المرآب لساعات طويلة، دون أن يراها أو يتفقدوها أحدهم، دلّكت جبينها بتعب قبل أن تُخرج مرآة صغيرة تحتفظ بها في حقيبتها، نفخت بضيق ناظرة إلى تلك الهالات السوداء تحت عينيها، ووجهها المُتعب بسبب قلة نومها أمس، الأصح أن يقال عدم نومها نهائياً.

رمت المرأة من يدها بحق، نفخت بانزعاج قبل أن تخطر على بالها فكرة شيطانية، لما لا تحول تخيلاتنا تلك إلى ملحمةٍ درامية تستثير بها مشاعر ماجد المكدومة نحوها؟ ابتسمت بمكر ولم لا، ستخبره أنها لا تنفك تحلم بنادية وأنها باتت تخشى انتقامها، كما أصبحت تخاف أن تنام وحدها ليلاً. لم تتأخر عن تنفيذ تلك الفكرة، حملت المرأة مجدداً تصنعت ملامح البؤس والشقاء لتتأكد من انطلاء الخدعة على ماجد، ثم تحركت خارجة من فورها.

لقد قضت قرابة الساعة والنصف في هذا الدرس، لم تشعر عفراء بالملل للحظة واحدة مع طريقة بيسان السلسة في التعليم، والتي تختلف عن طريقة شقيقها المتعجرف، وعلى ذكر المتعجرف، فقد قضى المدة كلها شاردًا فيها، مما سبب لها بعض الارتباك أجادت إخفاءه.

زفرت بيسان براحة لتغلق الحاسوب مخاطبة عفراء: حسنًا لقد انتهى درسنا الأول، أتمنى أنني لم أشعرك بالملل؟؟

ابتسمت الأخرى ببساطة تجيئها بصدق: أسلوبك بسيط رقيق يشبهك تمامًا.

بادلتها بابتسامة صغيرة لتخبرها: شكرًا لك عفراء، سعيدةً بأنني تعرفت إليك.

أومأت لها عفراء وفي ذهنها سؤال لم تمنع نفسها من سؤالها إياه، متناسيةً تلك العيون الحادة التي تراقبهما: حقيقةً لديّ فضولٌ، لماذا لم تدخل مجال الصحافة والإعلام أيضاً؟

تجهم وجه بيسان متنهدةً بحزن، وقبل أن تجيب كان ماجد الأسبق في إجابته الساخرة: كما أنّ لكل مقام مقال، فلكل مهنة أهل عفراء، الصحافة عالمٌ جادٌ، وليست مشاعاً للجميع.

كان حديثه صادمًا لعفراء، مخيباً لآمال بيسان وجارحاً لكبريائها، تلاًأت عيناها بالدموع لتحاول الانسحاب من الغرفة مللملةً ما تبقى من كرامتها، مشت ناحية الباب لكنها وقفت في منتصف الطريق، لتستدير

صوب شقيقها وتقول ما كانت تعجز عن قوله دائماً، تحدثت بجرقة وقد حررت أدمعها: لقد كانت الصحافة حلمي الدائم الذي لم ينفك يرافقني ماجد، لكنك لن تفهم هذا أبداً يا.. يا شقيقي العزيز

كانت جملةتها الأخيرة تهكمية ساخرة أزعجته، قطب جبينه بضيق عندما سمع حديثها ورأى بكاءها، ليعرف لتوه أنه قد آلمها بسخريته، شعر بالاستياء من نفسه وكم ودّ لو أنه يجري خلفها ويضمها بين أضلعه باعتذار، لكنه لم يستشعر هذه المشاعر يوماً، دائماً ما كانت مشاعر الأخوة مفقودة في قصرهم، حالها حال مشاعر كثيرة كان الحب أبرزها.

صدمها بروده مع شقيقته حقاً، شعرت بالشفقة على بيسان فهي رقيقة لا تستحق الجفاء أبداً، تذكرت معاملة جهاد لها رغم أنه ليس شقيقها حقاً لكنه دائماً ما كان سندها، دائم الثقة بها حتى في أحلك أوقاتها ولم يخل عليها بالنصح يوماً، شتان ما بينهما، تطلعت إلى وجهه لتعلم أن كلمات بيسان قد مسّت حجر صدره، شعرت بالاستياء نحوه هو الآخر، مسكين ماجد، ربما لا تعرف الكثير عن حياته مع عائلته، لكنها واثقة أنه لم يشعر بالحب الحقيقي من أحدهم يوماً.

شعرت بأن وجودها لا طائل منه، وقفت لتخرج فأتاها صوته ضعيفاً: ابقى عفراء.

قطبت جبينها بعدم فهم، فاستدارت لتجده مازال على جلسته يعاين سراب بيسان المغادر، رمشت عدة مرات فلم يتحرك، فظنت أنها توهمت جملته الأخيرة، همّت بالمسير ليتحدث مجدداً بوهن: ابقى معي أرجوك.

لم تخطئ أذن نبرة الرجاء في حديثه، لتجد نفسها تستسلم فوراً جالسة فوق مقعدها ذاته من جديد، ضغطت على شفتيها بقوة تمنع نفسها من الحديث، ولا يدري ماجد السبب لكنه فقط احتاج لوجودها بقربه في لحظة جلده لذاته، رغم أنه دوماً ما كان يُفضل البقاء وحيداً، لاحظ بزاوية عينه ضغطها على شفتيها فبدت كمن يوّد قول أمر ما لكنها خائفة، ولا يريد أن تشعر هكذا بوجوده، التفت صوبها قائلاً بصبر نافذ: ما الأمر؟ رفعت رأسها إليه محببة بخفوت خَجَل: لا شيء.

عادت لتخفض نظرها من جديد تحارب لإبقاء الكلمات أسيرة شفتيها، أيقن أنها تريد إخباره بشيء ما، جاهد لإبقاء ملامحه الحازمة، لكنه فشل ليقول لها ببسمة خافتة: لا تستطيعين البقاء صامتة، أليس كذلك؟؟

فلتت منها ضحكة صغيرة مشيرةً له بالنفي، استدار نحوها بجسده وجوارحه معقباً: هيا تحدثي، أنا أستمع.

ضغطت على شفتيها بقوة وهي حقاً لا تعرف لماذا ستفعل القادم، لكنها قالت على أية حال بلهجة تأنيب خفيفة: ما فعلته مع بيسان لا يجوز أبداً، لا تنس أنها شقيقتك.

زفر بضيق من نفسه فعادت إلى صمتها، نظر إليها بتمعن ليحرك رأسه للجانبين قائلاً بابتسامة مُتسلية: يا إلهي عفراء، لا يمكنك البقاء دون حديث!؟

شعور مختلط بالسعادة والحزن شملها، إنه يفهمها حتى دون أن تتحدث، لكنها تخاف من العواقب، خاصة وأن قلبها خائن عميل، رغم هذا لم تستطع منع ابتسامتها لتجيبه: الحقيقة لا، وأريد أن أحكي لك حكاية قصيرة.

رمقها بنظرة لم يفهمها ليردف: خرافة أم أسطورة؟؟
_ لا هذه ولا هذه، إنها حكاية حقيقية.

فاجأته إجابتها لتضيف بهدوء وحنكة: الحكاية تتحدث عن الحجاج، تعرفه صحيح؟

أشار لها بالإيجاب محاولاً معرفة إلى أين ستصل بحديثها، لكنه ما يزال يشعر بالحاجز غير المرئي بينهما، لتتابع عفراء: في عهده أُلقي القبض على رجلين وصبي صغير، حُكم على الثلاثة بالقتل، ولما اجتمع الناس لتنفيذ الحكم، سمع الحجاج صوت امرأة تبكي، ثم عرف أن الرجل الأول يكون شقيقها، والثاني زوجها، أما الطفل فقد كان ابنها الوحيد.

استمع لها بكل حواسه، وما تزال تلك الهالة التي تحاوطها تزداد بريقاً، وتسحبه قسراً عن كل ماحوله ليبقى صوتها فقط من يسمعه، فيما أكملت

حكايتهما: أخبرها الحجاج بأنه سيعفو لها عن واحد منهم فقط، شرط أن تنتقيه هي...

رفع حاجبيه بدهشة لتردف وتسأله: أتعلم اختارت من؟؟
 رفر ف بعينه منتظراً أن تُكمل فأضافت: لقد اختارت أخيها.
 رغم أنه قد سمع هذه القصة من قبل، لكن طريقتها جعلته يشعر بنقيض ذلك، علم تقريباً إلى أين تريد الوصول بحكايتهما، لكنه لم يقاطعها ليتركها تتابع: استغرب الحجاج اختيارها فسألها مستوضحاً، فأجابته بهدوء وثقة أن الزوج موجود، والولد مولود، أما الأخ فهو مفقود.

كتفت يديها على الطاولة أمامها مضيئة بنبرة ذات مغزى: الأخ لا يعوز أبداً سيد ماجد، بيسان تحتاج إليك، أستطيع أن أرى حجم الفجوة ما بينكما، وهذا لا يجب أن يكون بين الإخوة.

قلب حديثها في عقله ليجدها محقة، لكنه لن يكون ماجد لو اعترف، تنهد مجيباً: المشكلة عفرء، أن بيسان تظن أنها موهوبة في مجال الصحافة، فقط لأنها تهوى كتابة المقالات.

تبسمت ببساطة معقبة: أتعلم أن لدى بيسان مدونة على الشبكة العنكبوتية تكتب فيها مقالات تحمل توقيعها؟؟

حسنأ يعترف لم يكن يعلم، لكن ما أضافته تالياً فاجأه، بل لنقل صدمه: وفيها قرابة العشر آلاف متابع وقارئ؟؟

شبكت يديها من جديد لتضيف: جميع المواهب تبدأ بالهواية، صحيح؟

رفرف بعينه يناظرها بصدمة جليلة، الرقم ليس هيئاً، إذاً فشقيقته تملك
الموهبة للكتابة فعلاً، قرأت المفاجأة واضحة على محياه، إذاً قد صدق حدسها
والبعد ما بين الأخوين أكبر مما تظن، أخفضت نظرها إلى الحاسوب لتلتهى
به، بعيداً عن سحر تلك الغابات التي لا تنفك تأسرها، سمعت صوته تالياً:
شكراً عفراء.

رفعت رأسها إليه باستغراب، لتجده يبتسم باتساع معقّباً: شكراً لأنك لم
تتركيني وحيداً.

وهل كانت لتستطيع رفض رجائه؟ بادلته ببسمة لطيفة، وقبل أن تتحدث
كان الباب يُفتح على مصراعيه فجأة، تطلع كلاهما إلى سمية التي نظرت إلى
عفراء بغلّ خالص، ثم التفتت إلى ماجد ليتحول وجهها في لحظة إلى البؤس
والاستياء، وبلا سابق إنذار كانت تركض نحوه لترتمي في أحضانه، ثم تنفجر
ببكاء مصطنع استشعرته الأولى، كذلك استشعرت إحساساً مزعجاً لوجود
سمية هكذا بين أحضانه، والأنكى من هذا أن ذاك الأبله لم يردعها، ها
هو عقل الإجرام قد بدأ يدق نواقيس الخطر داخل رأسها، وتحشى فعلاً أن
ترتكب جريمة بأحدهما قبل أن تشفي غليلها، فانسحبت خارجةً.

كان ماجد تحت تأثير الصدمة، قلّما رأى سمية في هذه الحالة مما أخافه
بدايةً، وانشل جسده مع ضمها المفاجئ، لاحظ عفراء تتأهب للخروج
فانتفض جسده يريد أن يناديها، لكن تشبث سمية به وبكاؤها الذي

تعالى منعه، تأفف ليبقى ضاماً إياها على مضض، بينما يراقب عفراء وقد كانت خطواتها عصبية غاضبة.

لم يشعر بحلول الظلام حتى لفحته نسمة هواء باردة، ارتعش جسده برداً لكن لهيبه لم ينقص، بل كان يزيد شراسة كلما ترددت كلمات ميساء في ذهنه، لم يتألم كثيراً بمعرفته لهوية والده الحقيقية، قدر ما أوجعته حقيقة أنه عشق شقيقته، بيلاً شقيقته!

كانت أحلامه دوماً تدور عنها وحول فلکها، سمح لنفسه بأن يهيم بها بل ويزوب في هواها، لكن حديث والدته صَهْرُهُ حرفياً، يعلم أن الأقدار مكتوبة من قبل أن تُخلق حتى، لكنه يعلم أيضاً أنه لن يحصل على بيلاً أبداً، لا كحبيبة ولا زوجة، ولا حتى كشقيقة، هذه الدنيا لم تكن عادلة يوماً جهاد، فكيف ظننت أنها ستبدل مبدأها لأجلك أنت؟

زفر باختناق ليقرر أخيراً الذهاب إلى عفراء، لبيات هذه الليلة في منزلها، فعماد ليس متواجداً في البلاد على أية حال، بعد سفره إلى والدته في الخارج. هلعت عندما سمعت رنين جرس الباب، من الذي قد يأتي الآن؟؟ عماد مسافر وجهاد لن يأتي قبل أن يتصل بها، لكن الرنين عاد مجدداً، فاتجهت إلى المطبخ لتأخذ سكيناً كبيرة تحمي نفسها بها، ثم سارت نحو الباب بخطوات حَذِرة، وقفت خلفه لتهمس بصوت يكاد يكون مسموعاً: من بالباب؟

أرهفت السمع بتمعن، وألف فكرة وفكره تنهش بعقلها، زفرت براحة عندما أتاها صوت جهاد هامساً: هذا أنا نادية، افتحي الباب.

حررت أقفال الباب الثلاثة لتدخله، لاحظت شحوب وجهه وبان التعب والإرهاق واضحان عليه، أعادت إقفال الباب لتسير خلفه متسائلة بقلق: ما الأمر جهاد؟ ما بك؟

استدار نحوها ليدلك جبينه بتعب، رمى نفسه على الأريكة خلفه قائلاً بتنهيدة متعبة: رأسي يكاد ينفجر نادية، هل لديك أية مسكنات؟؟ متيقنة أنه لن يصل إلى هذه الحال إلا لسبب عظيم، أو مأت له بالإيجاب لتجري عائدة إلى المطبخ وتحضر له حبة الدواء، لاحظ جهاد حقيبتها اليدوية مفتوحة وملقية بجانبه، حملها يريد وضعها على الأريكة الثانية ليتمدد، لكن يده توقفت عندما لاحظ غرضاً أسود لامعاً، ثنى حاجبيه برية سرعان ما تحولت تعايره إلى الدهشة وهو يتفحص المسدس الذي اشترته عفراء سابقاً، حمله يقلبه بين يديه ولا ينكر ذهوله، كيف تمكنت من الحصول عليه؟ عماد لن يجلبه لها ولا شك لديه بذلك، فمن أين جلبته؟ هذه الفتاة ترمي نفسها في التهلكة.

كانت عفراء قد دلفت للصالة لتوها، حاملةً في يدها حبة المسكن وكأساً من الماء في الأخرى، تجمدت خطواتها لما رأت جهاد يحمل المسدس ويقلبه بين يديه، رفع رأسه إليها ليسألها بعيون متسعة بذهول: كيف حصلت عليه؟؟

ازدردت ريقها بوجل وهي تنقل نظرها بين وجه جهاد ويده التي تحمل
المسدس، زفرت بخفة لتخبره بثبات مُحْتَلَق: لقد اشتريته.

وقف قبالتها بحركة عصبية صائحاً بها: اشتريته؟ بهذه البساطة؟؟
لم تجبه فهي تعرف أن شقيقها سيبقى مستنكراً لفعلتها مهما بررت أو
قالت، لذا التزمت الصمت، والذي دفع جهاد لينفجر بها لائماً: أما زلتِ
مصرّةً على رأيك نادية؟؟ لقد ظننت أنك تهديدين بفراغ، لكن على ما يبدو
أن الأمر تحول للجدية المخيفة!!

وضعت حبة الدواء والكوب من يدها على الطاولة لتستقيم قائلة بهدوء
غريب: لقد كنتُ أقصد كل حرفٍ مما قلت جهاد.
رمى المسدس من يده صارخاً: لكنك ستؤذنين نفسك قبل أن تطاله يدك،
لماذا لا تفهمين هذا؟

رفعت يدها في وجهه لتقاطعه، قائلة بنبرة جادة حازمة: لا تحاول جهاد،
فأنا كالحاطي على الجمر، لن يتوقف حتى يبلغ النهاية.
انحنى لتأخذ سلاحها متجهةً إلى غرفتها، ولم يرَ تلك الرجة التي سيطرت
عليها لحظة حملته، وهو لا يعرف كمّ القلق الذي تشعر به كلما فكرت في
أنها قد تؤذيه، أحقاً تستطيع؟؟

فيما ظلّ جهاد يراقب بابها الذي اختفت خلفه، يبدو أن الجميع في حياته
يخفي أسراراً، ويبدو أن القدر أقسم أن يوجعه مرة واحدة.

لم يستطع البقاء عندها بعد تلك المشادة الكلامية بينهما، قرر العودة إلى منزله متمنياً أن تكون والدته نائمة، مع علمه باستحالة ذلك.

كانت ميساء جالسة على كرسي في صالة منزلها، وماتزل عبراتها تبلل خديها كأنها لم تبك منذ أدهر، ترى أين ذهب؟؟ حتى أنه لم يهتم بأخذ هاتفه، الذي لم يتوقف عن الرنين طوال النهار، وهي لا تعرف رقم نادية الجديد، انتفض جسدها بخفة مع جلبية خفيفة خارجاً، كان هذا جهاد الذي تأفف عندما تيقن نسيانه لمفاتيحه، سارت ميساء بخطوات مسرعة لتفتح الباب فجأة، ابتسمت من بين دموعها عندما طالعت وجه ابنها الذي تفاجأ لوهلة، أخفض نظريه أرضاً فتنحت للجانب ليدخل، سارت خلفه ولا يهمها ما سيقول، فليلمها، فليصرخ بها فليجافها، المهم أنه عاد إليها.

جلس دون أن ينظر إليها، لا يعرف حقاً ما سيقول، زفر باختناق ليتحدث بهدوء: أنا لا أعلم ما يجب أن أفعله.....

قاطعته وهي تجثو بجانبه تجيبه من بين دموعها: افعل ما بدا لك، أي شيء، إلا أن تتركني.

تحولت نبرتها إلى الهمس المتوسل، وعبراتها تحرق مآقيها خوفاً وجزعاً: أموت لو تركتني جهاد، أنت كل ما تبقى لي في الدنيا بني.

ازدرد ريقه بغصة متأملاً وجهها الباكي، منذ متى وأنت قاسٍ هكذا جهاد؟ إنها والدتك فلا تنس، إنها من أتلقت عمرها وقضت ليلها سهراً على

راحتك، لم يكن منه إلا أن جذبها ليعانقها متمتماً: أنا آسف أمي، آسف
لأنني أبكيتك.

تعالى نحيبها وهي تحاوط كتفي ابنها، دفنت رأسها في صدره، لتخرج بؤسها
ووجعها الذي كتمته داخلها طول تلك السنوات، يشهد الله لا تريد انتقاماً
ولا مالاً، فقط تريد سلامة ابنها، وحيدها.

ما زاره الوسن حتى طلع الفجر، جالساً في شرفة غرفته شاردأً في الأفق
البعيدة، لم يصدق من حديث سمية حرفاً، يعلم كم أنها لعوبٌ، لدرجة أنه
صدّق بكاءها أمس، لا تعرف أن نقمته عليها زادت بعد مقاطعتها للحظة
الصفاء بينه وبين ساحرته.

ابتسم بخفة عندما مرت تلك الكلمة في خاطره، ساحرة؟؟ بل إنها ملاك
جديد عليه، أشاعت بعطرها في بساتينه اليبسة لتزهر، أخرجته جبراً من
ظلمة كونه التي سيطرت عليه منذ حادثة نادية، حفرت جحراً خفياً لتصل
إلى قوقعته التي بناها حول نفسه، ثم قسرتة على الخروج، لتجلسه في مقهى
السعادة، وليستشعر لتوّه أن الحياة ملأى بالأشياء المثيرة للاهتمام.
تطلع إلى قرن الشمس قبيل طلوعها، لم لم يكن يستشعر جمال هذا المنظر
قبلاً؟؟

ابتسم باتساع كمن عرف الإجابة، لأنه لم يكن قد تعرف إلى عفراء، إنها
استثنائية حدّ التطرف، فاتنة بشكل مربع، رقيقة بدرجة امتياز.

نزل إلى غرفة الطعام حيث الاجتماع المعتاد للعائلة، لم يجد نازك هانم على رأس الطاولة مما أثار ريبته، سمع حركة خلفه استدار ليقابل بيسان أخته، تجهمت أول ما رآته وتحاشت النظر إلى وجهه مباشرة والتفتت تريد المغادرة، صاح يناديها باسمها بتردد استغربته، عادت لتنظر نحوه مجدداً بحذر مع عقدة حاجبيها، فقال بتقطع كم أجبر على الحديث، عابثاً برقبته من الخلف: اسمعي بيسان، هل.. هل ترغبين في العمل... أقصد في مساعدتي في المجلة؟؟؟

ضيق عينيها بشك منذ متى وماجد يعرض عليها عملاً مشتركاً؟؟ لطالما كانت طلباته أوامراً؟ كتفت يديها أمام صدرها متسائلة بريبة: مساعدتك؟؟ كيف هذا؟

أجلى صوته بارتباك وهو يحاول أن يوصل فكرته إليها: أقصد أن تساعديني في كتابة المقالات.... أو ربما أن تكون لديك زاوية خاصة بك؟؟ اتسعت عيناها عن آخرهما، هذا العرض السخي لا يُفوت بالطبع، هتفت بذهول: هل تعرض عليّ العمل في المجلة؟؟

كم أسعدته تعابيرها السعيدة والمذهولة في آن، ابتسم رغماً عنه ليخبرها بصدق: أجل، إن كنت تملكين الرغبة.

أفلتت منها ضحكة فرحة وهي تقفز لتعانقه، مما فاجأه وليشعر لأول مرة في حياته بهذا الإحساس الدافئ ربما هذا ما يُطلق عليه شعور الأخوة، حضرت نوراً لتراهما على هذه الحال، فغرت فاهها بدهشة حقيقية لأول مرة

ترى مثل المشهد المؤثر في القصر، ابتسمت بسعادة وهي تضع يدها على خصرها لتقول بمرح: وأنا؟؟ ألا يمكنني إيجاد مكان لي في عناقكما؟؟
 طالعتها ماجد بشيء من الضيق والندم، تصنع ابتسامة لم تصل إلى عينيه
 ليمد يده الأخرى ليحتضنها كذلك، كم يخشى من يوم يجرحها به صهيب،
 ترى هل ستسامحه لو علمت أن شقيقها السبب؟؟

اتجهت بيلا إلى مكتب والدها مسرعةً، أو مهرولةً بمعنى أصح، دلفت إلى مكتب جهاد الذي كان يهَمّ بالجلوس للتو، صاحت باسمه بلهفة أدمت قلبه، وقف مجدداً وليقف الزمن في هذه اللحظة، كان صدرها يعلو ويهبط بسرعة، وجهها متعب وعينيها الخضراء غامت بدموع احتقنت داخلهما،
 أما عن حاله هو فلا كلمات قد تصف شعوره في تلك اللحظة
 إنه كارهٌ ناظم على كل شيء في حياته، كور قبضته ليخفف نظره وليشرع بتنفيذ مخططة لجعلها تكرهه، هذا ما هداه إليه عقله لإبعادها عنه بأقل الخسائر.

أجلى حلقة ليتحدث بخشونة: السيد جميل لم يحضر بعد آنسة بيلا.
 ازدردت ريقها بتأثر من نبرته التي أجفلتها، تقدمت ببطء قائلة بنبرة مختنقة: لماذا تغيبت يوم أمس جهاد؟؟
 جلس ليرتب بعض الأوراق فوق الطاولة متحاشياً النظر إليها، ليجيب بلا مبالاة: لقد جدت معي ظروف قاهرة.

استشعرت جفائه منذ الوهلة الأولى، لكنها عمدت إلى تكذيب إحساسها ببلاهة، اقتربت أكثر حتى أضحت أمام طاولته مباشرة، همست بنبرة ضعيفة خنفته: ما الأمر جهاد؟؟ لماذا تعاملني بهذه الرسمية الزائدة؟؟

أغمض عيني لثوان حتى غالب ضعفه، لن أترجع ففيه يكمن موت كلانا، زفر ببطء ليرفع رأسه إليها لجزء من الثانية ثم أخفضه مجدداً ليتحدث بجدية: أنا مشغول آنسة بيلا، فلدي الكثير من الأعمال المتراكمة.

صدمها هذه المرة، ولا تدري ما الخطأ الذي اقترفته ليحافها هكذا، لقد شعرت بالرعب لتغيبه دون عذر يوم أمس، حاولت محادثته كثيراً لكنه لم يجب علي هاتفه، ولم يتسنَّ لها الذهاب إلى منزله.

أيقنت أن هناك سبباً لانقلابه المفاجئ معها، ارتجف فكها لتخرج بعدها تضرب الأرض بعصية، وغيوم عينيها تعصف، تنفس بعمق بعد رحيلها، من يصدق أنه كاد يختنق لتواجهه معها في الغرفة ذاتها؟؟

تنهد بأسى يشق عليه قول هذا، ولكن هذا الحل الوحيد المتاح أمامه حالياً، أسند رأسه إلى الكرسي، مستذكراً الحديث الذي دار بينه وبين والدته صباحاً.

Flash Back

خرج جهاد من غرفته بعد أن أبدل ثياب الأمس، لم يتمكن هو أو والدته من النوم، وقفت تطالعه بتردد وبدت كمن يرغب بقول شيء ما لكنها خائفة، رمقها بنظرة سريعة وقد قرأ ترددتها، تساءل بجبين مقطب: ما الأمر أمي؟؟

ازدردت ريقها بوجل لتحدث: ما الذي ستفعله الآن؟ أقصد بعد معرفتك للحقيقة؟؟

علم ما ترمي إليه، تهيدة محملة بهموم الدنيا خرجت من صدره، سار حتى وقف قبالة أمه ثم رفع كفيها ليقبلهما مجيباً بوجوم: سيبقى الحال على ما هو.

حاولت استجداءه بدموعها: ولكن بني....

قاطعها هو بإصرار رافعاً رأسه ليقابلها: أمي، ما لا تعرفينه أنني في مهمة سرية في شركة جميل، فهو متورط بالكثير من الأمور الخارجة عن القانون، لا أستطيع التراجع.

ارتجفت شفتاها بقوة يا للعبة القدر الخبيثة، ازدردت ريقها فأخفضت أنظارها لتسأل مجدداً بتردد: وماذا بشأن بيلا؟؟

تهدل كتفاه بوجع، سرعان ما سيطر على تعايره الدقيقة قائلاً: سأجعلها
تكرهني أمي، لا حل آخر سواه، ثم أخبرها بالحقيقة، وهكذا ستكون وطأة
الخبية أخف عليها.

طالعه ميساء بمزيج من العطف والشفقة، تنهدت بأسى على حال ابنها
وتعلم أنها الملامة الوحيدة هنا، همست له بما يشبه الرجاء: أرجوك بني، لا
تستعجل بخطواتك، واحرص على حماية نفسك، فجميل لا يؤمن جانبه، إنه
غادرٌ ماكر.

نعم يعلم يقيناً أنه كذلك، ولأنّ دماءه للأسف تسري في عروقه، فقد قرر
أن يسقيه من ذات الكأس.

تمّ نشر قصتها في عدد المجلة أمس، ففتحت الحاسوب المكتبي تتفحص ردة
فعل القراء على مواقع التواصل المختلفة، كان قلبها يهدر بعنف كمن يدخل
إلى امتحان، ابتسامة عريضة اجتاحت قسماتها المشدودة بقلق، لقد نالت
القصة استحسان كل من قرأها، وإشادات كثيرة بكاتبها، أعادت ظهرها
للخلف زافرةً بارتياح، تلقائياً انتقلت أنظارها إلى مكان الكاميرا الخفية،
إحساسٌ غامض يخبرها بأنه يراها الآن، في هذه اللحظة، شعرت بم حاجتها
للخروج قليلاً لتنفض عن كاهلها تعب الأسبوع الماضي، استقامت من
مكانها تريد الخروج إلى الحديقة، مرّت أمام الخزانة المكتبية حيث كانت
الكاميرا، ثنت حاجبها بتفكير لتنفرج شفيتها عن ابتسامة ماكرة، عادت

إلى الخلف خطوة لتكون في مرمى رؤية الكاميرا، أمالت رأسها لليمين ثم لليسار، أشارت إلى عنقها كمن تحاول خنق نفسها مع ابتسامة لطيفة، أشارت إلى جدران المكتب، ثم أشارت بيدها للأسفل، كانت تحبزه بأنها تشعر بالاختناق في المكتب، وترغب بالخروج إلى الحديقة، خرجت بعدها وهي على يقين أنه رأى إشارتها، لكنها لم تكن متأكدة من أنه سيتبعها وصلت للحديقة، لتجلس على الأرض مستندةً بظهرها إلى أحد الأحواض، شردت في منظر الخضرة حولها، نسيمٌ عليل يحرك أوراق الشجيرات لتسمع حفيفها اللطيف، ضاعت في جمال هذه الجنة الصغيرة، وهوائها المنعش الذي يُسعد الفؤاد، لكن ورغماً عنها، لا تستطيع الشعور بسعادة مطلقة، أغمضت عينيها بقوة وهي تسند رأسها للخلف، تنهيدة حملت ألم ووجع قلب وروح خرجت منها لتشرد بألم في حقائق تعلمها يقيناً.

وقف على باب الحديقة، يطالعها بنظرات مغرومة هادئة، لم يعترف لنفسه بعد نعم، لكنه على يقين أنها لن تكون كغيرها في حياته أبداً.

لقد كان يراقبها على حاسوبه كالمعتاد، لاحظ قلقها واضطرابها منذ الصباح، أصابه الفضول عندما رأى سعادتها واضحة على محياها الغزلائي، وهي تتفحص الحاسوب، دخل إلى برنامج خاص يستخدمه لمراقبة حواسيب الموظفين المكتبية، والتي يستخدمونها في العمل، رأى أنها تقرأ تعليقات القراء على صفحة المجلة الرسمية على أحد المواقع، شعر بالسعادة للابتسامة التي أهدته إياها، ثم لاحظ إشارتها ففهمها، ليتبعها هو كذلك إلى الحديقة.

تنفست بعمق لتقتحم أنفها رائحة عطره، أجفلت بداية وخافقها هلع برعب، التفتت للخلف بحركة عصبية أوجعت عنقها، شحب وجهها وازدردت ريقها لتراه واقفاً بالقرب منها لا يفصلهما سوى خطوات قليلة، لاحظ هلعها فتساءل بقلق: ما الأمر عفراء؟؟

حاولت الابتسام لكن ابتسامتها كانت باهتة لتجيب بتوتر واضح: لا، لا شيء سيد ماجد.

لم يصدقها، رغم هذا نفخ بامتعاض مصطنع ليقول بلهجة متذمرة كالأطفال: ألم نتفق سابقاً أن تلغي الألقاب بيننا عندما نكون لوحدا؟ أشاحت بوجهها عنه لتنظر أمامها، تنفست بعمق محاولةً إخراج صوتها طبيعياً: أعتذر لكنني، لم أعتد الأمر بعد.

قطع ما يفصلهما من مسافة، ليقف فوق رأسها تماماً، فشعرت بنبضاتها متسارعة بشكل مخيف، لدرجة ظنت معها أنها ستفقد الوعي بين يديه، أغمضت عينيها بتأثر تقاوم إحساس الرجفة اللا إرادية التي سيطرت عليها، وكمن سمع نجواها جاءت جملته التالية كإنقاذ لها من الموت المحتم، وقد امتدت يده ليساعدها: تعالي لنمشي قليلاً، أفضل من الجلوس.

كالمسوعة وقفت بجانبه متجاهلةً يده، مما أثار استغرابه، لاحظ لتوه رجفة جسدها فتساءل باستنكار طفيف، وربما كان ساخراً بعض الشيء: مابك عفراء؟ هل تخافين مني؟؟

تجاهلت سؤاله وهي تبتعد بجسدها قليلاً عنه، لتبدو فعلتها كمن تنوي على المشي حقاً، سار معها واضعاً كلتا يديه في جيبي سرواله الرمادي، مع قميصه الأبيض ذي الأكمام المثنية، عانق قميصه عضلات صدره بشكل يلفت الأنظار حقاً، ولتزيد وسامته القاتلة.

مشت بجانبه ببطء، محافظة على مسافة معقولة بينهما، لتسأله بجدية دون النظر إليه: لماذا أتيت إلى هنا؟؟

رغم سؤالها الساذج، لكنه. لم يمنع نفسه من الابتسام محبباً بمشاغبة محبة: لقد لبيتُ دعوتك.

نعم، لقد دعته فعلاً، لكنها تصنعت الغباء قائلة بهدوء: أنا لم أدعك حقاً، فقط كنت أخبرك بأني سأتي هنا لأمشي قليلاً، فقط اختنقتُ من جوّ المكتب.

حرك رأسه للجانبين بيأس متحدثاً بتلاعب: وما أدراك أنني سأرى إشارتك؟؟

ارتبكت وتخبطت في إجابتها له: لقد توقعتُ الأمر فقط.

توقف عن المشي ليستدير صوبها بجسده، ابتسامته الماكرة مرتسمة على شفتيه بشكل جذاب، توقفت بدورها لكنها ظلت تنظر إلى الأمام، أردف بتسليية مدّعياً الحزن: حسناً، قد اعتبر هذه إهانة لذكائي إن لم تجيبي سؤالِي. أجبرت ابتسامة صغيرة على الظهور مردفةً بخفوت: وما هو سؤالك؟؟

تنفس بعمق مدققاً النظر إليها، مما سبب لها ارتباكاً لم تستطع إخفائه هذه المرة، ربما لأنها وحدها معه، أتاها سؤاله بصوت عميق كمحقق يسحب جواباً من متهم جبراً: لماذا أنت خائفة دائماً عفراء؟؟؟

ازدردت ريقها بتوتر، وضحكة شريرة دوت بين جنبات عقلها الذي حدثها: إنه ماجد عزيزتي، سيبقى ثعلباً مهما حاولت الادعاء بالعكس.

رفعت عينها لتقابل مقلتيه اللتان كانتا تتفحصانها بتفرس، كمن يحفرها في ذهنه، اختلقت بسمة لم تصل إلى عينيها لتجيب بنبرة سؤال: لماذا تسألني هكذا سؤال؟ هل أبدو لك من النوع الجبان؟؟

رغم محاولتها الالتفاف والمراوغة، لكنه ابتسم رغماً عنه، حرك رأسه بيأس من جديد دون حديث، حقاً لا، فهي من النوع الشجاع، الشجاع للغاية، تجرأت على اقتحام حصون ماجد العالية، والتي لم تفعلها فتاة دونها، تابع مسيره حتى وصل إلى حوض أزهار بجانبه حائط متدنٍ، بدا كمقعد للجلوس، جلس عليه فوقفت للحظة بتردد، رفع رأسها باستغراب قليل فتحركت لتجلس كذلك، محافظة على مسافة آمنة بينهما مما أثار استغرابه، هذه الفتاة تستمر في رسم الحدود والمسافات بينهما دائماً، في حين هو يريد تخطيط الفواصل بينهما ليلتحم سوياً، نفسياً وعقلياً قبل أن يكون جسدياً.

نظر أمامه وكتف يديه أمام صدره، ليقول بنبرة صادقة: أتعلمين؟ أنت الوحيدة من بين جميع الموظفين التي تعرف بأمر الحقيقة؟

نظرت إليه بتفاجؤ، فعلاً لم تكن تعلم، فيما أضاف هو بدفء، وابتسامة لطيفة ليستدير ناظراً إليها: وأنت الوحيدة المسموح لها بالقدوم إلى هنا. غابت عن وعيها في عينيها التي تنضح صدقاً، مآقيه ساحرة تأخذها جبراً إلى عالم آخر، عالم ليس فيه سوى مشاعر الحب السامي الطاهر، ابتلعت غصة متأثرة وفي نفسها أمنية، لو يتعطل عقلها عن التفكير، أو يتوقف قلبها عن النبض، أرجوكم بكل ما في الدنيا من كلمات التوسل، فليتوقف أحدكما وليرحمني!!!

شعر بتخبطها وحيرتها، فظن الأمر متعلقاً بالفارق الاجتماعي بينهما، لكنه لا يستطيع تحاشي خاطر في عقله يخبره بأن خلفها سرّاً كبيراً، أعاد نظره إلى الأمام متنهداً بثقل، التفتت بدورها لتسمع كلماته، وقد بدا صوته كالشارد في جمال منظر الحديقة والبحر القريب يبدو خلفها كأنه متصل بها: أكثر مكان أحبه بعد هذه الحديقة هو البحر، هل تحبين البحر عفراء؟؟

بدون أدنى إرادة، عادت بها ذاكرتها إلى تلك الأيام التي قضتها في منزل عائلة عماد، والذي كان مطلاً على شاطئ البحر تماماً، وقريباً منه بشكل يبعث على الاطمئنان، تبسمت دون وعيٍ لتجيب بصدق: البحر سلطان الليل، أعشق السير على الشاطئ ليلاً حيث تخرس السماء والأرض، ليبقى فقط صوت الأمواج، الصديقة الوفية.

التفتت إليه متسائلة: وأنت؟؟

شهق نفساً عميقاً حبسه في صدره، ارتسم ألم على محياه لم تخطئه عيناها، وهو يخبرها: صخب الأمواج يصمُّ أذنيَّ ويمنعني من التفكير، وهذا أكثر ما أحبه فيها.

رغم التأثير الواضح في نبرته، والذي بدا كمن يتألم حقاً، إلا أنَّ كلماته مسّت قلبها، طالعه ياعجاب لم تتمكن من مداراته قائلة: كلمات جميلة. قابلها هو كذلك ليصبح وجهه قبالتها، ابتسامته الصافية أخفتها، هل وصلتِ إلى هذه المرحلة من التناقض عفراء؟ أقل حركةٍ منه تسعدك بقدر ما تخيفك؟؟

وقفت فجأة لتستأذن بالمغادرة، تحركت من أمامه قبل أن يقبض على معصمها قائلاً بلهفة: انتظري عفراء.

تيار صاعق سرى في جسدها لحظة لمسها، انتفض جسدها وشهقت بخفة، شحب وجهها وقد بان الفرع عليه، سحبت كفها بسرعة لتضمه إلى صدرها بالكف الآخر، لتنظر إليه بعينين متسعيتين قلقاً وهلعاً، مما أثار رييته وخوفه فتساءل: هل أنت بخير؟؟

ارتجفت شفتيها دون إجابة، جرت من أمامه فوراً مبتعدةً عن عينيه المراقبة، ما الذي حصل لتفرع هكذا؟؟ لا يعلم حقاً !!

نفخ باستياء من نفسه، يبدو أن لا لحظة صفاء ستطول بينهما، خلل شعره بيديه، رسالة هاتفية أجبرته على الوقوف ليسحب هاتفه من جيبه كان الموزع الذي يتولى توزيع مجلته يخبره في الرسالة عن أرباح عدد هذا

الاسبوع من أول يوم ، لم يبال بمحتوى الرسالة كثيراً، عاد ليتطلع إلى الباب الذي اختفت خلفه، زفر من أنفه ليتحرك هو الآخر عائداً إلى مكتبه، ليفتح حاسوبه فوراً على مكتب عفراء، لاحظ أنها دخلت لتوها قادمة من الحمام فقط كانت ترتب زينتها غير المبتذلة على وجهها، تنهيدة متعبة صدرت عنه ليرفع إصبعه يمرره على صورتها بجنان، وفي فؤاده تُعزف آهات عشق تولد لتلك الغامضة الخائفة على الدوام.

خرج صهيب من قصر آل الصايل، ينتظر خطيبته نورا في سيارته بعد أن حادثته نازك هانم، لتخبره بأن سنوية رفعت زوجها قد اقتربت، ويجب أن يتم زفافه على نورا قريباً، زفر باختناق وهو يشعر بأنه يظلم نورا معه، خلال فترة خطبتهما اكتشف مدى رقتها وعفافها، وهي لا تمت بصلة إلى آل الصايل سوى بأنها تحمل اسمهم، فما ذنبها ليكسرهما وينتقم منها؟؟ كانت خطته تقضي بأن يأخذها ليلة زفافها قسراً، ثم ماذا بعد صهيب؟؟ ألم تفكر في التالي لانتقامك؟؟ هل ستمكن من فعلها أصلاً؟ وهل بإمكانك رؤيتها مكسورة القلب والجناح؟؟ خاصة إن أخبرتها أن ما فعله ماجد مع نادية حقيقي وليس كما ادّعت نازك بأن الأمر ملفقاً؟؟

مسح وجهه بيديه صارخاً بقهر، لتكتم يديه صرخاته، منذ ليالٍ وهو لا ينام من فرط قلقه وعذاب ضميره، قلبه لا يطاوعه على خداع نورا أكثر، لم يشعر بها عندما دخلت إلى السيارة لتستقر بجانبه، استغربت لرؤيته يدفن

وجهه بيديه، صاحت باسمه بلهفة آلمته، رفع أنظاره الدامعة إليها لتهلل صارخة وهي تحاوط وجهه بيديها: صهيب حبيبي، لماذا تبكي؟ هل حصل أمر سيئ؟

طالعتها بنظرات غير مفهومة لها لثوان، هذه الرقيقة لا تستحق منك هذا صهيب، أخبرها بالحقيقة، فزع قلبه بين ضلوعه ماذا بعد أن تعرف الحقيقة؟ مؤكداً أنها ستتركه ولن تسامحه، فهل سيحتمل بعدها عنه؟؟ ازدرد ريقه بارتباك وقد قرر وحسم أمره، دعها بسلام صهيب، حررها أفضل لقلبك المتعب من فرط التفكير، تحدث لي جيئها بجمود: نورا، يجب أن أعترف لك بأمر.

أشارت له بالإيجاب تنتظر تصريحه، لا تعلم لماذا، لكن قلبها أنبأها بأن ما سيقوله لن يساهم سوى بقتلها، حرفياً.

انتهى صهيب من سرد كل شيء على مسامع نورا، كانت الأخيرة تنظر أمامها واجمةً بشكل مخيف، هدوؤها مرعب كهدهوء قبل عاصفة هوجاء ستحل على قلبه، كان ناظراً إلى الأمام أيضاً، ويطرق بيده على مقود السيارة، السكون المحيط به يبعث على الجنون، لا يقطعه سوى صوت تنفسها الذي لم يبدُ عليه أي انفعال، تحدثت بنبرة خلت من الحياة: هل هذا كل شيء؟؟ أوماً لها موافقاً، ازدرد ريقه بصعوبة ليقول بندم واضح في نبرته: نورا تحدثي، أخبريني بما تفكرين؟

تنفست بعمق مغالبةً دموعها التي تحارب للتحرر، سألته دون النظر إليه:
لماذا تراجعت؟

استدار لينظر إليها فيما أردفت وما تزال على وضعها: لماذا لم تكمل
مخططك للأخير؟؟

كان سؤالها جدياً غير ساخر، طالعها بألم واضح ليجيب بكل صدق: لأن
قلبي لم يطاوعني نورا، قلبي وقع في هواك ولم يتمكن من المتابعة.
سكت لثانية قبل أن يضيف بخفوت هادئ: أنا أحبك نورا، ولم أستطع أن
أمسك بسوء أبداً صدقيني.

لم تنبس ببنت شفة، رغم قهرها لكن فؤادها يقفز فرحاً، أخيراً وللمرة
الأولى، يعترف صهيب بأنه يحبها، فتحت بابها لتترجل عائدة إلى قصر
العائلة، كانت تمشي بهدوء وكتفين متهدلين، كأن هموم الدنيا على عاتقها،
تشيعها نظرات صهيب الدامعة، وقد تيقن لتوه واستشعر معنى الخسارة
الحقيقي.

في الحب ليس هناك قاتل ومقتول، كلاهما مقتول ولا دية له.

مرت أيام متتالية دون جديد، نورا لم تجب على مكالمات صهيب الكثيرة،
كم ندم لأنه أخبرها الحقيقة، لكنه في الوقت ذاته يعرف أنه لن يستطيع
الكذب عليها، ولن يتمكن من لمسها مادام هناك أسرار بينهما، رمى

الهاتف الذي أخبره بإغلاق الرقم المطلوب، حمل مفاتيحه وهاتفه خارجاً من المقهى حيث كان جالساً قبالة المشروع الذي كانت نورا تشرف على بنائه، بعد أن فقد الأمل في رؤيتها اليوم أيضاً.

أما جهاد فقد استمرّ على نهجه في جفاء بيلا، مما أحزنها وزاد من بؤسها، ودون أن تعرف السبب الحقيقي لما يفعله.

كذلك بدأ بتنفيذ مخططه للإيقاع بجميل، وضع كاميرا تسجيل خفية في مكتب الأخير، ليكتشف أن خزانة جميل السريّة موضوعة في العمود الضخم الذي يتوسط المكتب، استطاع أيضاً معرفة الرقم السري للخزانة، وقد قرّر معاقبته بطريقة لن ينساها أبداً، لكنه كان بانتظار الإشارة من مهند واللواء عبد الرحمن.

استلمت بيسان رئاسة قسم جديد تم استحداثه، لتكتب فيه مع صحفي آخر عن آخر تطورات التكنولوجيا والاتصالات، رغم معارضة نازك لهذا الأمر، إلا أن ماجد قد وقف في وجهها ليدعم موقف أخته، مما أصلح العلاقة بين الأخوين وزاد ارتباطهما. وفي أثناء هذه الفترة اشتعلت شرارة حب عفيف بين بيسان وزميلها في القسم أحمد، حتى قرر الثاني التقدم لخطبتها. كذلك استمرت بإعطاء الدروس لعفراء، وتقاربت الفتاتان بشكل كبير.

تحاشت عفراء قدر المستطاع أن تنفرد بماجد حتى تلملم شتاتها وتعزم أمرها، أما هو فقد كان دائم المتابعة لها، استحوذت على تفكيره بشكل غير

قابل للتفاوض، فلا ينفك يفكر فيها ليلاً ويراقبها نهاراً، حتى سمية قد شعرت بجفاء ماجد الواضح لها، وهذا ما لم تتقبله أبداً خاصة بعد التضحيات التي قدمتها لأجله، فقررت اليوم محادثته، وإلقاء آخر أوراقها.

كان ماجد قد ادّعى حاجته للاجتماع برؤساء الأقسام لديه لأمر هام، إلا أن الحقيقة كانت رغبته برؤيتها ومحادثتها، بعد ملاحظته أنها تتحاشاه عمداً. يعلم أنها ليست غبية ولا بدّ من أنها قرأت إشارات إعجابه بها، ولا تزال ذكرى الليلة الأخيرة بينهما في الحديقة تؤرقه، ردة فعلها كان مبالغاً بها، لكن ذلك لم يمنع عشقها من التغلغل داخل شرايينه، حتى شعر بأنها باتت جزءاً من دمه.

لملم الجميع أوراقه وتأهب للخروج، حملت عفراء أوراقها متعمدة عدم النظر صوبه، أجلى حلقه ليبدو صوته طبيعياً حازماً وهو يحدثها برسمية: آفسة عفراء، أريد محادثتك لو سمحت.

رفعت رأسها لتقابل عينيه وتقرأ الرجاء داخلها، أشارت باحترام فيما راقبت زملاءها حتى خرج الجميع.

لاحظت بيسان اهتمام شقيقها بعفراء، ابتسمت بمكر لإدراكها أن الأمر يتعدى الإعجاب بها.

استقام ماجد من مكانه ليغلق الباب، قلبها يهدر بعنف وفزع، لكن تعابيرها هادئة واثقة كالمعتاد، تأهبت في وقفته لتستدير نحوه فيما هو يتقدم إليها: ما الأمر سيد ماجد؟؟

وقف أمامها مباشرة، وعيناه في عينيها، متحدثاً بمجدية: أنتِ أخبريني عفراء؟ لماذا تتجنبين رؤيتي؟؟

ازدردت ريقها عائدة للخلف خطوة واحدة، حاولت التحدث ببسمة مختلقة ليقاطعها بانفعال واضح قبل أن تتحدث حتى: ما الأمر؟ لماذا تخافين مني؟ لماذا تبدين كمن يخفي أسراراً خلفه ويخشى افتتاحها؟؟ سأجنّ من فرط التفكير عفراء، أرجوك افهميني؟

صعد صدرها وهبط بخوف، لم يخب ظنها وماجد الآن تائه في غرامها، ضائع مثلها تماماً، أخفضت نظرها ليصبح بها: ارفعي عينيك وأجيبيني؟

رفعت رأسها بإباء وملامح واثقة هادئة، وقبل أن تنطق بجرف كان الباب يفتح من جديد دون طرق، أغمض ماجد عينيه زافراً بضيق، وقد علم من فعلها دون الحاجة للالتفات للخلف، أمالت عفراء رأسها للجانب لتطالع وجه سمية المحتقن، ابتسمت بتهكم لتنقل أنظارها الساخطة بينهما، حركت رأسها للجانبين بخيبة أمل لاحظها ماجد، كما قرأ في نظراتها إلى سمية مشاعراً أسعدته وأجبرته على الابتسام رغماً عنه، إنها تغار من سمية!!

التفت ليراقبها خارجة من الغرفة بخطوات سريعة كمن تهرب من خطر، تحولت نظراته إلى سمية مع تبدل ملامحه لتنذر بعاصفة قادمة، أما الأخرى فكانت تعابيرها تنم عن شرٍّ مستطير، تحركت لتمشي ناحيته تاركة الباب خلفها مفتوحاً، كتفت يديها لتحادثه بسخرية واضحة: هل قاطعتُ خلوتكما سيد ماجد؟؟

حسناً، لقد تجاوزت سمية حدودها، ويجب وضع حدٍّ لوقاحتها، رفع ذقنه بثقة متحدثاً: أولاً لا شأن لك بعفراء سمية. نبرته الجادة أخافتها، لكن ما قاله تالياً جعلها تنفجر حرقاً: ومن اليوم، اعتبري نفسك مطرودة.

جحظت عينها بعدم تصديق، فصاحت به متناسيةً مكانتها أمامه: تطردني أنا يا ماجد؟؟ بعد كل ما فعلته من أجلك تخرجني هكذا ببساطة؟؟ لم يجبها بل ظلت تعابيرها جادة كما هي، كأنه يخبرها بأن لا تراجع عن قراره، ابتسمت بسخرية لتقول وعبراتها قد تساقطت: من أجلها هي صحيح؟ لأجل عفراء تتخلي عني أنا؟ أنسيّت ما فعلته من أجلك؟؟

كانت السيدة رجاء والدة سمية قد جاءت هي الأخرى، لتخبر ماجد بأن صهيب يريد رؤيته لأمر ضروري، لكنها وقفت قرب الباب عندما سمعت صراخ ابنتها، لتسترق السمع إلى الحديث الدائر، بينما استرسلت سمية في حديثها المستهزئ: هل ستطلب يدها للزواج؟؟ وأكد أنها لن تضيع فرصة ذهبية كهذه، ثم تعيشان في ثبات ونبات؟؟؟؟

قهقهت بتهكم فقطب ماجد جبينه بتفكير، توقع منها الصراخ لكن يبدو أنها قد جُتّت، سكنت فجأة ليتحول محياها إلى الجدية الساخطة، ثم تحدثت بذبرة مخيفة: لا ماجد، لستُ أنا من تقبل بأن تلقيها من حياتك هكذا، ليس بعدما قدمته لأجلك.

ضيق عينيه ليحدها بنظرة مميتة، فيما تابعت تهديدها: سأخبر عفراءك تلك بما فعلته مع نادية، ولن تستطيع.....

قطعت جملتها عندما استدار وجهها إلى الطرف الآخر، شهقت رجاء بخفة عندما سمعت صدى صفعة ماجد لسمية، أما الأخيرة فوضعت يدها على وجنتها الملتهبة، رفعت رأسها لتقابل وجهه المحمرّ من فرط الغضب، ابتسمت ساخرة من بين دموعها لتهمس: أهذا جزائي؟؟ لقد أنقذتك من السجن بشهادة زور ويمين كاذب.

تحولت نبرتها إلى الصراخ لتضيف بما جعل والدتها تشهق بصوت مسموع: لقد سلمتك نفسي على طبق من ذهب، لقد أعطيتك كل شيء ماجد، كل شيء.

جزّ على أسنانه بغيظ يكاد يحرقها حية، وقبل أن يتحدث بحرف سمع صوت رجاء من خلفها تهتف بجرقة: أيتها القذرة الرخيصة.

استدارت لتقابل والدتها، التي أمسكتها من شعرها لتهوي عليها بضربات متتالية، صارخة بها بصوت والدة مخذولة: أيتها العاهرة، يا حقيرة، بعث نفسك أيتها الغبية، أصبحت زانية يا ابنة بطني !!!

وقف ماجد مذهولاً من ردّ فعل رجاء، والتي لم تترك في جسد سمية بقعة إلا وناله ضرباتها، تكومت سمية على الأرض تحاول حماية جسدها المكشوف للكلمات أمها ولعناتها، تدخل ماجد ليفضّ النزاع فوقفت رجاء أمامه لتقول بحسم لا يخلو من الاحترام: لوسحت سيد ماجد لا تتدخل، هي ابنتي وأنا من أساء تربيته فاسمح لي بإعادة تأديبها مجدداً.

عاد خطوة للخلف مستغرباً من حديث رجاء، تطلع إلى سمية الملقاة أرضاً، تغطي وجهها بكفيها وجسدها ينتفض بقهر، ازدرد ريقه ليعيد نظره إلى رجاء التي استطردت بثبات: السيد صهيب بانتظارك في مكتبك.

أيقن أن وجوده لن يساهم سوى في تعقيد الأمر، خاصة أنه طرف فيه، فخرج بحثاً خطاه ناحية مكتبه ليرى صديقه القديم.

انتظرته رجاء حتى تأكدت من مغادرته، فقبضت بيدها على ذراع سمية لتوقفها جبراً، ثم حدثتها بحزم جاف: وأنت تعالي معي، ستعودين اليوم إلى المنزل، لأشرف على إعادة تربيتك أيتها القذرة.

سحبتها خلفها كالبهيمة بقوة عجيبة لا تعرف كيف واتها، غير عابئة بمحاولات سمية للتملص منها حتى خرجت من مبنى المجلة.

دلف ماجد إلى مكتبه ليرى صهيب جالساً بانتظاره، رmqه بنظرة باردة قابلها الآخر بواحدة مماثلة قبل أن يخفض رأسه، استدار ماجد حتى جلس على مكتبه، لاحظ منذ فترة عدم قدوم صهيب إلى قصر عائلته منذ مدة،

كذلك اعتزال نورا للجميع باستثناء بيسان، مما جعله يشكك في وجود مشكلة كبيرة بينهما، شك يديه ببعضهما ليتحدث مباشرة: ما المشكلة بينك وبين نورا بالتحديد صهيب؟

رفع رأسه إليه بغتة، وقد قطب جبينه بتفكير، سؤال ماجد معناه أن نورا لم تخبر عائلتها عن آخر لقاء بينهما، لكن وليد شكوكه سأل ماجد: لماذا لم تسألها بنفسك؟

زَمَّ فمه قبل أن يتشدد بـ: لأنني أريد الإجابة منك أنت، فأنا أعلم أن شقيقتي، وللأسف، تحبك، ولن تخبرني بالحقيقة.

لمعت عينا صهيب بوميض عجيب، أدرك لتوه كم كان غيباً لاعتقاده بأن نورا قد تخلت عن حبها له وربما كرهته، لهذا أتى إلى ماجد ليتأكد من الأمر

لكنه الآن، وبعدها تأكد من مشاعره ناحيتها، تأكد أنها فتاة أحلامه، أنها الفتاة التي لا يجوز أن يخسرها مهما كلفه الأمر، استحالت ملامحه إلى السعادة ليقف فوراً، مغادراً مكتب ماجد تحت نظرات الأخير المستغربة، سرعان ماتحول استغرابه إلى يقين، فصديقه الأحق قد وقع بالغرام دون أن يدري، قهقه بصوت مسموع ليعود بتفكيره إلى تلك العنيدة، فتح حاسوبه على مكتبها لكنها لم تكن هناك، لم يستغرق بالتفكير الأجوف لمعرفته بمكانها.

جلست في الحديقة في مكانها المعتاد مغمضة عينيها، تشعر بضياها وتشتتها، تذكر أول ليلة وطأت بقدمها أرض المجلة، كم كانت تشعر بالحماس للانتقام وقتله، لكنها الآن في مركب تائه وسط محيط متلاطم، لا ميناء تلجأ إليه، ولا أرض تحتويها، ولا سماء تغيثها.

شعرت بوجوده حولها، فتحت عينيها الزرقاء ناظرة أمامها، متحدثة بشرود: شتان ما بين البصر والبصيرة.

جلس إلى جانبها حريصاً على عدم لمسها، قطب جبينه باستغراب لمقالها وتابع ما تتحدث به بصوتٍ خاٍٍ للحياة أجندتها الخاصة، هي تتحكم بنا ولا نتحكم نحن فيها.

بصوت عميق سأها وقد تسرب إليه بعض القلق: ما معنى حديثك عفراء؟ انتبهت إلى زلة لسانها، هذه المرة الثانية حيث تكاد تفضح نفسها، تنفست بعمق قبل أن تتحدث بإنكار: لا شيء، إنها عبارات سأكتبها في قصتي القادمة.

لم يصدقها طبعاً، لكنها مبهمة غامضة كالعادة، من أنت عفراء؟ من أنت؟ شعر بأن ما تخفيه من ألم يستعصي عليه فهمه، لكنه أخبرها بكلمات مصدرها قلبه، بكل صدق صدرت عنه: اسمعي عفراء، لا شيء في الحياة يستحق أن تتألمي لأجله، اكتبي وجعك في دفتر خيبتك، ثم مزقيها وانثريها لترحل مع الرياح، مهما ماجت بك الحياة حافظي على قلبك النقي، لا تفرطي به بسهولة ولا تتركه للضياع.

مستّها كلماته بشكل آدمى فؤادها المروع، أينصحني من أوجعني ودمرني؟
كيف لك أن تقتلني ثم تحييي، لتعود وتقتلني من جديد؟؟
ابتسامة جمعت بين السخرية والإعجاب أخبرته ناظرة إليه: ماهذه
الشاعرية كلها سيد ماجد؟؟
ابتسم قبالتها ليخبرها: إن كنت ترغبين برؤية الشاعرية الحقيقية، فوافقي
على دعوتي لك للعشاء في الغد.
اختفت ابتسامتها وقد غامت عيناها، أيحسبني رخيصة؟؟ قالت بنبرة شابها
الغضب: لا أقبل اجتماعات خاصة سيد ماجد.
رفرف بعينه بداية مستغرباً حديثها، ليعود ويتدارك نفسه نافياً ما فهمته:
لا عفراء، إنه ليس اجتماعاً خاصاً، إنها مجرد دعوة عشاء.
تأففت وهي تشيح بوجهها عنه، ليضيف مصححاً: صديقي عفراء، أنا لم
أقصد أي سوء.
تفكرت في الأمر، ربما هي فرصتها المواتية لتنتهي من كلّ هذا، لانت
ملاحظتها لتلتفت صوبه متسائلة بحاجبين منعقدين: أين مكان العشاء؟؟
زفر بارتياح طفيف ليجيب بحذر: اختاري المكان المناسب.
سكت لثانية قبل أن يردف بلهفة وقد أنار عقله بفكرة جميلة: هنا لو
أردت؟

هذا هو المكان الافضل، خاصة أن لا كاميرات مراقبة ممتدة من مدخل المجلة وحتى الحديقة، فلتقتله هنا وترحل حيث لا يعرفها أحد، أشارت له برأسها موافقة، فاجتاحت محياه ابتسامة عريضة ليقول بحماس: في الغد إذًا. راقبت ابتسامته السعيدة بمشاعر متضاربة، وذينك الحيين لا يتركها لسبيلها ولا ينتصر أحدهما فترتاح، علام أنت سعيد بالضبط ماجد؟؟ ألا تدري أنّ عشاء الغد هو عشاؤك الأخير؟؟؟

استاذنت لتعود إلى مكتبها، تاركة إياه في مكانه يفكر فيما سيفعله غداً، حقيقة هو لم يكن مخططاً لشيء، لكن فؤاده وعقله تعاضداً في هذه اللحظة، لحظة استشعر ألمها، ليجبراه على اتخاذ أهم قرار في حياته، فإما يكن أذكي قراراته، أو أغباها على الإطلاق.

حماس عجيب طغى عليه، وفي ذهنه تلتمع فكرة لطيفة، ينقصه فقط أن توافق، فقط أن تقول أجل.

خَطَط جهاد وتفكر، انتظر حتى خرج جميل كالعادة للقاء فاروق خارج مكتبه، سارع لإقفال الباب الذي يكشف مكتبه هو عن الممر فلا يدخل أحدهم بغتة ويفتضح أمره، دخل غرفة المكتب ليتجه من فوره إلى خزانة جميل السرية، أخرج مابها من أوراق مراقباً الشاشة بحذر خشية أن يعود جميل فجأة، ما وجده من أوراق كفيل بأن يودي جميل ومن معه إلى التهلكة، وجد جميع الصفقات المشبوهة، أسماء جميع شركاه، أما مكافأته

الكبرى كانت عندما وجد حسابات جميل المصرفية في المصارف المحلية والدولية، كذلك سندات جميع أملاكه، فكرة خطيرة مرتّ بباله، ولم لا، العين بالعين والسن بالسن، والمخادع أظلم.

بعد بعض الوقت، كان جهاد يحضر الملف الذي سيقضي على جميل نهائياً، بعد أن أخفى الأوراق من خزانة الأخير كلها، فيما هو شارد يفكر في خطواته القادمة، اقتحمت بيلا المكتب، وقفت أمامه لتضرب بيدها على سطح المكتب لينتبه جهاد إليها، قطب جبينه متابعاً إياها وهي تحدثه بغضب ومن بين أسنانها: اسمع جهاد، لقد بلغ صبري مبلغه، والآن هذه آخر فرصك، ستخبرني بسبب تبدل معاملتك معي، وإلا

قاطعها واقفاً قبالتها قائلاً باستهزاء: وإلا ماذا آنسة بيلا؟؟ ماذا ستفعلن؟؟ خبت شجاعتهما لتتحول ملامحها إلى البؤس، ارتجفت شفتاها كطفل بدا على وشك البكاء، تحدثت بنبرة ضعيفة، مغايرة لتلك التي كانت تحدثه بها منذ لحظة: لماذا تفعل كل ذلك معي جهاد؟؟ ما الخطأ الذي ارتكبته لتعاقبني هكذا؟؟

أردف باستنكار: أعاقبك؟؟

لترّد مؤكدة: نعم تعاقبني، أنا لست غبية جهاد وأدرك أنك معجب بي، لكن ما لم أستطع فهمه بعد هو سر تبدلك المفاجئ؟؟

زفر بغیظ عمياء أنت، معجب فقط؟؟ ألم تدري مدى عشقي وغرامي لك؟؟ أدار ظهره إليها نافخاً بضيق، يخشى إن بقي تحت تأثيرها سيزلّ لسانه

ويخبرها بالحقيقة، لذا فضّل الهروب، للغد فقط، أرجوك اصبري للغد
لأحررك وأحرر نفسي.
شعرت بأن بقاءها لا طائل منه، زمت فمها بقهر لتخرج من مكتبه باكية
وقد سمع شهادتها، أغمض عينيه بألم، صبراً يا الله، فقط ألهم فؤادي الدامي
الصبر والجلد.

فتحت رجاء باب منزل سمية الخاص بمفتاح الأخيرة، دفعتها أمامها
لتسقط على وجهها بإهانة، دلفت الأولى لتغلق الباب بعنف، تجاوزت سمية
ثم حدثتها بلهجة أمر: هيّا، وضبي أغراضك لتعودي معي إلى المنزل.
وقفت قبالة والدتها بكرباء عجيب، مسحت دموعها السوداء بعنف
ليتلطخ وجهها أكثر، متحدثة بعناد: لا أُمي، لن أرحل من هنا، ولن أعود
إلى تلك الزريبة التي تسمينها منزلاً.
احتقنت أوداجها من وقاحة ابنتها فسألتها، معتقدةً بصفاء نية أن هناك
جزءاً طيباً من قلب ابنتها لتخاطبه: زريبة؟؟ لقد آوتنا تلك الزريبة وحمتنا
من غدر أقرب الناس إلينا.
لم تؤثر كلمات والدتها فيها، فيما تابعت رجاء بما يشبه العتاب: لقد
اعتقدت أنك اشتريت هذا المنزل بكّد يمينك، لكن الحقيقة كانت أنك
قد بعث نفسك لتشتريه؟

ابتسمت سمية بسخرية لتسير متجهة إلى كرسي منفرد في الصالة لتجلس عليه، متشدقة ببساطة كأن الحديث لم يكن موجهاً إليها: وما المشكلة في ذلك؟؟ نعم أمي، لقد بعثُ جسدي لأشتري هذا النعيم الذي أعيش به، لكن لو إني بقيتُ عفيفةً فما الذي كنتُ سأجنيه؟؟

صدمت رجاء بطريقة تفكير ابنتها، نعم تعلم أنها كانت تطمح إلى الثراء، لكنها لم تتخيل في أسوأ الأحوال أن تبيع ابنتها شرفها لقاء المال، لقد ظنت أنها اشترت هذا المنزل بالتقسيط، لكنها تيقنت الآن أن سمية قد وقعت في وحل أسود لا أمل بالنجاة منه، قطعت المسافة بينهما لتقف قبالتها، رفعت يدها لتستقرّ على وجنة سمية، جرّت الأخيرة على أسنانها متحسّسة طعم الدماء في فمها، نظرت إلى والدتها وعيناها تنضحان غلاً، تحدثت رجاء بحبيبة أمل حقيقية: أسفي عليكِ يابنتي، لقد أعماكِ المال واللهات خلفه عن معنى الشرف والعفاف، المال لن يشتري لك السعادة أبداً.

انتفضت سمية في وجه والدتها، لتنكرها في كتفها صارخة بحقد: بل يشتريها أمي، ويشتري أشياء كثيرة عجزت أنت عن تأمينها لنا. كانت تعابير وجه رجاء أبلغ جواب لسمية وحقدها، حركت رأسها للجانبين قائلة ييأس: آسفة لأنني فشلتُ في تربيتك، حقاً آسفة.

التفتت رجاء لتغادر، عندما لكرتها سمية من جديد صائحة: علام تتأسفين؟؟

احتلّ توازن رجاء من دفعة ابنتها، فوقعت على الأرض لتضرب رأسها بطرف الطاولة المدب، تابعت سمية صراخها كمن فقد عقله: الشيء الوحيد الذي يجب أن تتأسفي عنه هو الفقر الذي عشنا فيه أي، لذا لا تلوميني لو حاولت أن أصلح حياتي.

لم تجبها والدتها، لتنتبه لتوها أن رجاء لم تتحرك مذ وقعت، عاد عقلها إليها لتهمس بخفوت ودمعات تتسابق في الهطول: أي؟؟

لاحظت من خلال عبراتها بقعة الدماء التي نفرت من تحت رأس أمها، لتستوعب لتوها ما حدث، زاغت أنظارها وانقطعت أنفاسها هلعاً، جثت فوق والدتها لتحركها بعنف تحاول أن توقظها، لكنها كانت قد سلّمت روحها، صرخت سمية برعب، بلهفة، برجاء، ولا محيب ولا مغيث، استلّت هاتفها الأرضي من على الطاولة لتحادث الإسعاف، ولكن كان الأوان قد فات.....

وضع جهاد ملف البريد اليومي ليقعه جميل، كان وجهه جامداً بلا تعابير واضحة، فيما الآخر فتح الورقة الأولى ليدققها ثم يقوم بتوقيعها، كذلك فعل مع الأوراق التالية، تأفف بضيق من كمّ الأوراق في الملف ليحدث جهاد: هل راجعت جميع هذه الأوراق؟؟

إنه سؤاله المعتاد له في كل مرة يقوم بتوقيع البريد، والذي كان في كل مرة عبارة عن أوراق غير مهمة، من إجازات موظفين أو شكاوى عن أمر ما،

ولأن جهاد قد حفظ تحركاته وعباراته في المدة الماضية، فقط علم أنه سيسأل هكذا سؤال، أو ما له برأسه متحدثاً: أجل سيدي، لقد راجعتها جميعها ولا شيء مهم فيها، فقط بعض الإجازات وفواتير الكهرباء والهاتف. كان جميل يثق بجهاد لدرجة كبيرة، لما رآه من اجتهاده وأمانته خلال عام كامل، إضافة إلى سجله النظيف، حرك رأسه بإيجاب ثم قام بتقليب الأوراق ليقعها بسرعة وإهمال دون قراءة حرفٍ مما فيها حتى انتهى، رفع الملف إلى جهاد متحدثاً بابتسامة عريضة: أنا أثق بك جهاد، لذا وقعتُ الأوراق دون مراجعتها.

ربما لو كان في موقف آخر وشخص مختلف لشعر بالخزي والندم، لكنه وأمام جميل هذا، فهو أكثر من سعيد لما فعله، ابتسم بمكر لم يلاحظه الآخر رغم دقة ملاحظته، محبباً بذبرة ذات مغزى: أشكرك لثقتك الغالية سيد جميل، وأعدك أنك لن ترى مني سوى ما يسرك.

أشار له الآخر بامتنان، فاستأذن جهاد ليخرج، اتجه إلى مكتبه فوراً ليخرج ورقة التوكيل العام، والتي وقعها جميل للتو دون أن يدري، تنفس براحة ولحن الانتصار يُعزف بين ثنايا عقله، لقد اقتربت الساعة يا أمي. استلّ هاتفه النقال أولاً ليبعث برسالة إلى مهند يخبره: لقد تم الأمر ووجدت الكنز، إلى اللقاء مساء.

أغلق هاتفه ليسحب الآخر المكتبي، وبمحادثة واحدة قام بتحويل جميع أموال جميل إلى رصيد آخر، مستخدماً كلمات السر والأرقام التي وجدها في خزانة جميل السرية.

جلس صهيب في صالة قصر آل الصايل، بانتظار أن تحنّ عليه نورا وتقبل برؤيته، لم تكن نازك متواجدة في القصر، كذلك ماجد وبيسان وهذا ما أعطاه بعض الأمان، انتبه إلى قدوم الخادمة لتخبره برفض نورا للنزول إليه، وقف ليتطلع إلى الأعلى بخيبة، على ما يبدو أن العقاب سيطول أكثر. مشى نحو الباب يسحب قدميه قسراً، إحساس خفي داخله أجبره على التوقف قبل أن يبلغ الباب، نهره قلبه يجب أن تنهي كل شيء الآن صهيب، التفت إلى الطابق الأعلى، إن لم ترغب بالنزول فلأصعد أنا إليها، سأل الخادمة وعيناه معلقتان في الأعلى: أين هي غرفة الآنسة نورا؟ رغم ريبة المعنية من سؤاله لكنها أجابت باحترام: إنها الثانية في الممر الأيمن سيدي.

حرك رأسه متفهماً، ثم ودون أن تستوعب الخادمة، كان صهيب يصعد الدرجات قفزاً متجهاً إلى مالكة القلب والفؤاد.

جلست نورا في شرفتها ضامّة قدميها إلى صدرها، وتستند بيديها عليهما، وقد أراحت ذقنها على ذراعيها شاردة في الأفق البعيد، منذ أن أخبرها صهيب بالحقيقة قررت معاقبته، خاصة أنه اعترف بحبه لها، لذا قررت أن

تعلمه ألا يخفي عنها أمراً، فاخفت من أمامه، لم تذهب إلى عملها ولم تخرج من غرفتها أبداً، فلا تحتك بماجد والذي سقط من عينها، بعد تأكدها من أنه اعتدى على نادية فعلاً وليس ادعاءً كما ظنت.

شعور طفيف من الندم اعترها بعدما رفضت رؤية صهيب، لقد اشتاقت إليه ولتواجهه حولها، لكنه يحتاج إلى بعض التربية بعد.

فتح الباب فجأة أخرجها من شرودها، لم تلتفت حتى سمعت صوت الخادمة يصدح برجاء: لو سمحت يا سيد أرجوك.....

جحظت عينها بعدم تصديق عندما رأت صهيباً أمامها، ومعها بغرفتها، وهي تردي بدلتها الرياضية؟؟!!

ازدردت ريقها بخرج لم تظهره وهي تطالع وجه صهيب ونظراته المشتاقة، أشارت إلى الخادمة بأن تخرج ففعلت فوراً، تنفست بعمق ووضعة كلتا يديها في جيبها بذلتها لتتحدث بجفاء اختلقته: هل ترى تصرفك من الذوق أيها السيد المحترم؟؟ أن تدخل إلى غرفة نوم فتاة غريبة عنك؟

لم يتمكن من منع ابتسامة عريضة من الارتسام على شفثيه، سيفعل مايجبره به قلبه، فلتنهره، فلتصرخ به، فلتضربه لوقاحته حتى، المهم أن يطفئ نار قلبه المشتعل، بخطوات سريعة قطع المسافة بينهما، وقبل أن تستوعب نوراً شيئاً كان يجذبها ليضمها إلى صدره بشوق زاد عن حدّ المعقول، رمشت عينها بعدم استيعاب، تعالى صوت أنفاسها رغماً عنها، لم تتمكن من الحديث كأن صوتها غاب واختفى حقاً، لكنها لا تنكر

سعادتها بفعلته، شقق نفساً من عطر شعرها ليخنقه في صدره، دفن رأسه في تجويف عنقها دون حديث.
رغم تأثرها بفعلته لكنها توردت خجلاً من مكانهما، أجلت صوتها لتهمس:
صهيب.

همهم دون إجابة ليدفن رأسه في شعرها أكثر، ابتسمت رغماً عنها لفعلته فهمست بعناد وهي تحاول التحرر من بين يديه: صهيب لا يصحّ ما تفعله،
قد يدخل أحدهم في أية لحظة؟

حرك رأسه بنفي بعناد، لكنها دفعته عنها برفق فلم يرغب بإحراجها أكثر،
ابتعد عنها دون أن يحرر ذراعيها فأخفضت رأسها خجلاً، امتدت يده تحت
ذقنها ليرفع وجهها المتورد قائلاً بابتسامة صافية: دعيني أرى عينيك
سمرائي لأروي اشتياقي.

ابتسمت بسعادة وقلبها يقفز طرباً ويعزف ألحان العشق على يديه، تحدث
هامساً بعتاب وعيناه لا تفارق مقلتيها: ألا يكفي بعباداً نورا؟؟ لقد آلمني
الشوق وأدمى قلبي، ألن يحن فؤادك عليّ أميرتي؟؟

ابتسامتها التي زادت تألقاً كانت أبلغ جواباً على سؤاله، ابتسم ويكاد يبكي
من فرط التأثر، فتابع متعهداً: وأنا أعدك لن يكون بيننا أسرار مهما بلغ
صغرها.

همست وهي تحرك رأسها موافقة: وأنا أعدك أن أسعدك وأنسيك آلام
الماضي كله صهيب.

رفع كفيها ليلثهما مضيئاً بصدق: مذ دخلتي حياتي نورا نسيت الماضي،
أقسم لك أنني لا أريد شيئاً بعد، فقط وجودك في حياتي يكفيني.
عاد ليعانقها فبادلته، يهمس بحبها لتخبره باعترافها.
الحب ليس أن تبحث عن الأجل والأوسم، بل أن يكون نصفك الآخر، أن
يكون داءك ودواءك، أن يكون شمساً لنهارك وبدراً في ليلك الحالك.

سرف ماجد الجميع مبكراً هذا اليوم، نفذ فكرته التي لمعت في ذهنه دون
تأخير، حتى عاد إلى منزله في وقت متأخر، ليجد والدته تقف غاضبة توبخ
بيسان الجالسة في الصالة، رمى سترته بإهمالٍ على الكرسي ليتحدث بتعب:
ما الأمر؟؟

استدارت نازك بكل جسدها المشدود نحو ابنها لتصرخ باهتياج: تعال
ماجد، تعال واسمع حماقات شقيقتك.
نفخت بيسان باستياء من جملة والدتها، فيما جلس ماجد بجانبها ليحاوطها
بذراعيه متسائلاً: ما الأمر عزيزتي بيسان؟؟

جحظت عينا نازك مما تراه، منذ متى وماجد لديه هذا الحنان؟
تحدثت بيسان لتخبره بلطف: اسمع ماجد، لقد تقدم أحمد لخطبتي، وفي
الحقيقة أنا موافقة، فما رأيك أنت؟؟
ابتسم ليربت على كتفها بدعم متحدثاً: ما دام أنت موافقة بيسان فلا مانع
لدي.

فلت أَعْصاب نازك وقبل أن تصرخ بكليهما، كانت نورا تنزل على الدرج بسرعة، لتهتف قائلة بتقرير عندما لمحت تجمع عائلتها: لقد اتفقتُ مع صهيب، سيتم زفافنا الأسبوع القادم.

حتمًا هؤلاء ينوون قتلها بأزمة قلبية، التفتت بجسدها إلى ابنة زوجها لتنهرها بغلظة: طبعاً أنا غير موافقة، كيف سنجيز للحفل بهذه المدة القصيرة؟

رفعت نورا كتفيها بلا مبالاة لتجيب: لن نحتاج للتجهيز نازك هانم، فزفافنا سيكون بسيطاً غير متكلف.

تهدل كتفاها بذهول لتصرخ بها بغضب: مستحيل.

لم تعرها نورا اهتماماً، بل التفتت إلى ماجد لتسأله: ما رأيك ماجد؟؟
ابتسم باتساع ليخبرها بخنان: كما تريدن عزيزتي نورا، إنه زفافك أنتِ في النهاية.

بادلته شقيقته بسمته لتلقي إليه قبلة في الهواء لتصعد من جديد إلى الأعلى، تحت أنظار نازك التي تكاد تفترسها، أعادت أنظارها إلى ماجد وبيسان لتوبخهما، قبل أن يسمع منها ماجد ربت على كتف شقيقته الصغرى متحدثاً: وأنت بيسان، اصعدي إلى غرفتك لترتاحي، وبلغني أحمد أن يحادثني لتتفق على موعد ليحضر عائلته.

ابتسمت بيسان بسعادة لوقوف شقيقها بجانبها ودعمه لها في اختيارها، قبلته من وجنته لتصعد لاحقة بالعاصية الأخرى، أما نازك فكانت تميزُ

غيظاً من تصرفات ماجد الباردة مع أختيه، زفرت من أنفها بحدة لتحديثه بسخرية وهي تكتف يديها أمامها: منذ متى ولديك هذا الكم الهائل من الحنان ماجد؟ أكاد لا أعرفك حقاً؟

تجاوز سخريتها ليقف متجهاً إلى سترته القماشية، فظنت والدته أنه سيغادر هو الآخر فصرخت بغيظ: قف مكانك وحادثني ماجد، أنا أكلّمك هنا.

استدار إليها وفي يده علبة مخملية سوداء أنيقة، قطبت جبينها بتفكير تحول إلى استغراب عندما تحدث ماجد بنبرة حاسمة: أنا سأخطب في الغد أيضاً أمي.

تهدلت ذراعاها وهي تطالع وجهه الجاد، ظنت أنها توهمت ما قال فتساءلت بصدمة: ما الذي قلته للتو ماجد؟؟

لم تتبدل تعابيره مجيباً: كما سمعتِ أمي، غداً سأطلب يد الفتاة التي استطاعت أن تفعل ما لم يفعله سواها.

تحولت نبرته إلى مزيج من العتاب والسخرية مردفاً: لقد علمتني المعنى الحقيقي للأخوة أمي، قربت بيني وبين أختي، الأمر الذي لم تملكي وقتاً لتفعليه.

حمل سترته ليضعها على كفه، ليخاطب أمه كأنه يملئ عليها أوامراً: سأدعم أختي في رغباتهن أمي، إنها حياتهما فلتقررا ما تفعلانه فيها.

راقبته بصدمة عظيمة صاعداً بدوره إلى الطابق العلوي، ما الذي حدث ليخرج الجميع من تحت جناحها بهذا الشكل؟؟، سقطت على الأريكة خلفها ناظرة حولها، سيفرغ هذا المنزل قريباً ولن يبقى أحد لتمارس سلطتها وجبروتها عليه، فكيف ستقضي حياتها؟.

صباح يوم جديد، لكنه لا شك مختلف للكثير.
منتصف الليلة الماضية أرسلَ بريداً إلكترونياً من مجهول إلى جميل، يخبره فيه بأن أمواله جميعها قد تمَّ تحويلها إلى حساب آخر لا يعرفه، وأن تأكيد التحويل كان بكلمة السر الخاصة به وحده ، وكذلك أرسلت إليه صورة عن التوكيل العام الذي وقع بخط يده، جنّ جنونه واتجه من فوره إلى الشركة، فتح خزنته السرية ليجدها فارغة تماماً، ولم يكن بحاجة إلى التفكير لمعرفة من فعلها، فليس هناك من أحد قد يمكنه دخول المكتب خلا جهاد، جلس في مكتبه يفكر في خطوته القادمة حتى طلع الفجر، ما أن لمع أول خطوط ضوء النهار حتى صدح هاتفه برسالة جديدة، كانت من جهاد وقد أرسل إليه عنوان منزله، مضيفاً في رسالته: لو كنت تريد أوراقك فتعال إلى هذا العنوان.

لم يتأخر جميل عن تلبية الدعوة، فهو على علم بأن الأوراق التي يمتلكها جهاد قد تؤدي به إلى أسفل سافلين، وصل إلى العنوان المطلوب فترجل من

سيارته متطلعاً إلى الحيّ البسيط حوله، تأفف بقرف ثم حثّ خطاه إلى مدخل المبنى، وقبل أن تطأها قدمه، خرجت ميساء لتقابله. تلقائياً عاد إلى الخلف بعيون متسعة ومفاجأة جليلة، بينما كانت نظرات ميساء له باردة، جافة، لا أثر لأية مشاعر نحوه حتى الكره والحد استكثرتها عليه، لم تدم مفاجأته سوى لحظات ليتدارك الأمر ويربط الخيوط ببعضها، ابتسم بتهكم هامساً: ميساء، هل جهاد ابنك؟؟

لم تجبه فدخل في وصلة ضحك ساخر هستيري، سكت فجأة ليصرخ بها بغلّ: أجيبيني، هل جهاد هو ابنك أنت؟

رغم توترها من لقائه بعد هذه السنوات، لكنها أجابته بثبات: نعم، جهاد ابني.

صفق بيديه وعاد لضحكته الساخرة، حرك رأسه للجانبين متمتماً: غير معقول!! كيف لم أربط بين ملاحك وملاح وجهه؟؟

استحالت ملامحه إلى الغضب مجدداً، جَزَّ على أسنانه ليتحدث بغضب مكتوم: أين جهاد الآن؟

كثفت يديها أمام صدرها تسأله بلا مبالاة: ماذا تريد منه؟؟

صرخ بكل ما أوتي من قوة وحقد: ابنك سارق، لقد سرقني.

ابتسمت بتهكم، وبنبرة غادرتها الحياة همست وقد اغرورقت عيناها: معك حق، ولدي سارق، لكن ماذا أفعل؟ فكما يقال من شابه أباه فما ظلم.

لوهلة تجمدت نظراته فوق وجهها مباشرة، لم يفهم مغزى كلمتها حتى مرت لحظات، بهتت ملامحه عندما ظهر جهاد من خلف ميساء يرمق والده بنظرات كافية لقتله، تسارعت أنفاس جميل بمشاعر لا يستطيع وصفها، جهاد ابنه؟؟ وقد كان أمامه لعام كامل دون أن يدري!!

ظهر مهند من حيث لا يدري برفقة عدد من عناصر الأمن ليكبل ذراعي جميل خلفه متحدثاً برسمية: سيد جميل معي أمر بإلقاء القبض عليك، يمكنك أن تلتزم الصمت فكل ما ستقوله وتفعله سيستخدم ضدك في المحكمة.

لم يبدِ الأخير أية ردة فعل أو مقاومة، فقط كان شاردًا في وجه جهاد الذي كان ينضح كرهاً وهو يحتضن ميساء بذراعيه، تيقن أن ميساء لا تكذب فهي لن تستطيع الزواج بعده لأنه لم يطلقها، حقيقة أن جهاد ابنه أصابته في مقتل، رمش بعينه وأحاسيس مختلطة أصابته لحظتها ليدرك لتوه أن القدر بارع في جعلك تقف لتشاهد كل ما بنيتَه خلال سنوات ينهار أمامك في لحظة ومن أقرب المقربين دون أن تدري.

تمّ إيداع جميل في غرفة خاصة للتحقيق معه وقد تم وضع حارسين على بابها، فيما كان جهاد يسعى لإقناع مهند بأن يتولى هو التحقيق مع جميل، أخيراً وافق مهند بعد عناء طويل.

دخل جهاد إلى الغرفة حيث كان جميل، رفع الأخير رأسه ليطالع وجه ابنه الجامد بخليط عجيب من الكبرياء والندم، جلس جهاد قبالة دون أن يححر نظراته، رمى الملف الذي يحمل أوراق صفقات جميل على المكتب، ليتحدث بذبرة محايدة: أعرفك بنفسي، الضابط جهاد عبد الله، المسؤول عن التحقيق معك.

ابتسم الآخر ساخراً ليردف: ألا تقصد جهاد زاهي؟

علم أن جميل سيعتمد استفزازه فقال غير مبالي بكلماته: مئات التهم موجهة إليك سيد جميل، فهل ستعترف بالحقائق كلها، أم سنلجأ إلى استخدام أسلوب لن يعجبك؟

رفع جميل حاجبيه بدهشة معلقاً: هل ستضرب والدك جهاد؟؟

تجاهله تماماً قائلاً بأسلوب أكثر حدة وهو يفتح الملف أمامه: دعنا نبدأ فوراً سيد جميل، لا داعي للمماطلة فأنت تعرف أن ما لدينا من إثباتات تجعلك تقضي ما تبقى من عمرك بين جدران السجن.

أعاد ظهره للخلف ليرمقه بثقة قبل أن يتحدث: لن أتحدث بشيء، وصدقتي حين أخبرك بأنني سأخرج من هنا أسرع مما تتخيل.

ثبت جهاد نظره عليه، ليضيف الآخر بهمس مغرور: معارفي كثر جهاد، والجميع يعلم أنني إن سقطت فسيستقون قبلي.

عرف إلى أين يرمي مؤكداً أن الشخصيات النافذة التي يعرفها ستعمل على انتشاله من أزمته خوفاً من افتضاح أمرهم، لكنه لن يسمح بهذا أبداً، كاد

أن يتحدث بشيء عندما رن هاتفه وقد كانت مساعدة اللواء عبد الرحمن تطلب حضوره لرؤية الأخير على وجه السرعة، قطب جبينه بتفكير، حدسه يخبره بقرب حدوث مصيبة، لكنه نفذ الأمر.

خرج ليقف أمام الحرس يخبرهم بعدم إدخال أحد مهما علت رتبته، مشى في الرواق الطويل ليصعد إلى الطابق الأعلى، وقف أمام المصعد ليكتشف أنه معطل، تأفف بضيق ثم تابع مسيره ناحية الدرج في آخر الرواق، كان مهندس في الطابق الثاني فصدح صوته ينادي على جهاد استغراب: ما الذي تفعله هنا جهاد؟؟ أأست في التحقيق؟

ابتسامة باهتة لم تصل إلى عينيه ليخبره: لقد حادثتني مساعدة سيادة اللواء يطلب رأيي على عجل.

عقد الآخر حاجبيه ليقول بعين ضيقة: مساعدة اللواء؟؟؟ لكن اللواء لا يملك مساعد بل شاب يدعى رحيم؟

انتقل شكه إلى جهاد، فوقف لثانية يتفطن الأمر وملابسائه، ثوانٍ مرت قبل أن تنقطع الكهرباء اتسعت عيناه ليهمس بفرع قبل أن يطلق قدميه للريح: جميل سيهرب!!

تيقن مهندس من كلمته، فأخرج هاتفه النقال ليشعل الكشاف لاحقاً بجهاد، استغرقهما الأمر قرابة الأربع دقائق ليصلا إلى غرفة التحقيق ليجدا الباب مغلقاً، عاد التيار الكهربائي فتطلعا إلى بعضهما باستغراب دام لثانية، تعاون كلاهما ليدفعا الباب بأكتافهما حتى فتح لتستقبلهما غيمة دخانية

بيضاء، سعل مهند واضعاً ذراعه على أنفه وفمه متحدثاً باختناق: إنه غاز سام جهاد!!

أخرج الآخر منديلاً يضعه على أنفه قبل أن يدخل، ليجد جميل واقعاً على الطاولة وعيناه جاحظتان وفمه مفتوح دليل على اختناقه، كذلك وجد الحارسين المكلفين بحماية جميل هناك، مات أحدهما فيما كان الآخر يلفظ آخر أنفاسه، انحنى جهاد إليه صارخاً به من خلف منديله: من الذي فعل هذا؟؟ أجبني؟

جاهد الحارس ليخبره لكن صوته خرج خافتاً، اقترب جهاد من فمه لسمع الاسم الذي نطقه الحارس قبل أن يُسلم الروح. وقف جهاد بعينيه المتسعيتين يطالع الغرفة حوله، دق عقله نواقيس الخطر وهذه المرة ربط الأحداث والأسماء ببعضها، ليكتشف الحقيقة المرة.

تفحصت ملابسها التي ارتدتها لموعد العشاء هذه الليلة، كانت عبارة عن سروال قماشي أسود وكنزة خفيفة باللون الأبيض، لتغطيها بستره الجلدية سوداء وفي قدمها حذاء رياضي أبيض، مسدت على شعرها المستعار بتهذيب لتركه مفروداً على كتفيها، تنفست بعمق واضعة يدها على صدرها، خفقات قلبها المرتعبة لا يمكنها السيطرة عليها، حملت حقيبتها الجلدية لتتفقد المسدس هامسةً بعزم: فلننتهي الليلة، فلتتحرري من عفراء لتعودي نادية، الليلة.

حملت الحقيبة الأخرى، والتي وضعت فيها بعض الثياب القليلة التي قد تحتاجها، ستقتله الليلة وترحل عقبها إلى مكان لا يعرفها أحد فيه، لقد تدبرت أمرها وأمنت مكانها، ستودع ماضيها وتدفنه معه، جالت بأنظارها على المنزل كمن تودعه، خرجت لتقفله ثم عرجت على الحارس لتعطيه المفتاح، استقلت سيارة أجرة متجهة إلى المجلة، لم تستغرق وقتاً طويلاً للوصول، طالعت المبنى بنظرات مترددة فانتبهت إلى صوت سائق السيارة الذي سألها إن كان هذا العنوان المطلوب، التفتت إلى الرجل الأربعيني لتخبره بأنها ستودع صديقة لها تعمل هنا ويجب أن ينتظرها، أوماً لها الرجل بطاعة فتركت حقيبة ثيابها ثم ترجلت لتدخل إلى المبنى وتتجه فوراً إلى الباب المؤدي إلى الحديقة، لاحظت خلوّ المجلة من الجميع حتى الحرس، حسناً هذا سيكون أفضل لها بكثير.

قبضت على مقبض الباب وقبل أن تديره أغمضت عينيها للحظة نافخة بضيق، هذا القلب الأرعن سيكون سبب دمارها بلا شك، استجمعت شجاعته لتدلف إلى الحديقة، فغرت فاهها بدهشة وهي ترى ماجد يقف قبالة الباب بوسامة مجنونة، وبجانبه طاولة كبيرة عليها ملاءة حمراء مزركشة بخيوط ذهبية، وفوقها كانت شموع معطرة حملت نفس لون الغطاء، بعض أطباق الطعام التي لم تتبينها بعد جوّ شاعري هادئ بشكل مخيف، لاحظت تقدم ماجد نحوها برزانة وابتسامة حنون، رفعت أنظارها

وجبينها مقطب عندما طالعته لافته عريضة أول الحديقة تحمل اسم
(عاشق فينوس).

كان قد وقف أمامها في هذه اللحظة، مدّ يده إليها بنبل لم تتمكن من
رفضه، مدت يدها بالمقابل بتردد عظيم لتضربها برودة قاتلة لحظة لمس
كفها، قادها إلى طاولة العشاء التي لم تكن بعيدة، حرك لها الكرسي
بتهديب لتجلس ثم احتلّ المقعد مقابلها، ابتسمت بمكر لتقول مصطنعة
عدم الفهم: فينوس؟؟

مازال محافظاً على ابتسامته التي تجبرها على التطلع إليه، ليردف بهدوء:
فينوس آلهة الجمال عند الإغريق.

رفعت ذقنها بترفع متحدثه بنبرة لم تخلّ من التحدي: هل بإمكانك أن
تصفها؟ ما لون بشرتها؟ ما طول قامتها؟ لون شعرها وعينيها؟

ظلت ترمقه بنظرة انتصار حتى تحدث أخيراً بنبرة صادقة: لكل عاشق
فينوس خاصة به، دائماً ما تكون أحلى من صاحبة الأسطورة في عينيه،
فهي تختصر كافة النساء باسمها، والعاشق يرى حبيبته بقلبه ويحفظها
بعينه.

كلماته شاعرية تلاعبت بعقلها، فسألته بهدوء وجدية: هل لديك فينوس
خاصة بك؟؟

أوماً لها موافقاً ببطء مردفاً بهمس: نعم، أنت.

في هذه اللحظة، مشاعر كثيرة هاجمتها، شعرت بأن أنفاسها على وشك الانقطاع، خافقها يهدر بسرعة وجنون لحدود له، رفعت كوب الماء المسنود أمامها لتبلل ريقها الجاف من فرط التأثر، فيما هو يرمقها ببسمته الهادئة ونظراته الموترة، وفي ذهنه تعزف ألحان العشق، وكلمات من الشعر تصدح في الخلفية:

أغار على أعطافها من ثيابها. إذا ألبستها فوق الجسم المنعم.

وأحسد أقداحاً تقبل ثغرها. إذا وضعتها موضع اللثم في الفم.

ما يشعر به الآن كاف ليؤكد لنفسه أنه هواها، بل وعشقها، وما يراه من تلبك وارتباك ظاهر عليها يبرهن له بأنها تبادله، هذه هي لحظتك ماجد، تقدم.

وضعت الكأس من يدها محاولة التغلب على الرهبة التي سيطرت عليها بعد اعترافه، تابعت عيناها يده وهو يرفعها إلى جيب سترته الداخلي، ارتجفت بعنف الويل لها إن كان سيجنّ ويفعل ما تفكر فيه؟؟

همست بسرعة وثبات رافعة عينيها إلى وجهه: أريد دخول الحمام.

بهتت ملامحه وتوقف كفه قبل أن يبلغ العلبة، ليردد بغباء: الآن؟؟

بنبرة هادئة أجابته: هل هناك ما يمنع؟؟

رفرف بعينيها بداية ثم مالبت أن أشار لها قائلاً بقلّة حيلة: لا أبداً، تفضلي.

راقب خطواتها الهادئة حين ابتعدت ومعها حقيبتها، لا بأس ماجد ستتقدم إليها عندما تعود، فلا تجزع.

استندت بيدها على الحوض الرخامي، تلهث كمن خرجت لتوها من سباق، لا تعرف ما الذي دهاها أوجعها أن ترى الحب في عينيه، في حين يجب أن تكون على النقيض تماماً، تدخل عقلها في الحوار ليخبرها أن لا تراجع ولا استسلام، ذاك العقرب الذي لدغكِ يوماً لن يتحول إلى حمامة سلام فجأة، إنها فرصتك المثالية فلننتهي من هذه الحيرة والقلق، أخرجت المسدس من حقيبتها لترفعه أمام عينها حقاً فلننتهي هذا الصراع.

كان ماجد يمشي بهدوء في الحديقة ينتظرها، حاملاً علبة الخاتم في يده يقلبها بين يديه بسعادة حين انتبه لعودتها، قابلها بابتسامة صافية تحكي عن مشاعر صادقة في فؤاده لها وتبثها كل اشتياقه، وقفت أمامه بوجه لا يحوي أي نوع من المشاعر، رmqها بنظرة مطولة قبل أن يركع على الأرض ثانياً إحدى ركبتيه تحته، رافقته عيناها بلا تأثر واضح، ليتحدث بنبرة خافتة مربكة ودمسة أصابت خافقها في مقتل: قلبي صحراء خاوية، ودائماً ما كنت أبحث عن غيمة ترويه حتى وجدتكَ أنتِ.

فتح العلبة ليظهر الخاتم الماسي أنيقاً يبهر النفوس، لم تفارقه بسمته وهو يرمقها بنظرته العاشقة مضيئاً بنبرة متيمة: هل تقبلين أن تكوني عفراي؟

تلاًأت عيناها بالدمع دون أن تحرره، أيها العابث الأحمق لا تدري ما فعلتَ بفؤادي الآن !!

تنفست بعمق وشدت يدها على حزام حقيبتها، مردفة بلامح واجمة ونبرة جامدة: ماذا لديك لتقدمه لي؟؟
 اتسعت ابتسامته ليجيبها بهيام صادق: أحلى الكلمات وأصدق المشاعر، وأجمل عبارات الغزل، لديّ هذا القلب الذي سيكون طوع بنانك.
 رمشت عينها بتمهل وهي ترمقه بجمود، في هذه اللحظة، ورغم صدقه، لكن عقلها فاز هنا، إياك وتصديق كلماته، إنه ثعلب مكار، تذكرني والدتك.

والدتي؟؟ آه يا حزني ويا كمدي!!

مرت ثانية.....اثنان.....ثلاثة لم تحبّ ملامحه الهائمة، أسقطت حقيبتها الفارغة أرضاً وعادت إلى الخلف خطوة واحدة لتمتدّ يدها خلف ظهرها وتخرج سلاحها لترفعه أمام وجه ماجد المصدوم حرفياً، اتسعت عيناه بصدمة جليلة عندما وضعت فوهة المسدس على جبينه، انشلت حركته فوقعت علبة الخاتم منه دون أن يتمكن من النظر إليه، ومازال راکعاً ينظر إلى عفراء بأنفاس تتلاحق بعدم استيعاب وتصديق، تحدثت بنبرة مخيفة: ألا تؤمن بأن لكلّ منا قدراً سيلاقيه؟؟؟

همس يسألها بصدمة ونبرة خافتة: من أنت؟؟

ابتسمت بلا حياة وعيناها تلتمعان من الدموع، لكنها قاومتها لتخبره بشماتة: أنا قدرك ماجد.

لم يستوعب مقصدها حتى امتدت يدها الأخرى لتخلع الشعر المستعار،
جحظت عيناه وهو يتابعها تخلع العدسات تلقىها فوق شعرها، كادت
مقلته تخرج من محجريهما هامساً بنبرة جمعت بين الاستنكار وعدم
التصديق: نادية؟؟!!!

في لحظة اجتمع كل شيء، الحب والحقد، اللقاء والفرق، الموت والحياة.
أتعلم ما هي أقسى لحظات الحياة؟؟؟
هذه اللحظة بالذات، شعر ماجد بأن حواسه تعطلت أجمعها وأن ما يجري
الآن ليس سوى فيلماً سينمائياً يطالعه على الشاشة.
لكن لا، الحقيقة أنّ الأمر يحدث معه هو والآن، في اللحظة التي اعتقد
بأنها ستكون بوابته إلى النعيم، وإذ به يتفاجأ بأيادٍ غليظة تسحبه من
عنقه إلى الجحيم الأبدي.
تحدث بخيبة حارقة وعيناه مثبتة على وجهها: لقد خدعتني نادية.
ابتسمت بمكر ساخر تجيبه: أنت من خدعتني أولاً، وأنا اليوم أضربك
بعصاك ذاتها.
حرك رأسه للجانبين إنكار لا يصدق ما يحدث، همس بما يشبه الرجاء
وعيناه تتوسلان الوصال: نادية حبيبتي.....

صاحت بغضب أشوس لتقاطعها ويدها حاملة المسدس تهتز أمام وجهه،
وقد تخرج وجهها بجمرة ملتهبة، توحشت عيناها لتحرر أدمعها: نادية التي
تعرفها ماتت..... احترقت منذ أمد.....

ارتجفت شفتها بقوة قبل أن يتحول صوتها إلى الهمس مضيضة بحرقه: لقد
قتلتني.

فرت دمعة حارقة هربت من عينه قائلاً بصدق: وقد ندمت.
ابتسمت بسخرية لتقول وعبراتها تجري كأنهر: الندم بعد الموت لا يفيد
ماجد، كمن يقدم عذراً أقبح من ذنبه.

من أمامه الآن ليست عفراء ولا نادية، هذه صنيعتك أنت ماجد، هكذا
حدّث نفسه ليشعر بخيالاته المتتالية تجتمع لتخنقه، إن كانت حبيبته تريد
قتله فليكن، بعدها لا يريد الحياة، خاطبها بنبرة ضعيفة غادرتها الروح:
إن كان هذا ما تريدين حبيبتي فليكن، لا أمانع أي شيء منك، حتى الموت.
أغمض عينيه مستسلماً لمصيره، لو أنها تفعلها حقاً ليرتاح!!

تباً له من مخادع مآذق، كيف له أن يستسلم لها هكذا؟؟؟ كيف استطاع
ببضع كلمات أن يجعل خافقها يتمرّد عليها من جديد؟؟ لا تكذبي على
نفسك نادية، عفراء أو أياً كنتِ، أنتِ تحبينه، قلبك معلق بحباله مهما فعل
وأذى، تعلمين يقينا لو أنك تعيشين ألف حياة، لأحبيته بألف طريقة.

ارتعاشة مريضة سيطرت عليها وقد تشوشت عيناها عن رؤية محياه
المستسلم كمحارب مخذول خسر معركته، يدها القابضة على السلاح

أنكرتها فلم تستطع أن تضغط الزناد، أخفضت يدها وازدردت ريقها المرّ، نعم تعترف لن تتمكن من قتله كما لن تستطيع مساحته، سيطرت على انفعالها ثم تحدثت بنبرة ثابتة: أعلم؟؟ الآن تيقنت أنني قتلتك دون أن ألوث يدي بدمك، أن تحيا هكذا أفضل عقوبة لك.

فتح عينيه ولا ينكر صدمته من حديثها، لتضيف هي: الآن تعرف معنى أن يتركك أحدهم عالقاً في دائرة خاوية، في اللا مكان.

أخفض ركبته المرفوعة لينكس رأسه بخزي وعار يوصمه، حقاً لو أنها قتلتها لكانت أراحته، شعر بها تبعد حاملة حقيبتها ومسدسها، وغصتها أيضاً، وبعض الراحة تسلفت إلى نفسها، بقدر ما تألمت بقدر ما أوجعته، هذا هو العدل حقاً.

لماذا؟؟

سؤال يعصف بذهنه بقسوة، لماذا رحلت ولماذا عادت؟ لماذا لم تقتله ولماذا رحلت من جديد؟؟

لا يعرف كم بقي على حالته الواجمة تلك قبل أن تضرب عقله صاعقة رعدية بعثت الحياة في أطرافه، لقد رحلت؟ مجدداً؟

انتفض يتبعها مهرولاً، لقد خسرت نادية فحافظ على عفراء، لا تتركها مهما جرى ومهما رفضت، ضمها إليك وادفنها بين أضلعك واطرها لتتوه بين يديك، أنت تعشقها وهي تحبك، إياك والشك بهذا لجزء من الثانية.

وقف أمام مبناه لاهثاً، تطلع يميناً ويسرة لكنه لم يجدها، تلفت كالمجنون
 يصرخ دون فائدة، سقط جاثياً صارخاً بأسى وقد تيقن من الحقيقة المرة
 مرار العلقم، لقد رحلت وهذه المرة، لن تعود !!
 إن الله لا ينسى، رغم ذلك فهو يصفح ويغفر، أما نحن البشر فلا نستطيع
 الغفران رغم أن النسيان هبة متأصلة فينا !!

الاختناق بغاز سام، كان الطبيب الشرعي يخبر جهاد ومهند بجملته تلك
 مغلقاً كيس الجثث على وجه جميل ليخفيه، ازدرد جهاد ريقه بوجه واجم لا
 يُعرف ما خلفه، حاول مهند أن يحدثه لكنه لا يستجيب، يريد أن يعرف
 بماذا أخبره الحارس قبل أن يموت ليجعله على هذه الحال.
 سار في الأروقة بهدف محدد وعينان تنبضان قهراً، كان غيباً أعمى لهذه
 الدرجة !!

وصل إلى مكتب عبد الرحمن فلم يجد هناك أحداً، ضيق عينيه ليقراً الاسم
 المدون على مكتب مساعد اللواء، إنه شاب حقاً.
 حضر عبد الرحمن إلى مكتبه بعدما أبلغه مهند بما حدث، كان الأخير يسير
 خلفه منكساً رأسه يستمع إلى توبيخ رئيسه اللاذع، بعد أشهر طويلة من
 المراقبة الحثيثة والعمل الدؤوب تكون هذه النتيجة؟؟؟ حقاً إنه أمر
 مشرف !!

فتح عبد الرحمن مكتبه ليقطع سلسلة توبيخه فجأة، استغرب مهند الأمر ليرفع رأسه ناظراً حيث ينظر رئيسه، جحظت عيناه بفرع عندما وقعت عيناه على جهاد جالساً مكان عبد الرحمن، سدّد جهاد صوب اللواء نظرات مغلولة قبل أن يصدح صوته الأجوف يخاطب مهند: اتركنا وحدنا.

نقل نظراته بينهما، وجهان جادان وهدوءهما مريع، انسلّ خارجاً مغلقاً الباب خلفه ليتركهما، وبصيص شك تسرب إليه ما الذي يحدث بينهما؟؟

وضع عبد الرحمن كلتا يديه في جيبى سرواله القماشي، حدج جهاد بنظرة متفحصة ليبادلّه الآخر بثانية متحدية، صمت مخيف كهدهوء ما قبل الزلزال، حتى قطعه جهاد بكلمة واحدة: لماذا؟؟؟

ضيق عبد الرحمن عينيه بعدم فهم ليضيف الثاني بجمود: لماذا سيادة اللواء، ألسّ من حماة القانون؟

فهم الآن إلّام يرمي إذاً فقد علم الحقيقة، رغم هذا كانت انفعالاته جامدة، فأجابه بهدهوء يُحسد عليه: عائلتي جهاد، يجب أن أحميها.

ابتسم بتهكم مردفاً: ومن سيحمي الناس من شرور عائلتك سيادة اللواء؟؟؟

جملته صادقة لدرجة تجهم وجهه دون إجابة، نظرات جهاد جادة متحدية يستطيع أن يجزم بأنه مستعد لفعل أي شيء في سبيل إظهار الحقائق، أكد جهاد جملته الأخيرة حينما أضاف بجدية: تعلم أن جميل كان والدي؟؟

والذي الذي لم أره مذ رأيت عيناى النور؟؟ رغم هذا لم أغفر له تجاوزه للقانون؟

فتح جهاد درج المكتب ليستخرج مسدس عبد الرحمن ليضعه أمامه على الطاولة، وقف ليتطلع إلى عبد الرحمن بخيبة متابعاً: اسمك الكبير واحترامى لك يجبرنى بأن أعطيك فرصة الاختيار، بحلول الصباح سيكون التقرير عن استغلالك لمنصبك بشكل مخالف للقانون على مكتب وزير الداخلية، فى قضية ماجد وكذلك فاروق وتورطه مع جميل.

لا ينكر مدى صلابه هذا الرجل، للآن لم يتأثر بحدثه رغم معناه الذى لا يحتاج لتوضيح، استدار خارجاً ماراً بجانب اللواء، امتدت يده ليمسك مقبض الباب وقبل أن يفتحه تحدث، وظهره مقابل لظهر عبد الرحمن بنبرة خافتة لكنها تكشف عن مدى صدمته: لقد تعلمت فى الكلية أن لا أحد يعلو فوق القانون وأن العدالة أمر واقع، لكنى للأسف اكتشفت مؤخراً أن القانون يطبق فقط على البؤساء الفقراء، وأن العدالة أمر نسبي وتكاد تكون وهماً.

خرج عقب كلمته تلك ليغلق الباب، وقف فى مكتب مساعد اللواء يجول بنظراته فوق محتوياته، سار ناحية كرسي جلدي أسود ليرتمي فوقه، منتظراً قرار عبد الرحمن، ربما كانت فعلته قاسية لكن خيبته كانت أقسى، دفن رأسه بين راحتيه زافراً بالأم، لم ينته الأمر بعد فكل شيء يهون دون رؤية تعابير بيلا غداً حينما يخبرها الحقيقة، مرت لحظات طوال قبل أن يسمع

سؤال شاب ما عن هويته، رفع رأسه ليتطلع إلى مساعد اللواء واقفاً أمامه، لينتفض فجأة كلاهما عقب سماعه صوت طلق ناري، هرول الشاب ليفتح الباب فوجد رئيسه ساقطاً على كرسيه ومرتباً للخلف، ليعلم جهاد أن عبد الرحمن قد اتخذ القرار ونفذه بالفعل.

قبل لحظات.

كّور عبد الرحمن قبضته بغضب، حديث جهاد صادق موجب لدرجة لا تصدق، مشى ناحية طاولته بخطوات ثابتة يذكر مدى صدمته عندما كان يتفحص الأوراق التي جلبها جهاد من خزانة جميل السرية، ليقراً اسم شقيقه فاروق شريكاً في أعمال جميل الخارجة عن القانون، عادت ودون أن يدري كيف. كلمات نازك ترنّ في أذنيه، مستقبل بناته، ربما سلمى قد تزوجت وريدا مخطوبة، لكن إذا افتضح أمر فاروق ستدمر حياتهما، لذا وبلا تأخير هاتف فاروق لينزل به وابلاً من الشتائم، فتوسله فاروق إنقاذه وأخبره بأن جميل لن يسكت كذلك، فأخفى الورق الذي يدين شقيقه، ثم تأكد من قتل جميل ومعه عنصري الحراسة بعد أن أدخلهم للداخل.

متيقن أن جهاد سيفعلها، سيقدم تقريراً إلى وزير الداخلية ليفتح عليه أبواب جهنم، ستشكل لجنة للتحقيق وسيقودهم تحقيقهم إلى قضية ماجد ثم ماذا؟؟ إدانة له وتشهير باسمه الذي بقي نظيفاً لسنوات، ثم السجن.

صَعَبَ عليه أن تكون هذه نهايته بين حوائط السجن والمجرمين الذين ساهم بنفسه في القبض عليهم، طالع المسدس بنظرات جوفاء فليسطر لنفسه نهاية تليق باسمه اللامع.

شمس هذا النهار لم تشرق، كان الطقس غائماً كروحها، نسيمٌ باردٌ يبعث على القشعريرة التي سيطرت على جسدها، كانت بيلاً تقف أمام قبر جميل بعد رحيل الجميع، أو هكذا ظنت، فلم تلحظ وجود جهاد واقفاً خلفها، رغم ما عرفته من حقائق حوله لكن هذا لم يمِج السنوات الطوال التي كان لها بمثابة الوالد، رفعت رأسها بإباء عندما شعرت بأحدهم خلفها، ولم تكن بحاجة للالتفات لمعرفة هويته، سحبت كمية من الهواء البارد عليها تثلج ما يعتمل داخلها من نيران مستعرة، قاومت دموعها عندما سمعت سؤال جهاد: كيف حالك؟

سؤال غبي، كيف حالي؟؟

جاءته إجابتها بسخرية؛ لا تتوقع أن أخبرك بأني في أفضل حالاتي، صحيح؟

يعلم معنى أن تعيش في كذبة طوال حياتك فلم يعلق، تحدث بعد حين بنبرة هادئة: لقد تمت مصادرة كافة أملاك جميل وأمواله عدا الشركة والمنزل كون عقودهما باسمك.

لم تنبس بحرف فأضاف بتساؤل وداخله خائف من الجواب: ماذا ستفعلين الآن؟؟؟

بسمه متهكمة ارتسمت على محياها وهي تستدير لتواجه، محببة بنبرة هادئة أخافته: سأبيع الشركة والمنزل لأعود إلى إيطاليا.

كلمات قليلة مقتضبة لكنها قتلتته حرفياً، تسافر؟؟ حمقاء هي لظنها بأنه سيسمح لها بالابتعاد، رغم كل ما حدث فهو المسؤول عنها الآن، تحركت لتغادر قبل أن يقبض على ذراعها فتتوقف، ليحدثها بعزم: لن تسافري بيلا. طالعتة بنظرة ساخرة متحدثة بعناد: بل سأسافر سيد جهاد ولن تمنعني. ضغط على ذراعها مردداً كلمته ذاتها من بين أسنانه المتلاقية: قلت لن تسافري.

توقف هنا، هنا بالذات، لماذا يريد التحكم بها؟ يحسبها ضعيفة بعد موت جميل؟

نفضت يده عنها صارخةً به بغیظ: بماذا يهملك أمري؟ لماذا لا تريدني أن أسافر؟

رمقها بنظرة حزينة فأضافت وهي تضربه على صدره لكلمات متتالية: أخبرني جهاد، لماذا تفعل هذا بي؟ لماذا لماذا؟

قبض على كتيي يديها بيده ليصرخ بها: لأنك شقيقتي!!

لوهلة تجمدت حدقتها فوق وجهه الجاد، زاغت عيناها بضياح فهمست بخفوت، ماذا قلت؟؟

أرخی یده عن کفیها وازدرد ريقه بوجل، تحدث بنبرة خافتة حزينة مولياً إياها ظهره: كما سمعت بیلا، جمیل کان والدي.

توقع أن تنهار، أن تسقط مغشياً عليها، لكن ردة فعلها كانت غير متوقعة بالنسبة إليه، دخلت بیلا في وصلة ضحك تبعث على الريبة، استدار معتقداً أنها قد جُنّت، حركت رأسها للجانبين قائلة من بين دموعها: لأجل هذا تغيرت معاملتك معي؟ لا اعتقادك بأنك شقيقي؟؟؟

تجدد جبينه باستغراب لمقالها متسائلاً بشك: ماذا تقصدين؟؟

نفرت منها عبرة جرت على وجنتها لتقول بخفوت خائب: كم أنت أحمق جهاد! ألم تظن إلى أنني بعمرک؟؟ كيف يكون جمیل والداً لكلينا والفارق بيننا أيام قليلة؟؟؟

كأنها قشعت عن عينيه غمامة لم يظن لها، فأضافت بهمس: جمیل زوج والدتي، وليس والدي أيها الأبله.

جحظت عيناه بمزيج من مشاعر كثيرة، كانت السعادة أبرزها، ملامح وجهه انقلبت في لحظة إلى الفرح المطلق وقد أدمعت عينيه بسعادة هذه المرة، سحبها إلى صدره يضمها بعنفٍ كأنه يودّ لو يفتحها ليحبسها هناك، انتفضت باكية بسعادة تضرب على ظهره هامسة: أيها الأحمق، كدت تقتلني!!!

قهقهة دامعاً مردداً على سمعها أحلى عبارات الغزل.
احتلت خافقي قبل نظري، وقتلتني وهي لا تدري.

كأنها حبة ملح ذابت في بركة ماء !!
بحث عنها في منزلها فلم يجدها، فلم يبقَ له سوى جهاد، هو الوحيد الذي قد
يعرف إلى أين رحلت.

كان جهاد يقصّ على والدته المفاجأة السارة، بعد إيصاله بيلا إلى منزلها
معترزاً إخبار عفراء بالأمر كذلك، صوت جرس الباب الذي يرن بإصرار
قاطع لحظاتها السعيدة، خفق قلب جهاد بعنف من صاحبها يا ترى؟؟
فتح الباب ليطلعه وجه ماجد المحمّر وعيناه الملتهبة، دفعه بغلظة ليدلف
إلى المنزل قائلاً بحسم: أين نادية؟؟

قطب جهاد جبينه باستغراب، ليضيف الأول بثقة غاضبة قبل أن يبدأ
جهاد بالانكار: عفراء، أين هي عفراء جهاد؟

تيقن أن الحقيقة قد كشفت فلا داعي للمزيد من الكذب، لكنه شعر
بالقلق من سؤاله فسأل بدوره: لماذا تسألني عنها ماجد؟ ما الذي حدث؟
انقضّ ماجد ليمسكه من تلايبيه صارخاً من أعماقه: لا تحاول الكذب عليّ
مجدداً جهاد، لقد حرمتني من إصلاح خطئي سابقاً لكنك لن تحرمني
حببتي هذه المرة.

خرجت ميساء من الصالة على صوت الصراخ لتجد ماجداً يمسك ابنها من
مقدمة قميصه، هلعت لمنظرهما وقبل أن تتدخل لفصّ النزاع سمعت جهاد
يهمس بصدمة: حبيبتك؟؟

ارتخت يده عنه ليسبـلـهـما بجانبه، تحول وجهه إلى الحزن المرير مردفاً بـبـحـة متأثرة: نعم حبيبتي، أنا أحبها جهاد، بل أنا متيمٌ بهـواها. تحول صوته إلى الهمس متوسلاً: أرجوك جهاد، أخبرني عن مكانها ولتعاقبني بما شئت وإياها، فقط خذني إليها.

لقد رحلت إذا. هكذا تيقن جهاد مما سرده عليه ماجد أنها اختفت بإرادتها، أخبره بصدق: أنا حقاً لا أعرف أين هي ماجد، إذا أرادت نادية أن تختفي فلن تتمكن من إيجادها إلا إذا رغبت هي بذلك.

حرك رأسه للجانبين بإنكار قائلاً بإصرار: لا، لن ترحل بإرادتها ولا غصباً، سأبحث عنها ولن أتوقف أبداً يا جهاد سمعتني، لن أياس.

رحل ضارباً الأرض بعنف كمن يفرغ فيها غضبه، لقد سلبوه إياها مرة ولن يسمح لهم بتكرار الأمر، سيبحث عنها، سيقاب جهاد وميساء وحتى حارس المبنى حيث يعيشان، كل من كان لها تواصل معه ذات يوم سيوضع تحت مراقبة محومة، مستعد لأن يضع رقيباً حتى على عامل النظافة في شارعهم، المهم أن يجدها!

_ ((رغم أن نصف عذابي كان واضحاً في عيني، لكن هناك نصف آخر لم يعرفه بشر سواي، وكلمات لم يقرأها أحد.

كيف احتملت الغياب كل هذا؟؟ كيف طاولك قلبك بفتح ثغرة مؤلمة في صدر عقاب عاشق؟

أيتها العنقاء، كيف مضيت دون الاكتراث بشيء، لا بقلبي الدامي ولا جراحي النازفة؟؟

ترى كيف مرت أيامك دوني؟ أترك مثلي؟ تمرّ عليك الساعات تقدسين الصمت عن كل شيء آخر، فتندم رغبتك بالحديث أو العتاب، وحتى الحياة؟؟

أرضيت بفراقك بدلاً عن وصالي؟
عفرائي، فلتعلمي أنني لم أضحك ولم أبك في غيابك، فكل مشاعري أجلتها حتى ألقاك، لكن ما في داخلي من وجع وخيبات وألم يفوق قدرتي على الاحتمال بمراحل بعيدة.

ولولا يقيني أنك مازلت في هذه الحياة، لطلقتها منذ أمدٍ طويل.

عفراء!! يا وجع الماضي والحاضر، وكل الألم القادم!!
مهر ماجد رسالته المعتادة إلى عنقائه الغائبة الحاضرة دائماً، قد يبدو الأمر ضرباً من الجنون أو أنه خيالٌ محض، لكنه لم ينسها ولو للحظة، ولم يقطع الأمل في إيجادها ثانية واحدة، لكن فؤاده متعب وهي داؤه ودواؤه، فأين طائره الأسطوري الآن؟

سبعة أعوامٍ كاملة مرّت على فراقها، يقضي ليله يناجي محياها المرتسم على زجاج نافذته، يتخيلها تبتسم فيسكن قلبه سكون الجرح تحت الماء البارد، ثم ما يلبث أن يعود إلى آلامه ونجواه، حتى إذا ما أطلّ الصباح فينعكس على وجهها بريقاً نجمياً، ليستيقظ بعدها على واقعه الأسود

الحالك، لقد غادرت، رحلت وما بقي منها في حياته مجرد طيف، لكنه أنقى من الشلج.

أعاد ظهره للخلف يتنفس بألم، لم يترك أحداً قد يتواصل معها لم يراقبه، حتى جهاد لم يكن على علم بمكانها، تأكد من هذا بنفسه بعد مراقبته لأشهر، حتى في زفاف بيلا وجهاد الذي تم بعد عام واحد لم تحضره ولم تظهر، أين أنت ملاكي؟ أين أنت؟

أغمض عينيهِ مستذكراً الأحداث التالية لاختفائها، فجهاد لم يستسلم بعد انتحار عبد الرحمن، وبعد بحث دقيق وجد الأوراق التي تدين فاروق ليقدّمها إلى المحكمة، توالى فضائح فاروق تباعاً وتحلى عنه أكثر المقربين إليه ذوي المراكز الحساسة، ليحكم عليه بالسجن خمسة وعشرين عاماً، لم يستطع تحمل معيشة السجن ليقتل نفسه بعد أربعة أعوام.

أما والدته فبعد وفاة عبد الرحمن دخلت في أزمة نفسية سيئة، خاصة وأنّ مجتمعها المخملي قد نبذها بعد فضائح فاروق والحكم عليه، فأودعت نازك في مصحةٍ نفسية حتى فارقت الحياة العام الماضي، رحلت من هذه الدنيا لتترك خلفها أصدقاء مزيفين، لم يهتموا حتى بحضور جنازتها ومجتمعاً مزيفاً لم يهتز لوفاتها.

أما سمية فقد تم الحكم عليها بالسجن تسع سنوات بعد إدانتها بالقتل غير العمد، بعد وفاة والدتها.

صهيب ونورا تزوجا، وسافرا إلى باريس لقضاء شهر العسل، لكنهما لم يعودا ليستقرا هناك وتنجب نورا فتاة تشبهها أسمتها سماح، وصبيّاً يحمل اسم خاله، وقد تحسنت علاقة صهيب وماجد بشكل ملحوظ. أما بيسان فقد تزوجت هي الأخرى بأحمد في حفل زفاف بسيط بعد المصائب التي ألمّت بعائلة والدتها، وأنجبت فتاة وحيدة أسماها خالها عفراء، وكم كانت قريبة لقلبه.

استيقظ من شروده على نداء مديرة مكتبه الشابة، لتذكره بموعد الحفل الخيري للمشفى الخاص برعاية مرضى السرطان، والذي لم يتغيّب عنه منذ سبع سنوات، زفر بضيق في الغد ذكرى غيابها، في هذه الليلة من كل عام يعتزل الناس ليحبس نفسه في غرفته وحيداً، يتخيل يوم تعود إليه لتخبره بندمها على فراقه، سيعاقبها حتماً، سيسجنها في صميم خافقه ولن يسمح لها بالخروج أبداً، لو أنها تعود فقط!!!

وقف يستمع إلى تصفيق الحضور بعد إلقائه كلمة مقتضبة، وأعلن الرقم الفلكي الذي سيتبرع به للمشفى، والحق يقال أنّ المبلغ يكفي لسداد فواتير علاج عشرين مريضاً حتى يتماثلوا للشفاء تماماً مهما طالت مدة علاجهم. تبادل بضعة أحاديث مقتضبة مع مدير المشفى وبعض الأطباء ممن أشادوا بكرمه الكبير، لم يبال بهم فهو لم يتبرع بالمال لسماع عبارات التملق تلك، بل إن الأمر بينه وبين الله.

شعر بالضيق فاستأذن من المدير ليخرج إلى الحديقة الملحقة بالمشفى، رغم برودة الطقس لكن نيرانه الداخلية انعكست على جسده فشعر بنقيض ذلك، رفع رأسه إلى السماء ليطلع البدر المكتمل، رغمًا عنه ارتسم وجهها على صفحة القمر ليتسم، أنة خفيفة صدرت عن أحدهم أخرجه من شروده، استرق السمع بجبين مقطب ليميز صوت فتاة ناعم بدت كأنها تحدث أحدهم، كان مصدر الصوت خلف الشجيرات القصيرة بجانبه، تقدم بحذر ليرى فتاتين تجلسان هناك، إحداها ذات شعر كستنائي تجلس على الأرض، والأخرى استندت على كتف رفيقتها برأسها الذي غطته بقبعة صوفية مقلمة بالأحمر والأبيض، ولقت حول رقبتها وشاحاً شابه القبعة بشكلها، خفق قلبه كعصفور ذبيح عندما سمع جدياء تحدث الأخرى بصوت حزين : هل تتألمين كثيراً عفراء؟؟

سعلت عفراء بخفة لتنفى برأسها بحركة خفيفة، قائلة بصوت متعب: ألم المرض والعلاج لا يقارن بما يعتمل داخلي من وجع، قلبي يؤلني جدياء، كثيراً.

اختنق صوتها في آخر كلمة قالتها، فتساءلت الأخرى بانفعال طفيف ويبدو أنها شاركتها بكاءها: إذاً لماذا رحلت؟ مادمت تحببنيه إلى هذا الحد لم تركت ماجد؟؟

تنهدت عفراء بوجع محيية بشرود: لم أستطع جدياء، كنت مشوشة ضائعة، ما بين قلبي الذي يريده وبين عقلي الذي يمقته.

تنهيدة أخرى تبعت رفيقتها لتضيف بصعوبة: أحياناً الابتعاد هو الحل الأمثل، ابتعدتُ لرتقٍ جرحي وبناء ذاتي من جديد..
شعرت بالدوار يدهمها لتحادث جيداء: أعيديني إلى غرفتي لو سمحت جيداء، بدأ رأسي يؤلني.

هبت الأخرى سريعاً لتساعدها في الوقوف، استقامت عفراء بثقل وما كادت تلتفت لكلاهما حتى تجمدت حدقتها على الشخص الذي كان واقفاً، بعينين دامعتين وأنفاس متسارعة بعدم استيعاب، تركزت نظراته على وجهها الشاحب وشفتها البنفسجية، كان يكذب ما يراه وما يسمع، لا يريد أن يصدق أنها تعاني من هذا المرض الخبيث.

لم تفهم جيداء ما سبب جمود عفراء، حتى دقت النظر إليه لتهمس داخلها بصدمة: ماجد الصايل!!

انتهبت الى رجفة جسد عفراء، زاغت عيناها وهي تطالع وجهه المصدوم، تعالى صوت أنفاسها لتسقط من فورها مغشياً عليها، ليسارع ماجد ويلتقطها بين يديه هامساً باسمها بنبرة حملت عشق وألم سنين.

سبق وأن أخبرت ماجد أنها قدره، لكن يبدو أنه هو قدرها أيضاً.
كان جالساً على الكرسي المقابل لسريرها حيث تمّ نقلها، وعلى مقربة منه وقفت جيداء تكتف يديها أمامها تراقب ذينك العاشقين بأسف، كانت قد عرفت نفسها إلى ماجد بأنها تدرس الإعلام هي الأخرى، تعرفت إلى عفراء

منذ عامين عندما كانت الأخيرة تعمل في مأوى للعجزة، لم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الذكاء ليدرك أنها تقصدت الذهاب إلى مؤسسة غير حكومية كمأوى العجزة، حيث هناك لن يجدها أحد حتى جهاد.

كما أخبرته بالمصيبة التي وقعت على رأسه كصاعقة مستعجلة، عفراء مصابة بسرطان في الدماغ، وهي وللأسف في مراحلها الأخيرة.

شعرت جيداً بأن وجودها غير ضروري، فرحلت لتترك ماجد مع غاليته، ظلّ يتأملها ممسكاً بيدها بنظرات حملت الكثير، ندم وألم وحب، يفوق قدرة قلب أي بشري، انتبه لاهتزاز جفنيها معلنة عن عودة عفراء لوعيتها، ضغط على كفها برقة هامساً: عفراء.

انتبهت على صوته المشتاق، أدارت رأسها صوبه بخفة، رmqته بنظرة متفحصة رغم تشوش رؤيتها لتجيب بذبرتها الناعسة: كم أكره سماع هذا الاسم من سواك.

ابتسم بخفة لتنفّر دمة يتيمة من عينيه، سحبت يدها من بين يديه لتضعها على وجنته وتمسح عبرته، ابتسامة شاحبة ارتسمت على ثغرها الباهت هامساً: لقد أصبحت بشعة للغاية، سقط شعري وابتضّ جلدي كمن أصابه برص.

ضغط على شفثيه ليمنع شهقة بكائه قائلاً: لا، ما تزالين جميلة كما كنت. حركت رأسها للجانبين قائلة بتوبيخ: لا تكذب.

أمسك كفه ليقبلها مردفاً بصدق: هناك فتاة مرّت على قلبي منذ سبع سنوات، علمتني ألا أكذب أبداً.

ران صمّت مهيب بينهما، فقط عيونهما من تتحدث، تشجع ليسألها سؤالاً يخشى من إجابته: هل ساحتني عفراء؟؟

حركت رأسها بإيجاب بلا تأخير ثم أجابت بصوتٍ مبحوح متعب: يشهد الله أنني ساحتك، من كل قلبي.

ابتسم بامتنان وأخفض رأسه للأسفل بتأثر، مدت يدها لترفع وجهه قبلتها تسأله: ما الذي ستفعله بعد مماتي ماجد؟

ضغط على شفتيه وتهد بجزن، ثبت عينيه داخل مقلتيها مردداً: سأحرص على فعل كل عمل يقربني إلى الله، عسى الله أن يغفر لي ويدخلي جنته، ويجعلك عروسي هناك.

قطبت جبينها بتفكير متسائلة: وما أدراك أنني سأدخل الجنة؟؟

ابتسم من بين دموعه مجيباً ببساطة: لأن الملائكة مأواها هناك.

قهقهت بخفة تهمس بشقاوة: لكنك إن دخلت النعيم فسيكون لك سبعون عروساً دوني، وكلهن أجمل مني بالتأكيد.

نظر إلى عمق عينيها الذهبية، ليردف بصدق واضح في نبرته الحزينة: سأستغني عنهن جميعاً، أنت من أريدها عروسي عفراء، أنت.

شعرت بصدقه ومشاعراً اقتحمت أوردتها كسيل جامح، ملامح وجهها السعيدة رغم شحوبه كانت تنضح عشقاً، شعرت بالآلام تضربها من

جديد، تلقائياً اغرورقت عيناها بالدموع، عضت على شفتها السفلى تقاوم صرخة الألم وقد عبس وجهها، وضعت يدها على وجنته لتزيل تلك الدمعة التي ذرفها عندما شعر بوجعها، حاولت الابتسام ولم تقاوم أدمعها هامسةً: أحبك ماجد، لم أحبّ قبلك، ولم أستطع بعدك.

ارتجفت شفته السفلى بتأثر وشلالاته جارية، ليقترب من وجهها ويقبلها على جبينها، هامساً لها بذبرة عاشق متيم أضناه الشوق: وأنا أعشقتك، يا ألّمي ويا فرحي، يا فؤادي وعمري كله.

عاد ماجد، ذو الأربعين عاماً، من ذكرياته ليتطلع إلى نافذةٍ عاليةٍ في غرفة الطبيب النفسي الذي قصده ليروي له حكايته، تنهد بتعب قبل أن ينشقّ ثغره عن بسمّةٍ صافيةٍ ثم هتف يقول بيتين من الشعر نظمهما بنفسه: حقلي من زنبقٍ سياجه الورود.....وملكته فاتنتي وعدويّ اللود. نظم الشعراء في وصفها قصائدًا.....فلم أجد فيه ما ينصفها ويجود. رفرf الطبيب الشاب رائد بعينه سائلاً بإعجاب بادٍ في نبرته: وهل هذه كلماتك أنت سيد ماجد أم أنها مقتبسة؟؟

نظر نحوه دون أن تحبو ابتسامته مجيباً برزانة: لا أيها الطبيب، إنها كلماتي التي كتبتها على شاهد قبرها بنفسي.

التمعت عيناه بالدموع، ثم أشاح بوجهه إلى النافذة مجدداً ليضيف وهو يخنق عبراته: غادرت عفرائي هذه المرة حقاً، حفرتُ قبرها وحدي، دفنتها

بحضور رجل الدين وجهاد ووالدته، لم ترغب حبيبتي بأن يكون عزاءها
صاحباً وهذا ما كان.

طالعه الطبيب بمشاعر متضاربة، لم ينصف القدر هذا العاشق الهائم،
كم يشبه مجنون ليلى أو جميل بثينة، وربما تجاوز عذابه ضعفهما، أغلق
آلة التسجيل أمامه لينظر إلى ماجد الذي كان يتنفس بقوة، متحدثاً: إذاً،
وصلنا للنهاية وأُسدَل الستار؟؟

أهداه ماجد بسمَةً هادئة لينظر إليه محبباً: لا، هنا بدأت حكاية جديدة،
حكاية جيداء، فهل أنت على استعداد لسماعها؟؟؟

تمت

علي اليوسفي

ثأر العنقاء

رواية

علي اليوسفي



الطبعة الأولى

1442 هـ - 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com